تحية الاقلام

لمؤتمر الأدباء ومهرجان الشعر

كان لبغداد ، بتوفيق من الله ، أن تشهد في أخريات العام المنصرم وأوليات هذا العام عددا من المؤتمرات لم تشهد مثله في حقبة من أيام تاريخها الحديث ، فلم تكن تفرغ من اعداد لمؤتمر حتى تبدأ باعداد لغيره ، ولم تكن تودع وفدا حتى تهرع لاستقبال وفود ، وكانت عاصمة الرشيد في هذه الفترة المجيدة من حياتها تعيش في غمرة غامرة من السعادة التي اتيحت لها بلقاء الاخوة من أبناء الوطن العربي ، بعد فترة قاسية من العزلة التي ضربت عليها حينا من الدهر ، وما كان استبشار بغداد بلقـاء أبناء العروبة بأقل من استبشارهم بلقائها • فقد كانت الوفود العربية تتسابق الى مدينة الحكمة والعلم والفن والعمل ، وها هي بغداد تستعد اليوم لاستقبال وفود الادباء العرب الذين يجتمعون على صعيدها الطيب في مؤتمرهم الادبي ومهرجانهم الشعري الذين ينعقدان هذا العام بين الخامس عشر والخامس والعشرين من شهر شباط • وها هي أوساط الادب فيها تنتظر النخبة النيرة من أعلام الادب والشعر في البلاد العربية ، حملة الاقلام الشريفة التي تصر في كل بقعة من بقاع الوطن الكبير صريرها الذي يصك اسماع الاستعمار والرجعية والتخلف والجمود • ولقد أحسنت بغداد اختيار الظرف المناسب لالتئام هذا الجمع الحاشد من ادباء العربية في صباحها المشرق الذي طلع عليها وهي تغذ السير على طريق الوحدة والاشتراكية ، كما أحسنت اختيار الموضوع الذي دعت الى الحديث فيه وفي تفريعاته فهو موضوع حياة هذه الامة الكبيرة التي تعيش بين المحيط والخليج •

و (الاقلام) •• مجلة العراق الادبية ، وملتقى الاقلام العربية على الحرف الخير والكلمة الطيبة والفكرة البناءة ، يسرها ـ وهي تطلع بعددها هذا بين يدي المؤتمر والمهرجان أن تزجي اليهما والى أدباء وشعراء العربيـة الذين نهـدوا الى عاصمة الادب والشعر تحية الأدب والشـعر •• متمنية لمؤتمرهم الحاشد ومهرجانهم الحافل السداد والتوفيق والنجاح •

(التحرير)

الإسلام والفن الجميل

الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق

عني الاسلام منذ نشأته بالفن الجميل ، فوجه الانظار الى ناحيتي الجمال والزينة في المخلوقات كما وجهها الى ناحية المنفعة فيها وذلك لكي يدرك الانسان ان الحياة الانسانية الصحيحة لا تقوم على المنفعة وحدها او بعبارة اوضح على الضروريات فحسب ، بل هنا جوانب أخرى لا تتصل بالضروريات او المنفعة في شيء لكنها تهدف الى ما هو اسمى من ذلك ، تهدف الى ما يحقق للحياة الانسانية انسانيتها وسموها عن الحيوانية ، تلك هي جوانب الزينة والجمال وهما لباب الفن الجميل بصوره المختلفة ٠

يقول الله تعالى في سورة النحل : « والانعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم ٠ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون »٠

هذه اللفتة الطيبة من الاسلام نحو الفن لها مغزاها العظيم ، فالعناية بالفن خير وسيلة لتهذيب الذوق ٠ واذا كنا نعني بتثقيف العقل حتى نصل الى حب الحق ، ونعنى بتهذيب الخلق حتى نصل الى حب الخير ، فينبغي ان نعنى كذلك بتهذيب الذوق حتى نصل الى حب الجمال ٠

والواقع اننا في اشد الحاجة الى تهذيب الذوق ، وادراك قيمة الجمال في حياتنا ، والى الايمان بأن تربية حاسة الجمال فينا أمر لا مفر لنا منه ان شئنا ان نسمو فوق مستوى الحيوانية ٠

ترى ما هي احسن وسيلة للعناية بتهذيب الذوق ؟

لم يتركنا الاسلام نتخبط في سبيل معرفة هذه الوسيلة ، بل نبهنا الى انها انما تتحقق برؤية مظاهر الجمال فيما ابدعه الله ، وفيما سوته يد الانسان ، وبامعان النظر في هذه المظاهر ، ومحاولة الوقوف على سر الجمال فيها ، والتأمل فيما يتجلى فيها من تكوين محكم وتنسيق بديع ، وفيما تضفيه على ما حولها من ظلال وأضواء ٠

وفي الحققة ان التأمل في مظاهر الجمال يشحذ في الانسان قوة الملاحظة ، وقوة التفكير وقوة التدبر وهذه القوى الثلاثة هي من العمد الاساسية التي

يقوم عليها الفن • وهذا التأمل أيضا من شأنه ان يرهف الحس ، ويصفي الذوق ، ويذكي في النفس حب الجمال •

واذا ما تكون الذوق السليم ، وارتقى مستواه ، ومرن الناس على تقدير مظاهر الجمال ، ارتقت الامة في حياتها الخاصة وفي حياتها العامة ، فلا يقبل افرادها الا على استعمال ما هو جميل ، ولا ترتاح نفوسهم الا الى رؤية الجمال ممثلا في كل ما يحيط بهم • تؤذيهم الفوضى في الحياة المادية وفي الحياة المعنوية ، ويؤلمهم عدم التوازن والانسجام فيما بين الاشياء في داخل منازلهم وخارجها •

فالاسلام قد عمل ، في الواقع ، على أن يخلق منا فنانين أو محبين للفن حتى نكون رسل الجمال في هذه الدنيا ، نبرز ما فيها من جمال وجلال •

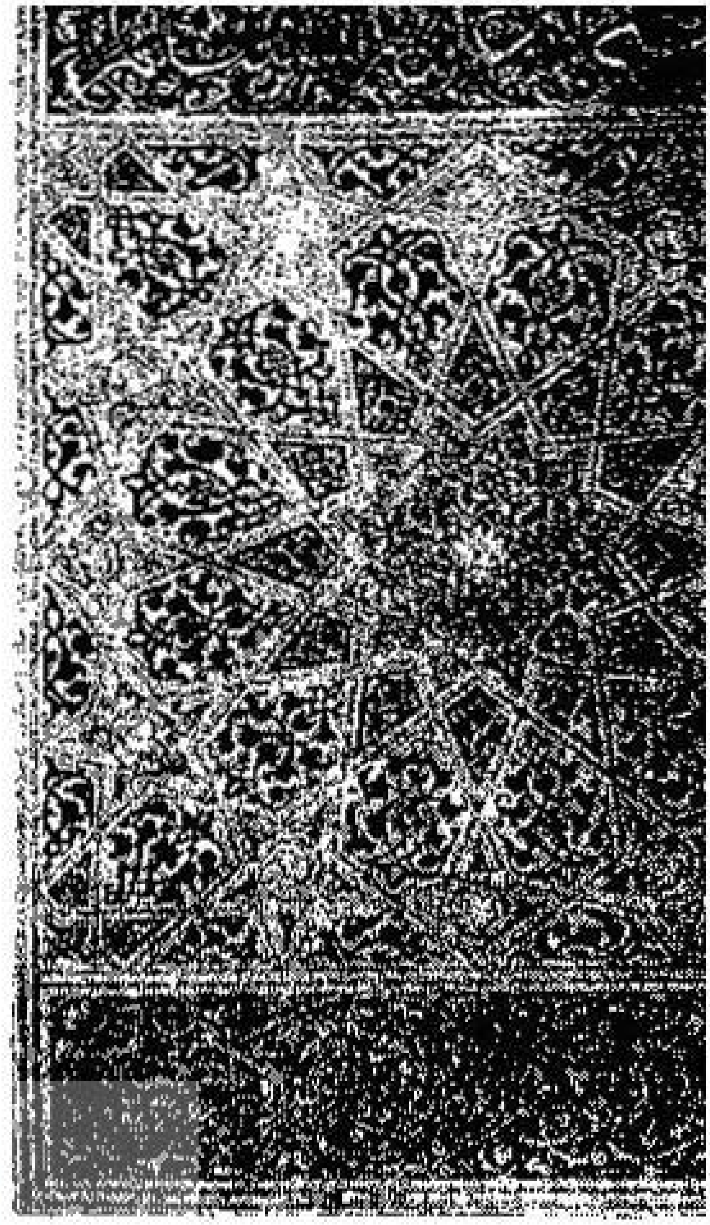
على أنه لم يقف بنا عند هذا الحد بل نجده يدفع بنا الى الاقبال على الاستمتاع بالجمال وبالزينة في دائرة الاعتدال ، أو بعبارة أخرى الى العناية بالفن لان الفن هو الملجأ الذي نأوي اليه كلما اثقلتنا متاعب الحياة • وأثره فينا أمر لا مجال للشك فيه ويكفي أن نلاحظ هذا الاثر فينا عندما يتصل الفن بالعين أو بالسمع ، فالتصوير والزخرفة والغناء والانشاد تترك في نفوسنا آثارا بعيدة المدى يصعب ان نحددها بالادلة العقلية لانها انما ترتبط بالعواطف البشرية برباط متين •

لقد قدر الاسلام ما يضطرب في نفوسنا من غرائز ونزعات وميول فلم يحاول كبتها بل سعى الى ان يهذبها ، ويسمو بها ، فمهد بذلك سبيل الوصول الى المثل الاعلى للانسان •

يقول الله تعالى في سورة الاعراف : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » •

بهذه التوجيهات التي قصد بها الاسلام تفتيح الاذهان الى أهمية الفن في الحياة ، خرج العرب من بلادهم فاتحين ، وسرعان ما ارتفعت اعلامهم فيما بين المحيط الاطلسي والخليج العربي بل فيما وراء الخليج العربي من بلاد الهند والصين • وكانت رؤوسهم لاشك عامرة بتلك الدروس التي لقنها لهم الاسلام في الفن ، لكن ايديهم كانت فارغة من المهارة في الاخراج ، فاستعانوا في التشييد والتعمير والتجميل برجال الفن من الامم التي خضعت لهم ، وتتلمذوا على هؤلاء الرجال ، وتجلى لنا عهد تلمذتهم فيما وصل الينا من الاثار والتحف التي ترجع الى عصر الخلافة الاموية في الشام حيث نشاهد فيها مزاجا من خصائص الفنين الرئيسين اللذين كانا يقتسمان العالم المتحضر في ذلك الوقت : الفن الساساني الذي كان سائدا هنا في العراق وفي فارس • والفن البيزنطي الذي كان سائدا في الشام ومصر وشمال افريقية •

وفي عصر الخلافة العباسية انتهت مرحلة التلمذة ، ونضجت الملكة



الارابسك ـ كما تتجلى على الورق
(صفحة من أحد المصاحف المعروفة
في دار الكتب المصرية في القاهرة)

الفنية لدى المسلمين ، وانصهرت في نفوسهم التقاليد الفنية التي تعلموها في العصر السابق ، ومرنت ايديهم على الانتاج الفني فأخذوا يبدعون التحف ، ويشيدون العمائر ، وتجلت عبقريتهم أروع ما تجلت في الزخرفة التي ظهرت فيها اتجاهات فنية لم تكن موجودة في الفنون السابقة عليهم . اذ أخـذوا يبتعدون في زخارفهم عن تمثيل الطبيعة تمثلا صادقا كما كان الحال من قبل، وصاروا يحورون في العناصر الزخرفية تحويرا يبعدها عن مظهرها الاصلي في الطبيعـة .

ولم يكن هذا الاتجاه الجديد في الزخرفة نتيجة لضعف في قوة الملاحظة، أو نقص في القدرة الفنية كما يذهب الى ذلك بعض الناس ، بل كان نتيجـة ايمان بمبدأ جديد في الفن ، هو ان الهدف الاسمى من الفن انما هو تجميل الحياة . والتجميل قد يتحقق بنقل العناصر الزخرفية عن الطبيعة نقلا صادقا كما كان الحال من قبل ، كما انه يتحقق كذلك بالتصرف في رسم العناصـر الزخرفية ، وفي تهذيبها وتحويرها .

والتصرف ، والتهذيب ، والتحوير مظهر من مظاهر العبقرية الفنية من غير شك ، فالفنان المسلم الان قد تجاوز مرحلة النقل الى مرحلة الابـداع ، ولعل أجمل صورة يتجلى فيها هذا الابداع هي الزخرفة المعروفة عند مؤرخي

الفن باسم « الارابسك » والتي تستمد هذا الاسم ـ كما هو واضح ـ من العـــرب •

بقيت مسألة موقف الاسلام من التصوير سواء كان مسطحا أو مجسما ـ وهو من ابرز نواحي الفن •

ترى هل حرمه الاسلام ؟ كما يذهب الى ذلك بعض الناس ، أم اباحه ، أم تركه دون أن يتعرض له •

الواقع ان القرآن الكريم قد خلا من نص صريح أو غير صريح بصـــدد التصوير ، فلا تحريم ولا اباحة •

والاحاديث النبوية التي تناولت الموضوع من نواحيه المختلفة لم تجمع فيه على حكم واحد فهناك احاديث تحرمه ، وهناك أحاديث تجيزه •

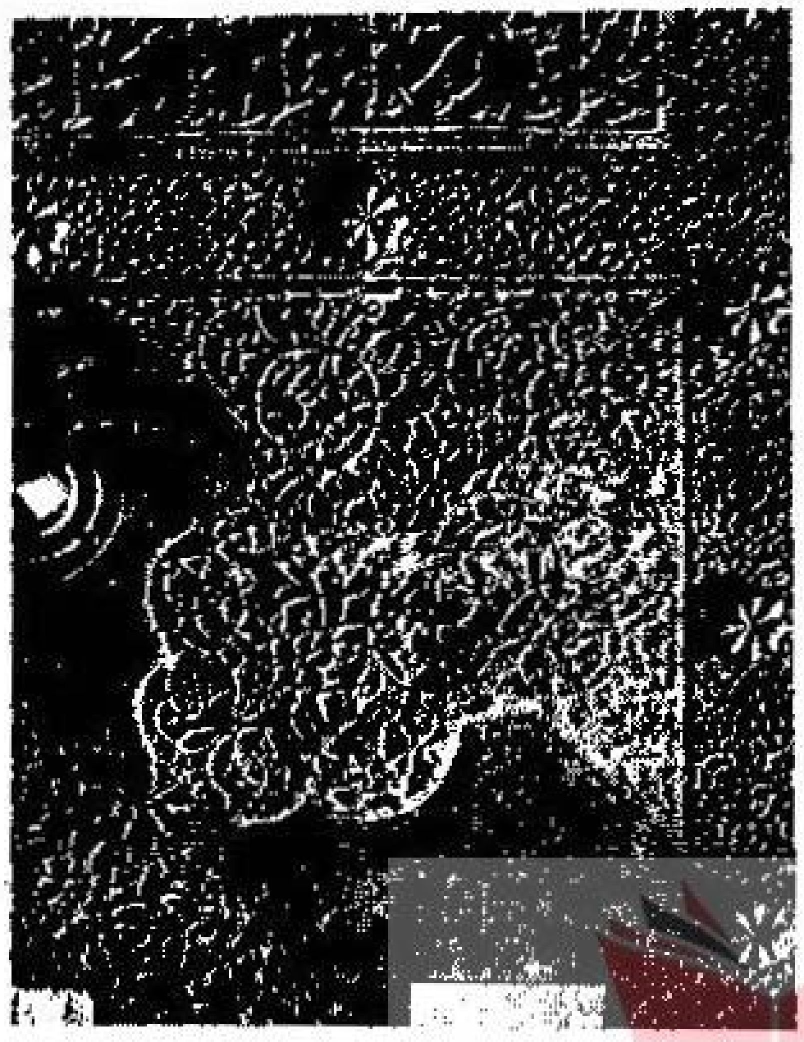
واذا نحن احتكمنا الى التاريخ والاثار والى المنطق السليم وجدنا ان كليهما يؤيد في وضوح عدم التحريم •

أما التاريخ فيذكر لنا ان النبي الكريم والمسلمين الاوائل لم يجـــدوا حرجا في التعامل بدراهم الفرس ودنانير الروم ، وكلاهما كان يزدان بصور الملوك والأباطرة • ولو كانت هناك شبهة تحريم للتصوير ما اقر النبي ـ صلوات الله عليه ـ استعمال هذه العملة لما تتضمنه من أمر يراه الاسلام محرمـــا •

ويذكر لنا التاريخ وتؤيده الاثار التي وصلت الينا ان رجال الدولـــة



الارابسك كما تتجلى على قطعة من خشب
(من أحد الابواب الفاطمية في مصر)



الارابسك ـ كما تتجلى على المعادن
(جزء من باب مصفح بالنحاس
من العصر المملوكي في مصر)

الاموية في الشام ، ورجال الدولة العباسية في العراق ، ورجال الدولة الفاطمية في مصر ، ورجال دولة بني الاحمر في الاندلس ، لم يتحرجوا في تزيين قصورهم بالصور المسطحة والتماثيل ، والادلة المادية على ذلك قائمة لا نزال نراها في العمائر والمتاحف .

أما المنطق السليم فيفرض علينا ان نبرىء الاسلام من تهمة التحريم ، اذ لا يستقيم في الذهن ان هذا الدين الذى فتح الاذهان الى أهمية الفن في الحياة يحرم التصوير مع ما له من دور خطير في تحقيق رسالة الانسان الكامل التي ينشدها .

والواقع ان الاسلام قد ترك لنا امر التصوير لنرجع فيه الى حكم العقل ، وسنن التطور والرقي . وانه لاسمى من أن يتعرض بالتحريم لامر يتصل بسمو الحياة البشرية وتطورها . ومن ذا يستطيع ان ينكر على التصوير ذلك الدور الخطير الذي لعبه ويلعبه في حياتنا العملية ، وفي الشؤون الاجتماعية للافراد والجماعات .

الانفاق وسيلة مهمة في التنمية الاقتصادية

الدكتور خالد الشاوي

يسود المجتمعات بالنسبة للفرد والحكومة ناحية نفسية ضد الانفاق اذ ان الاعتقاد السائد يرى في الانفاق غير الحكيم انه والتبذير سيان لا يختلفان • ومجتمعنا العربي لا يشذ عن هذه المجتمعات ويسود فيه نفس الاعتقاد فقد نشأنا وسط خضم من الارشادات والنصائح ضد الصرف والانفاق ومن لم يسمع « بأن القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود » ومن لم يسمع بالقول الشريف « لا تبذر وانت على نهر جار » ومن لم يقرأ ويتعلم من القرآن الكريم « ان المبذرين اخوان الشياطين » •

ان هذه الناحية النفسية التي سادت المجتمعات نتيجة ارشاد المرشدين وتعاليم الاديان عمرت حتى الاقتصاديين القدماء بل وبعض الاقتصاديين الجدد وأصبح المعروف لدى عامة الناس ان الاقتصادي هو الشخص الذي لا ينفق كل ما وجد مجالا لعدم الانفاق والا كيف يصح ان يكون الذي يدعو الى انفاق المبالغ الطائلة اقتصاديا !!

لكن علم الاقتصاد لم يسلم بوجهة النظر هذه على اطلاقها ولقد اتضح للاقتصاديين ان الانفاق الذي قد يظهر لغير الاقتصادي بأنه هو التبذير بعينه قد لا يكون بالامر الضار ولا يؤدي الى تبديد الثروة وانعدامها بل على العكس قد يكون وسيلة لتحقيق الانعاش الاقتصادي الذي يودي بالبطالة ويرفع مستوى المعيشة ويوفر الحاجيات ويجعلها في متناول اكبر عدد ممكن من أفراد الناس بأقل سعر ممكن ويرفع الدخل القومي وينشر الرخاء وهذه على العموم الاغراض التي يريد كل اقتصادي تحقيقها لأي مجتمع •

وعلى العكس من ذلك فأن مجرد تكديس الثروة لا يمكن ان يعتبر مقياسا للرخاء وان النظرية (التجارية) في الاقتصاد التي نادى بها (مان الانكليزي) و (كالبير الفرنسي) والتي سادت في القرن السابع عشر دحضت من قبل آدم سمث واصحاب المذهب الحر وقد أثبتت النظريات الحديثة عدم صلاحية النظرية التجارية هذه ، فالهند التي هي غنية بالذهب وسيلان الغنية بالاحجار الكريمة لا يمكن اعتبارهما دول غنية اليوم وكذلك

لم تستطع مناجم الذهب وكدائسه ومناجم الفحم والحديد والمعادن الاخرى ان توقف في الولايات المتحدة الازمة الاقتصادية التي حصلت سنة ١٩٢٩ ٠ اذ ان تحقيق الرخاء لا يتم الا بزيادة مبالغ الدخول المتحققة من الثروة القومية وتوزيعها توزيعا عادلا فحين يتمتع معظمنا بصورة فردية بدخول عالية فان الشعب في رخاء ولكن الدخل ليس فكرة ساكنة بقدر ما هو حركة دائمة صفتها المميزة انسيابه من يد الى أخرى ٠ والذى يجب ان لا يغفل هنا ان كل دخل لنا هو انفاق لسوانا والعكس صحيح أيضا فدخولنا سواء أكانت اجورا أو مرتبات أو ارباحا أو فوائد أو ريعا فأن مصدرها في النهاية مال انفقه غيرنا ولذا فأن تداول المال يبعث الحيوية الدائمة في الاقتصاد وما ينطبق على الانفاق والدخل الفردي ينطبق وبصورة أوسع وأشمل على الدخل القومي والانفاق الحكومي ٠

فاذا كان الامر كذلك أي أن الانفاق لا يعدم الثروة بل (يعمل على الاكثار منها) ويجلب السعادة لان الانفاق يبعث اللذة في نفس المنفق لحصوله على أشياء جديدة أو خدمات مستحبة اذن لماذا لا يطلق الانفاق ولا يحدد بأي قيد أو شرط ؟ ان السبب الواضح في ذلك هو محدودية الدخل النسبية والتى سنرى فيما بعد الى أي مدى يمكن أي تقيد هذه (المحدودية) الانفاق ٠

ان السؤال المنطقي الذي يتبادر الى الذهن هو من أين يؤتى بالنقود لغرض الانفاق الخارج عن محدودية الدخل ؟ وهنا يجب ان يميز بين الانفاق الخاص للفرد والشركات والمؤسسات غير الحكومية وبين الانفاق الحكومي ٠

ففي النوع الاول يلعب النظام الصيرفي دورا كبيرا في ايجاد النقود للانفاق ولو ان دوره في الانفاق الحكومي ليس بالقليل ، وفي النوع الثاني يكون الدور المهم للميزانية العامة والميزانيات المستقلة سواء كانت ملاحق لها أو على شكل تخصيصات كبيرة تفرد لها حسابات خاصة لتمويل مشاريع معينة ٠

ان النظام الصيرفي يساعد على الانفاق خارج حدود الدخل لانه يؤدي الى خلق الموجودات النقدية عن طريق منح التسهيلات المصرفية وان البنوك بمنحها التسهيلات المصرفية لعملائها تضاعف من عرض النقد في التداول والمقصود هنا بالنقد لا الاوراق النقدية فحسب بل الصكوك والحوالات والاوراق التجارية الاخرى ٠ وتتم عملية مضاعفة النقد بطريقتين :

اولهما ـ تخص البنك الذى يمنح التسهيلات بنفسه (اي خارج النظام الصيرفي) اذ بهذا يضاعف من النقود عن طريق أبقاء رصيد نقدي في صندوقه أقل بكثير مما يودعه اليه العملاء وهذه النسبة تتراوح بين ٣٪ الى ١٠٪ اعتمادا على سياسة الصيرفة للبنوك وتقاليدها كما هي الحال في انكلترا اذ تحتفظ البنوك برصيد نقدي ٨٪ ـ ١٠٪ كتقليد صيرفي ولو ان

هذه النسبة هي اعلى بكثير مما تحتاجه تلك البنوك وقد يكون الاحتفاظ نتيجة الزام قانوني اذ يفرض قانون مراقبة المصارف الجديد (غير مفرقا بين السيولة النقدية والنقد الذي يحتفظ به كل بنك في صندوقه) على البنوك التجارية ان تحتفظ بما لا يقل عن ٥٪ من ودائعها و٥٪ اخرى كنقد في البنك المركزي و١٠٪ اضافة الى ذلك بشكل سندات قرض حكومية تودع لدى البنك المركزي ٠

من هذا يتبين ان كل بنك يستطيع بمفرده ان يقرض اكثر مما لديه من ودائع وموجودات وبذلك يضاف من كميات النقد المعروضة إذ ان البنك وهو يختلف عن الشخص العادي يستطيع ان يقرض ما لا يملك ٠

اما الطريقة الثانية ــ فهي التي يكثر معها البنك في عرض النقد لا بمفرده وانما كعضو داخل النظام الصيرفي فاذا منح البنك التجاري العراقي تسهيلات مصرفية بشكل السحب على الكشوف بمبلغ ١٠٠٠ دينار الى التاجر محمود الناصر وسحب هذا صكا لامر الشركة الافريقية بمبلغ ثمنمائة دينار لدفعه مقدمة شراء سيارة مثلا فأن الشركة الافريقية ستودع هذا الصك في حسابها عاجلا ام اجلا ولنقل انها اودعته في بنك الرافدين ٠ ففي هذه الحالة زادت ودائع بنك الرافدين بمبلغ ثمنمائة دينار يستطيع هذا البنك ان يعيد اقراضها بصورة مضاعفة كما ذكرنا اعلاه فى الطريقة الاولى دون ان يؤثر ذلك على المصرف الاول الذى اقرض هذا التاجر الا بنسبة قليلة اذ ان السحب على الحساب المكشوف بالرغم من تأثيره السلبي الحسابي على ما اودعه التاجر لدى البنك التجاري الا أنه لا يؤثر فعلا على موجود ايداعاته ان كان له ودائع نقدية ولا يؤثر على ودائع البنك النقدية حتى ولو لم تكن لذلك التاجر وديعة نقدية فيه ٠

صحيح ان البنك التجاري يجب ان يدفع عند المقاصة قيمة الصك الى بنك الرافدين الا أنه في الفترة الزمنية بين الايداع والدفع زادت الودائع بالنظام الصيرفي ككل بقدر المبلغ المسحوب على المكشوف وقد بينت الدراسات الاحصائية للبنوك في انكلترا ان ارقام عمليات الاقراض لهذه البنوك اكثر بكثير وفي كل وقت من اقيام الايفاء نتيجة التسوية عن طريق المقاصة ٠

ولهذا قيل ان البنوك تخلق الودائع وبخلقها الودائع ترفع من قابليتها الاقراضية وتزيد من عرض النقد وترفع من قابلية الانفاق وكلما ارتفعت قابلية الانفاق كثر تداول البضائع وزادت الودائع وهذا كله كما ذكرنا يودى بالبطالة ويرفع مستوى المعيشة ٠٠٠ الخ ٠

الا ان لمدى عمليات اقراض البنوك حدودا تتمثل في الودائع النقدية التي في الجهاز الصيرفي ككل وفي الضمانات التي تستطيع ان تحصل عليها البنوك للايفاء بالتزاماتها تجاه عملائها والى مراقبة البنك المركزي والشروط التي يفرضها من نسب السيولة والاحتياطيات والاقراض عن طريق اعادة

الخصم للبنك المركزي وغير ذلك . اذ لا يخفى ان البنوك ترجع عند الحاجة الى أعادة خصم الاوراق التجارية المخصومة لديها في البنك المركزي بسعر أقل من السعر الذي تحصل عليه من العميل . الفرق في انكلترا مثلا بين سعر الخصم للعميل وسعر الخصم لدى بنك انكلترا ١٪ فاذا ما رفع سعر الخصم للبنك المركزي فأن البنوك تضطر الى الحصول على سعر أعلى من ذلك من العميل الذي اذا ما رأى أن النقود ستكلفه كثيرا لا يستقرض من البنك أو يحد من اقراضه وبذا يقل انفاقه .

من هذا يظهر ان البنك المركزي يستطيع عن طريق سعر أعادة الخصم وعن طريق التساهل في نسبة السيولة النقدية ونسبة النقد في الصندوق المفروضة على البنوك وعن طريق عدم وضع قواعد صارمة منح التسهيلات المصرفية ان يرفع من قابلية البنوك التجارية على الاقراض ويؤدي الى توفير المبالغ اللازمة من النقود التى يحتاجها السوق وقد عمل البنك المركزي العراقي على ذلك فلم يرفع سعر الخصم واجل العمل بالاحتفاظ بنسبة نقدية بمقدار ٥٪ في صناديق البنوك التجارية لمدة شهر قابلة للتجديد واصدر مجلس ادارته النظام الداخلي الموحد للمصارف والذى جعل التسهيلات المصرفية المعقولة في متناول يد كل تاجر أو مقاول وبحدود طاقته دون ان يؤثر ذلك على الائتمان في العراق .

الا ان الظروف الاقتصادية في العراق والتي لا مجال لبحثها هنا تعطي الاهمية الاولى للانفاق الحكومي وان الانفاق الخاص مهما عملت سلطات البنك المركزي والمصارف الاخرى على تشجيعه والاكثار منه لا يمكن لضآلته ان يلعب دورا كبيرا في التنمية الاقتصادية في البلد ما لم يرافقه الانفاق الحكومي وعلى نطاق واسع .

ان مورد النقود للانفاق الحكومي هو مصروفات الدولة التى تنظمها الميزانيات العامة مبنية على تخمينات الدولة لتمشية دولاب العمل الحكومي لفترة زمنية قادمة قدرها اثنى عشر شهرا اللاحقة على قانون أصدار الميزانية والذى قد يكون نافذا في اليوم الاول من كل سنة وبهذا تكون السنة المالية هي الفترة الزمنية التقويمية وقد يكون نفاذها في تاريخ آخر كما هي الحال في العراق اذ ان السنة المالية تبدأ في ١/٤ من كل سنة .

الا أنه لا أهمية لذلك في موضوعنا هذا بل ان الشيء المهم هو مناقشة وموازنة المصروفات المخمنة بالواردات المخمنة كي لا تكون الدولة في حالة مديونية وهذا ما يعرف بموازنة الميزانية .

فقد يبدو ولاول وهلة ان الحكومة لا تستطيع ان تصرف ولو في فترة محدودة (فترة السنة المالية) أكثر من أيراداتها ولذا فهى اقل حظا في هذا المجال من البنوك التجارية . الا ان تحديد نفقات الدولة بحدود الميزانية في جميع الاحوال وخاصة في وضع يتطلب التنمية الاقتصادية والاكثار من الانفاق الحكومي اجراء مالي مشكوك بصلاحه على أطلاقه وقد يكون منبعثا

من الحالة النفسية في المجتمعات والتى اشرنا اليها في اول الكلام ٠
ولهذا التجأت أكثر الدول الى وضع حد أدنى للانفاق ولو كان ذلك أكثر بقليل أو بكثير من الواردات التي تتوقع الدولة الحصول عليها وهذا ما يعرف بالتمويل العجزي وقد أختلف الرأى بالنسبة الى هذا النوع من التمويل فمن قائل بأنه يؤدي الى مديونية الحكومة وبالتالى يزيد من نفقاتها لاضطرارها الى دفع الفوائد عن المبالغ المقترضة ثم انه له محاذير كثيرة أهمها التضخم وارتفاع تكاليف المعيشة وأنه واذا جرد عن أي حدود فقد يؤدي الى الاضرار بالنظام النقدي والائتمان ككل ٠ ومن رأي يقول ان التمويل العجزى يجب ان يخصص للمشاريع المنتجة والتي تستطيع ان تسد نفقات بنائها بنفسها وان التمويل العجزي يجب ان لا تستعمل مبالغه لتغطية المصروفات الاعتيادية في الميزانية ولو ان الصرف على ذلك قد ينعش الاقتصاد بصورة مؤقتة الا أن فيه المحاذير التي أوردها أصحاب الرأى الاول ٠
الا اننا نرى أن مناقشة التمويل العجزي لا يمكن ان تكون نظرية بحتة وان حالة وظروف كل بلد والفترة التي يراد فيها استعمال هذا النوع من التمويل يجب ان تدرس على حدة ثم أنه يجب ان يفرق بين العجز فى الميزانية الذى يزيد من كاهل الميزان الحسابى لكون القروض الداخلية لا تستطيع ان تدفعها الحكومة الا عن طريق الاقتراض من الخارج وبين العجز في الميزانية الذي لا يؤثر على ميزان المدفوعات الا بصورة غير مباشرة أي ان الانفاق في الداخل نتيجة التمويل العجزي قد يؤدي الى رفع الجانب السلبي في الميزان التجارى بالنسبة لدولة ما ٠ ومن دراستنا للظروف الاقتصادية في العراق نرى ان التمويل العجزي سيكون في صالح الاقتصاد القومي وانه لا يؤثر مباشرة على وضعية الميزان الحسابي للبلد ٠
فاذا كان الانفاق يؤدي الى كل هذه النتائج الجيدة سواء أكان انفاقا حكوميا ام انفاقا خاصا واذا كان الامر لا يتطلب في زيادة الانفاق الخاص الا تخفيض سعر الخصم والاكثار من التسهيلات المصرفية وزيادة طبع النقود الورقية ولا يتطلب اكثر من زيادة تخمينات المصروفات في الميزانية العامة وانفاقها فلماذا لا تتخذ هذه الاجراءات دون أي قيد أو شرط حتى يأتى الانفاق بأكله في التوسع الاقتصادى في كل بلد ٠ والجواب على ذلك هو ان امكانية اتخاذ هذه الاجراءات محدودة وغير مطلقة لانها محدودة بحدود الثروة في بلد ما اولا ولانها غير مطلقة بسبب وجوب ملاحظة مسألتين قبل الاقدام على اتخاذ هذه الاجراءات الاخيرة والمسألتان هما ـ التضخم النقدي وآثاره الاقتصادية والميزان التجاري والميزان الحسابي وعلاقاتهما بموجودات الذهب والعملات الاجنبية لدولة معينة ٠
ولنرى الان تطبيق هاتين المسألتين بالنسبة الى الاقتصاد العراقي وهل ان آثارهما من الخطورة بمكان بحيث لا يستطاع معها الاكثار من

الانفاق وخاصة الجانب الحكومي منه عن طريق الاسراع في الصرف على المشاريع وعن طريق الصرف العجزي في الميزانية العامة ؟

أعتقد ان التنمية الاقتصادية في ظرفنا الحالي لا يمكن ان تتم الا اذا اتخذت الحكومة خطوات جريئة وسريعة من شأنها الاكثار من الانفاق ووضع سياسة للتوسع الاقتصادي السريع دون اضاعة الوقت بالدراسات واعادة الدراسات اذ أن عامل الزمن هو المهم في التنمية الاقتصادية وان البدء بتنفيذ المشاريع المعدة دراساتها هو كفيل بتحقيق الانعاش السريع اذ أنه يؤدي الى ضخ كميات كبيرة من النقود في السوق بصورة طبيعية وليس بشكل مفتعل كما يحدث في الموالاة بمنح التسهيلات المصرفية للتجار والمقاولين • ثم أن هذه المبالغ بعد ان تأخذ دورتها الاقتصادية يعود القسم الاكبر منها الى خزينة الدولة ممكنة بذلك زيادة الانفاق الحكومي لازدياد الواردات في الميزانيات العامة •

ان مثل هذا الوضع لا يخشى منه أحداث تضخم نقدي في العراق لوجود حاجة ملموسة الى النقود والتي يتطلبها التوسع الاقتصادي الطبيعي وحتى اذا ما حصل التضخم فانه سوف لا يشكل كارثة اقتصادية أو حتى صعوبات اقتصادية لا يمكن التخلص منها بل أننا نستطيع أن نجزم بأن هذا النوع من (التضخم) اذا صح التعبير سيؤدي الى الرفاه الاقتصادي في العراق نظرا لما سنورده ادناه :

١ ـ ان التضخم النقدي يرفع من كلفة الانتاج نتيجة لهبوط القوة الشرائية للنقود الامر الذي يؤدي الى مطالبة العمال في البلاد الرأسمالية بزيادة الاجور وبالتالي الى زيادة تكاليف الانتاج الذي اكثر ما تخشاه البلاد الصناعية المصدرة أي التي تعتمد في موازنة ميزانها التجاري على ما تصدره من بضائع مصنوعة • ان هذا الوضع لا يمكن ان يخشى منه في العراق اذ أنه بلد مستورد وليس مصدر ، أضف الى ذلك ما منحته القوانين الاشتراكية للعمال مؤخرا من مشاركة في الارباح والتي تجعل العمال لا يطالبون بزيادة الاجور غير المعقولة لانها ستؤثر على أرباح مشروعهم وتقلل من دخولهم من ناحية اخرى •

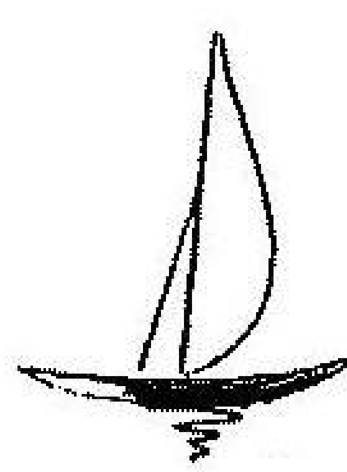
٢ ـ ان التضخم النقدي يؤدي الى أرتفاع تكاليف المعيشة وبالتالي الى هبوط مؤقت في مستوى المعيشة وهذه الحالة سوف لا تحدث في العراق لكون القرارات الاشتراكية رفعت من قابلية المؤسسات العامة في السيطرة على أسعار المواد المعاشية الضرورية التى تهم الغالبية الكبرى من أبناء الشعب • فأذا ما ازداد الدخل نتيجة لكثرة النقود في السوق واذا كانت الاسعار مسيطر على مستوياتها فأن الامر سيؤدي حتما الى رفع مستوى المعيشة سيما وان الحكومة الحاضرة عازمة لا على الابقاء على مستويات الاسعار فحسب بل على تخفيضها ايضا والى نسب كبيرة لاحقة •

اضف الى ذلك الزيادة المتوقعة في الحصيلة الانتاجيـة وأرتفـاع الدخل القومي نتيجة للانفاق وما يجره الى رفع دخل الفرد في المدى البعيد اضافة الى ما يحققه الانفاق من فوائد في المدى القصير التي ذكرت أعلاه .

٣ ـ ان التضخم النقدي على فرض حصوله نتيجة للانفاق فانه سوف لا يؤدي الى الاضرار باقتصادنا الى درجة نضحي معهـا بالفوائد الاقتصادية التي سيجلبها لنا الانفاق . ان الضرر من (التضخم) لا يحصل لكـون غطاء العملة العراقية قويا ولعـدم وجود مشكلة في موازنة الميزان التجاري وان دخلنا من العملات الاجنبية غير خاضع للتقلبات من زيادة أو نقصان لكونه لا يعتمد على محاصيل غير ثابتة . كما يحصل في البلاد الاخـرى بل يعتمد على واردات النفط غير الخاضعة لهذه العوامل . فان ما يحصل من عجز في ميزان المدفوعات والذي تخشاه الدول من التضخم النقدي غير وارد في العراق للاسباب المارة الذكر .

ان الانفاق الرامي الى تشجيع التوسع الاقتصادي دون خشية مـن التضخم النقدي هو الذي سارت عليه دول كثيرة في العشر سنوات الماضية كاليابان وايطاليا والمانيا والجمهورية العربية المتحدة وفرنسا وتركيـا واليونان وحققت اكثرهـا نتائج باهرة في التوسـع الاقتصادي والتصنيع ورفع مستوى المعيشة والدخل القومي علما بأن الظروف الاقتصادية لجميع هذه الدول آنذاك لم تكن مشجعة بالقدر الذي تشجع فيه ظروفنا الاقتصادية الحالية على الاكثار من الانفاق والصرف .

اننا نهيب بالحكومة ان تتبنى سياسة الانفاق في جميع مجالاته وان تأخذ بنظر الاعتبار عامل الزمن وان لا تتلكأ في الانفاق خشية ان يحصـل هذا او ذاك من الامور اذا ما ارادت ان تحقق التوسع الاقتصادي المطلوب والرامي لرفع مستوى معيشة المواطنين في أقصر وقت ممكن وتوفير العمل والعيش الرغيد لهم وهذا ما تعتقد ان الحكومة رامية اليه ، فلتسلك اذن هذا الطريق الاقتصادي للوصول اليه .



الحياة البدوية والمراعي الطبيعية في العراق

الدكتور علي الراوي

قدر عدد افراد القبائل البدوية المتنقلة في البوادي وضفاف الانهار في بلدنا بنحو ٢٥٠ ألف نسمة تعتمد كليا على تربية الماشية ونحو ٢٠٠ ألف نسمة من العشائر الشمالية تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات تتنقل بمواشيها على سفوح التلال والجبال الشمالية والشمالية الشرقية وهؤلاء في حالة شبه مستقرة تجمع بين الزراعة الثابتة وتربية الحيوانات المتنقلة ولها من الامكانيات المادية والمعاشية والظروف والبيئة ما يجعلها في حالة من المستوى المعاشي والصحي احسن بكثير من مثيلاتها • ولذا سنقتصر في بحثنا هذا على أهم العشائر البدوية التي ترتاد البوادي والبراري وهي :

١ ـ عشائر الدليم :

وتمتهن غالبيتها الزراعة وتربية الاغنام ، وتتنقل في فصل الربيع بين ضفاف نهر الفرات والبادية الشمالية والجزيرة وتقضي بقية فصول السنة في الحقول الزراعية ومعظم هؤلاء في حالة لا بأس بها من العيش •

٢ ـ عشائر عنزه :

وهذه ترتاد البادية الشمالية وتعتمد كليا على تربية الابل والاغنام •

٣ ـ عشائر شمر :

يرتاد قسم منها البادية الجنوبية • معتمدا على تربية الماشية فقط والقسم الآخر يجوب بادية الجزيرة حيث بدأوا يمتهنون الزراعة تمهيدا لأستيطانهم ، الى جانب تربية الحيوان •

٤ ـ عشائر الضفير :

تتجول في البادية الجنوبية وتعتمد كلياً على تربية الماشية •

٥ ـ عشائر البو محمد :

تقطن البادية الجنوبية وضفاف الانهار الجنوبية •

٦ ـ عشائر بني لام :

تتجول في مناطق الاهوار وضفاف نهر دجلة والحدود الايرانية الخ ٠٠

ان هذه القبائل العربية التي تعيش في الخيام وتتنقل من محل لآخر طلبا للماء والكلأ تعاني قساوة الحياة الصحراوية وجورها من حر شديد وبرد قارس وزوابع ترابية مهلكة وفقر مدقع وجهل مطبق ومرض مميت وهم خلال تسعة أشهر من كل سنة معرضون الى جفاف صارم وندرة ماء تعسر طاقة البشر على تحملها ٠ ان هؤلاء البدو الذين يعيشون في مثل هذه البيئة القاسية هم الذين يربون لنا الماشية ليقتات عليها شعبنا ويستفيد من منتجاتها الحيوانية ويرسل الفائض منها الى البلدان المجاورة والبعيدة على السواء ليربح منها العملة النادرة وهم الذين يبعثون الروح والحياة في بوادينا المقفرة بخيامهم المنصوبة هنا وهناك ونيرانهم المتأججة ليلا تشير للمارة وتجذبهم للقدوم اليها حيث الدفء والطعام والراحة والامان ٠ ان هؤلاء هم الذين لازالوا يحافظون على تراثنا وعاداتنا العربية الاصلية الموروثة التي نعتز بها ونفاخر بها الاقوام والذين قال بحقهم سيدنا عمر بن الخطاب لأحد ولاته (أياك وأهل البادية خيرا فأنهم اصل العرب ومادة الاسلام) ، ان هؤلاء بقوا طيلة العهود المظلمة مهملين ومنسيين وهم الآن بأمس الحاجة الى ماء الشرب قبل حاجتهم الى الغذاء والكساء اذ يعز عليهم الحصول عليه في معظم مواسم السنة وحتى في الايام الممطرة نراهم يستقون المياه القذرة والنتنة من المنخفضات المتجمعة فيها ، ومن مسافات بعيدة قد تتجاوز عشرات الكيلومترات لا ليرووا بها ظمأهم بل لتقيهم من الموت ٠ اما في الايام التي ينحبس بها ماء المطر وتشح مياه البرك والغدران فأنهم يضطرون الى شرائه من تجار الماء الذين يجوبون الفياقي والبوادي بسياراتهم المحملة بالماء ليبيعوه بأسعار باهضة تتراوح بين ٢٥٠ ـ ١٠٠٠ فلس للبرميل الواحد(١) وتستوفى هذه القيمة عينا من حيواناتهم أو من منتجاتها ان توفر لديهم ذلك ٠ وهكذا تستمر عملية شراء الماء طيلة فصلي الصيف والخريف والى ان تختفي قطعان الماشية أو تكاد تسديدا لثمن الماء الذى اشترى اصلا من اجلها ٠

وتصنف القبائل البدوية من حيث حلها وترحالها الى المجاميع التالية :

أ ـ القبائل التي تترك البوادي عندما تشح مياه الامطار وتجف نباتات المراعي وتتجه الى ضفاف الانهار حيث تجد الماء وبعض الكلأ الذى لا يسد حاجة حيواناتها فتبقى هذه هزيلة حتى يحل موسم الربيع للسنة التالية فتنزل الامطار وتكثر الاعشاب في البوادي التي لا تدوم الا بضعة اشهر حيث تبدأ الهجرة من الريف الى البادية من جديد ٠

---

(١) ان مقدار ما يحتاج الرأس من الغنم يوميا هو غالونين ، وما يحتاجه الجمل هو ١٦ غالونا ٠ وان سعة البرميل ٤٠ غالونا ٠

ب ـ القبائل التي تتنقل في البوادي في جميع مواسم السنة حيث يتوفر الكلأ دون الماء او يتوفر ماء بعض الآبار الارتوازية دون الكلأ فتضطر في مثل هذه الحالة الى ان تنقل الماء الى حيواناتها حيث يوجد الكلأ • وهناك من البدو من يمتلك سيارات لنقل ماء الشرب له ولماشيته ، حيث كونوا فيما بينهم ما يشبه الجمعيات التعاونية مهمتها شراء السيارات لنقل الماء وسقي الحيوانات •

ج ـ العشائر التي تمتلك ارضاً زراعية على ضفاف الانهار تزرعها بالمحاصيل ونباتات العلف لتربى فيها حيواناتها في المواسم التي يشح فيها النبت والماء وتعود ترسلها الى البوادي في فصل الربيع عند سقوط الامطار ونمو الاعشاب •

من ذلك يظهر ان مشكلتي الماء والكلأ قد استعصي على القبائل البدوية حلها أو التغلب عليها بجانب المشاكل الكثيرة التي تلاقيهم وتبدد الكثير من جهودهم دون جدوى ونذكر على سبيل المثال بعض تلك الصعوبات التي تلازم البدوي في حله وترحاله في ليله ونهاره :

١ ـ صعوبة هجرة القبائل وقطعان الماشية الى مسافات بعيدة طلبا للماء والكلأ مما يسبب اتعابا كثيرة لاصحاب المواشي وانهاك الحيوانات أثناء الهجرة المضنية •

٢ ـ صعوبة نقل الممتلكات والمواد الغذائية والعلفية خلال الهجرة بعد ان قضت السنين المحلة على معظم الجمال •

٣ ـ قلة أو انعدام شجيرات الوقود في المراعي الطبيعية وعلى الأخص في المناطق التي يتوفر فيها الماء والكلأ •

٤ ـ تعرض قطعان الماشية للامراض والهلاك عند تفشي الاوبئة بين الحيوانات وعندما تكون التغذية رديئة تقل المناعة وتفقد المقاومة فيعم الهلاك • وهذه الظاهرة كثيرا ما يشاهدها المرء في السنين المحلة •

٥ ـ الهجرة الكيفية في المناطق الصحراوية دون التأكد من وجود الكلأ في النواحي المقصودة وهذا النوع من الهجرة غير الموجهة كثيرا ما يقود مجموعات كبيرة من أصحاب قطعان الماشية الى متاعب ومهالك هم في غنى عنها •

٦ ـ عدم وجود أسواق معينة قريبة منهم لتصريف منتجاتهم الحيوانية وصعوبة الاكتيال والحصول على المواد الغذائية والمعالجات الطبية والبيطرية والحاجيات الضرورية المختلفة •

٧ ـ انخفاض المستوى الثقافي والاجتماعي والصحي والاقتصادي •

٨ ـ اتجاه قسم كبير من البدو الى الزراعة الديمية في مناطق البوادي غير الملائمة جهلا منهم مما جر الكثير منهم الى تجميد كفاءآتهم واهمال تربية حيواناتهم •

٩ ـ حرث مساحات واسعة من قبل اصحاب المصالح من المراعي الطبيعية التي كانت مراتع ممتازة وغذاءا وفيرا للماشية تقيها شر العاديات ، لزراعتها ديما بالمحاصيل الشتوية • ان تسليط يد الانسان وامكانياته الميكانيكية على الارض البكر لم يكن في صالح البدوي الذي يربي لنا الحيوانات ولم يكن في صالح المستهلك للمنتجات الحيوانية بل كان ذلك ضارا بهما وبالاقتصاد الوطني ، لأن حراثة مثل هذه الاراضي قد ادت الى ابادة الحشائش والشجيرات المعمرة التي تحتاج الى سنين كثيرة لاعادة استنباتها ، والى تفتيت نسيج التربة الامر الذي ادى الى انحسار المرعى وتقليص مساحة المراعي الطبيعية الامر الذي يعرض قطعان الماشية الى المجاعة وبالتالي يؤدي الى عدم توفر اللحوم والحليب ومشتقاته وارتفاع اسعارها • ان هذه المشاكل وغيرها غير مستعصية الحل لو عولجت بنية حسنة وجدية • ولعل مشكلتي الماء والكلأ هما اهم المشاكل التي يجب معالجتها في هذا المقال •

ملاحظة :
عدد الحيوانات التي تربى في المراعي الطبيعية تقدر بنحو سبعة (٧) ملايين رأس •

المراعي الطبيعية

تدل التحريات القديمة والحديثة والمعلومات المتيسرة لدينا على أن العراق كان يعيل من الحيوانات اكثر بكثير مما هو موجود فيه في الوقت الحاضر وان المراعي الطبيعية كانت مزدهرة تسود معظم انحاء القطر العراقي، اما الان فأن معظم المراعي الطبيعية في البوادي قد تحولت الى اراضي جرداء مقفرة خالية من النبت والشجر حيث انقرضت الشجيرات وانعدمت الاشجار وقلت النباتات الحولية نتيجة الرعي الجائر والقلع المستمر وتوفر وسائط النقل الالية واستتباب الامن في البلاد •

اما المراعي في المناطق الجبلية حيث الامطار الغزيرة فأنها في حالة احسن مما هي عليه في مناطق البراري كما ان رطوبة الجو النسبية هناك تكون اعلى وفترات سقوط المطر اطول ، غير ان عدم تنظيم الرعي سبب اختلال وعدم توازن في نسبة عدد الحيوانات وكمية نباتات العلف الطبيعيه النامية شأن بقية مناطق الرعي التي تفتقر الى الادارة الفنية والتشريع القانوني للمراعي الطبيعية •

ان الدراسات المتعددة التي تمت من قبل الخبراء (عراقيين واجانب) الذين زاروا مختلف مناطق العراق واطلعوا على طبيعة المراعي ونوعية النبت والبيئات المتفاوته والمشاكل المتعددة اجمعوا على أن بالامكان تطوير المراعي الطبيعية وزيادة قابليتها الانتاجية من (٣ ـ ١٠ أضعاف) فيما لو اتبعت الطرق الاصولية وهيئت الامكانيات المادية الضرورية وانشيء جهاز اداري

فعال يتعاون مع اجهزة الدوائر الاخرى لادارتها بطرق فنية ٠

وفي هذا المجال لابد من بيان ان نجاح ادارة المراعي الطبيعية في البوادي التي تكون ٤٦٪ من مساحة العراق تتوقف على عوامل كثيرة اهمها الاشراف على أدارة الابار الارتوازية التي تعتبر العنصر الهام في تنميتها وتطويرها ٠ هذا وتشمل المراعي الطبيعية المناطق الرئيسية التالية :

١ ـ مناطق البوادي
٢ ـ مناطق الهضاب
٣ ـ مناطق الجبال
٤ ـ مناطق الاهوار والمستنقعات

ويمكن تلخيص خواص مناطق الرعي وتحديدها بما يأتي :

أ ـ مناطق الرعي في البوادي : وهي المناطق شبه الصحراوية الواقعة جنوب الخط الوهمي الواصل بين بدره (بالقرب من الحدود الايرانية) ومندلي والمقدادية وبيجي وهيت وجنوب الرطبة حتى الحدود الاردنية وتتميز هذه بما يلي :

١ ـ الجزء الشمالي من البادية الشمالية المحدد على وجه التقريب بالخط الممتد والموازي لخط انابيب النفط الواصل بين حديثة والرطبة حتى الحدود الاردنية من جهة ومجرى نهر الفرات والحدود السورية من جهة اخرى ٠ وتمتاز هذه المنطقة بتربتها الطينية الخفيفة او الرملية الحصوية ، وارتفاعها الذي يتراوح بين ١٥٠ و ٦٠٠ متر ، ومقدار سقوط المطر فيها بين ١٠٠ ـ ٢٥٠ ملم ٠ ان هذه المنطقة تعتبر بحق من اغنى مناطق الرعي واجودها ٠

٢ ـ الجزء الجنوبي من البادية الجنوبية : وهي الاراضي الواقعة جنوب الخط الواصل بين الناصرية وبصية حتى منطقة الحياد ، وهذه الاراضي مستوية وذات تربة رملية او رملية حصوية ، ومعدل سقوط المطر فيها نحو (١٠٠ ملم) ويمتاز هذا الجزء بارتفاع الرطوبة النسبية في الجو ووفرة الشجيرات فيه ٠

٣ ـ المناطق الصحراوية الكائنة بين المنطقتين آنفتي الذكر : وهي مناطق صحراوية واسعة منها ما هو صالح كمراع طبيعية ومنها ما هو رديء ، وهذا طبعا يتوقف على خصب التربة ونوعيتها وطبيعة وحالة سطح الارض وتجمع مياه الامطار فيها غير ان العامل الاساسي والمباشر هو مقدار سقوط المطر خلال فصل الشتاء واوائل الربيع حيث تنمو وتسود النبتات الحولية التي تكون مصدرا للغذاء في فصل الربيع ٠ وتتميز منطقة [النخيب] عن باقي المناطق الاخرى بكثرة سهوبها المنخفضة الخصبة ونبتها الغزير ومياهها الجوفية الوفيرة ٠ اما منطقة

[الشبيجة] فتاتي بالدرجة الثانية بعد النخيب ، بينما تكون منطقة [السلمان] صخرية جرداء غير انها لا تخلو من بعض المنخفضات التي تتجمع فيها مياه الامطار مكونة مراتع للحيوانات • وتلي هذه المناطق الثلاث جهة الجنوب منطقة [بصية] التي تقع بالمرتبة الثالثة من حيث جودة المراعى ووفرة النبت هذا ويكون معدل سقوط الامطار في هذه المناطق الاربع الآنفة الذكر نحو (١٠٠ مم) وارتفاعها عن سطح البحر ١٨٠ـ٣٥٠ مترا وقد يتجاوز الارتفاع هذا الرقم باتجاه الحدود السعودية او ينخفض تجاه الزبير وصفوان •

٤ ـ منطقة جزيرة علي الغربي : وهي الاراضي الكائنةشرق وجنوب شرق علي الغربي حتى الحدود الايرانية وتربتها رسوبية طينية وسطحها مستو يصل ارتفاع معظمها الى نحو (١٥٠) مترا ومعدل سقوط المطر فيها ١٥٠ ملم •

٥ ـ منطقة الجزيرة : وهي الاراضي الواقعة بين دجلة والفرات شمالي غربي الفلوجة حتى الحدود السورية • ارضها مستوية ، تربتها السطحية طينية خفيفة او رملية تسود فيها الاراضي الجبسية ارتفاعها ٥٠ـ٢٥٠ مترا وسقوط المطر فيها يتراوح بين ١٢٠ـ٢٠٠ ملم •

ب ـ البراري الرطبة التي تعتمد زراعتها الشتوية على الامطار المستغلة كمراع بعد موسم الحصاد وتشمل هذه مناطق التلال والهضاب الواقعة على ارتفاع يتراوح بين ٤٠٠ـ٧٠٠ متر حيث تعتبر هذه مناطق رعي ممتازة لخصب تربتها ووفرة المياه فيها غير ان سوء ادارتها ادى الى اختفاء نباتات الرعي المستساغة ذات القيمة الغذائية وزيادة نسبة النباتات الاخرى •

ج ـ مناطق الجبال العالية الواقعة فوق مستوى الغابات وعلى ارتفاع ١٨٠٠ ـ ٣٥٠٠ متر تكون مناطق رعي جيدة وعلى الاخص في فصل الصيف اما مناطق الغابات الواقعة على ارتفاع ٧٠٠ ـ ١٨٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر فانها تكون مراعي طبيعية ممتازة تفوق غيرها لخصب تربتها التي هي اقل تعرضا للتعرية والتآكل من غيرها ولتوفر سقوط المطر فيها وارتياد قطعان الماشية لها بصورة تكاد تكون موجهة•

د ـ اما الاهوار والمستنقعات الواقعة ضمن مناطق شبه الصحراوية فانها تكون مراعي طبيعية ممتازة لقطعان الجاموس والابقار في فصلي الصيف والخريف •

هذا وتقدر مساحة المراعي الطبيعية في العراق بنحو ٧٠٪ من المساحة الكلية منها ٢٠٢٥٢٩ كيلو مترا مساحة الباديتين الشمالية والجنوبية وبادية الجزيرة و١٧٠٠٠ كيلو مترا مساحة الغابات و٢٥٠٠ كيلو مترا مربعا مساحة الجبال الكائنة فوق مستوى الغابات وما بقي منها موزع على المناطق

الاخرى • وعلى العموم يمكن القول بأن مناطق الرعي في شمال العراق تحتاج الى ادارة وتنظيم وتوجيه لانماء المراعي وتطويرها وزيادة انتاجها • اما بقية المناطق فتحتاج الى عناية خاصة وجهود كبيرة تبذل في المجالات الفنية والادارية لغرض استنبات النباتات المقاومة للجدب والمستساغة من قبل الحيوانات ونباتات الوقود واشجار الظل وما الى ذلك لتنمية الغطاء الخضري وزيادة قابليته الانتاجية وبالتالي وقاية التربة من التعرية والتآكل والمحافظة على مياه الامطار واستغلالها والمساهمة في توطين البدو حيث تتوفر اسباب العيش الرغيد •

ولاجل التغلب على المشاكل التي تواجه ادارة وصيانة المراعي الطبيعية وتطويرها والاستفادة من كفاءة وقابلية ٤٥٠ الف نسمة يقطنون البوادي وسفوح الجبال الشمالية يمتهنون تربية الحيوانات • ولاستغلال المساحات الواسعة من المراعي الطبيعية وما يتوفر فيها من مياه جوفية وما يسقط عليها من امطار تذهب غالبيتها سدى دون استثمار نرى ان تكون المقترحات التالية اساسا لصيانة المراعي وتطويرها الهادفة الى انماء الثروة الحيوانية :

١ ـ منع الرعي الكيفي وعلى الاخص المبكر والجائر واتباع الدورات في المراعي وبتوجيه القبائل البدوية حيث يتوفر الماء والكلأ •

٢ ـ الاكثار من الابار الارتوازية في البوادي وادارتها وانشاء السدود في الوديان الرئيسية والعمل على كل ما من شأنه حفظ مياه الامطار ونشرها •

٣ ـ ايجاد توازن بين عدد الحيوانات ووفرة النبت وهذا يتوقف على معرفة حمولة الارض ومدى دقة الاحصاء الحيواني •

٤ ـ انشاء مخازن العلف في البوادي لتموين الماشية بالاعلاف المركزة خلال الاوقات الحرجة •

٥ ـ توسيع وتكثير المراعي الاروائية لسد النقص الحاصل في العلف خلال مواسم شحة النباتات الخضراء وخزن الفائض عن الحاجة •

٦ ـ منع الزراعة الديمية في المناطق الرعية التي يقل فيها معدل سقوط المطر عن ٣٠٠ ملمتر •

٧ ـ انشاء محطات انوار جوية تفي باغراض واهداف ادارة المراعي الطبيعية

٨ ـ ايفاد الفنيين العراقيين الى خارج للدراسة والتدريب •

٩ ـ تشريع قانون المراعي الطبيعية (جهزت وزارة الزراعة بمسودة القانون) •

١٠ ـ انشاء جهاز اداري وفني للمراعي الطبيعية واعطائه الصلاحيات الواسعة لتمشية اموره الآنية والتخلص من الروتين (جهزت وزارة الزراعة بالتشكيلات الضرورية) •

اول جامعة ببغداد في العصور الوسطى

ناجي معروف

الفصل الاول

بحث مقارن بين المستنصرية والمدارس التي سبقتها

لقد عملت المستنصرية في زهرة شبابها الشيء الكثير لخدمة العلم ، وتقديم المعرفة الى الانسان العربي والمسلم في العصور الوسطى . وكانت اول جامعة اسلامية كبرى في البلاد العربية والاسلامية بل في العالم اجمع بحسب مفهوم لفظة (الجامعة) اليوم . افتتحت في اليوم الخامس من شهر رجب سنة ٦٣١هـ. وانقطعت اخبارها سنة ١٠٤٨هـ..

اما المدارس العربية والاسلامية التي سبقتها ببغداد ، وقرطبة ، ودمشق ، والقاهرة ، ونيسابور ، وتونس ، ومراكش ، والموصل ، والحجاز واليمن ، فقد كانت معاهد علمية ، أو كليات كبيرة تختلف عن المستنصرية من الوجوه التالية التي كنا أول من نبه اليها بعد البحث والتحري الدائبين(١) :

١ ـ ان المستنصرية كانت تتكون من عدة معاهدة علمية ، او كليات او اقسام علمية ، بينما نجد ان سائر المدارس الاخرى كانت تتكون في الغالب من بناية واحدة كالنظامية والمرجانية ببغداد ، ومدرسة السلطان حسن بمصر ... الخ .

٢ ـ ان المستنصرية اول مدرسة الحقت بها دار للقرآن ، ودار للحديث الى جانب مدرسة الفقه ، ومشيخة العربية ، وقسم الرياضيات ، والعلوم الاخرى التي سيرد ذكرها .

٣ ـ ان المستنصرية اول مدرسة عربية كان فيها معهد خاص بالطب تدرس فيه العلوم الطبية في بناية خاصة الى جانب العلوم المختلفة التي كانت هي الاخرى تدرس في بنايات خاصة بها كمدرسة الفقه ، ودار القرآن ، ودار الحديث ... الخ . وبذلك تميزت المستنصرية بأنها أول جامعة كان فيها قسم علمي خاص بالطب ، ولم تكن المدارس العراقية أو الشامية أو المصرية أو المغربية كذلك..

٤ ـ ان اغلب المدارس التي ظن بعض الباحثين(٢) انها كانت جامعات ، أو أقدم الجامعات الاسلامية ، كجامعة « الزيتونة » في تونس ، وجامعة « القرويين » في فاس و « جامعة الازهر » في القاهرة تختلف عن المستنصرية من حيث خلوها من المعاهد العلمية العديدة · اي انها كانت مدارس على مذهب واحد من المذاهب الفقهية ، او مشتركة بين مذهبين او ثلاثة مذاهب منها ·

٥ ـ ان المستنصرية كانت أول جامعة أسلامية جمعت فيها المذاهب الفقهية الاربعة ثم حذت حذوها المدارس التي انشئت بعدها في مصر والعراق والشام والحجاز ·

٦ ـ ان المدارس المذكورة في اعلاه علاوة على خلوها من المعاهد المختلفة والاقسام العلمية فأنها لم تكن لها مبان خاصة بها ، ذات هندسة خاصة ، أو طراز خاص ، ذلك لانها لم تؤسس لتكون جامعات بل بنيت لتكون مساجد وجوامع للناس كافة لاداء الفروض الدينية فيها كجامع : الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في المغرب ، والجامع الازهر في مصر وكانت ، في الوقت نفسه لتدريس العلوم في حلقاتها في أو في بعض المباني التي انشئت في داخلها · بينما بنيت المستنصرية لتكون جامعة لتدريس العلوم المختلفة منذ أول تأسيسها · وكان المسجد فيها جزءا صغيرا من اجزائها العديدة بني في داخلها ليؤدي فيه ارباب هذه الجامعة الفروض الدينية ليس غير · لذلك يمكننا ان نعتبر الزيتونة ، والقرويين ، والازهر مساجد للعبادة ، ومعاهد للتدريس على غرار جامع الكوفة ، وجامع البصرة ، وجامع الفسطاط ، وجامع المنصور ، وجامع الرصافة ، وجامع القصر ببغداد ، فأذا اخذنا بمبدأ التدريس في الجوامع امكننا ان نعتبر مسجد الرسول (ص) في المدينة هو الجامعة الاولى التي انبثقت منها انوار المعرفة الاسلامية الاولى وليس هذا هو المراد في هذا البحث ·

٧ ـ اما جامعات الغرب فقد انشئت على غرار جامعات المسلمين في صقلية والاندلس وكانت في بدء أمرها تتكون من اتحادات للطلبة واتحادات للاساتذة ولم يصل فيها البحث العلمي الى ما وصلت اليه الجامعات العربية الا في القرن الخامس عشر الميلادي ·

الفصل الثاني

مزايـــا المستنصريـــة

ويمكننا ان نجزم استنادا الى ما روته كتب التاريخ المعتبرة بـــأن المستنصرية أول جامعة عربية عنيت بتدريس اكبر مجموعة من العلوم فقد عنيت بدراسة علوم القرآن ، والسنة النبوية ، والمذاهب الفقهية ، وعلوم

العربية ، والرياضيات ، وقسمة الفرائض والتركات ، ومنافع الحيوان ، وعلم الطب وحفظ قوام الصحة ، وتقويم الابدان في آن واحد .

ويتبين لنا من دراسة شؤون المدارس الاسلامية وأحوالها في العالم العربي والاسلامي في سنة ٦٣١ هـ وهي السنة التي افتتحت فيها المستنصرية ان الخليفة المستنصر بالله العباسي ٦٢٣ هـ - ٦٤٠ هـ (١٢٢٦م-١٢٤٢م) اول من ابتكر فكرة جمع المذاهب الفقهية الاربعة في بناية واحدة كما اشارت الى ذلك جميع المراجع العربية ، وأيدتها الكتابة الآجرية التي ثبتها المستنصر على باب المدرسة الرئيس . وامتازت المستنصرية بوجود بناية خاصة للطب ملحقة فيها مما لم نجد لذلك مثيلا في المدارس الاخرى التي عاصرت بناءها أو التي بنيت قبلها . وعلاوة على ذلك فقد شرط المستنصر ان يكون فيها دار للقرآن ، واخرى للسنة النبوية وبذلك يكون المستنصر أول خليفة في العالم الاسلامي جمع في آن واحد : المذاهب الفقهية الاربعة ، وعلوم القرآن ، والسنة النبوية ، وعلم الطب ، والعربية ، والرياضيات ، والفرائض .... الخ . وجعلها في مبان عديدة متلاصقة أو متجاورة اطلق عليها اسم « المستنصرية » بعضها باق حتى اليوم ، وبعضها درس وعفى عليه الزمن . ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك فقد كانت مدارس الطب تبنى مستقلة عن مدارس الفقه ، ودور الحديث ، أو دور القرآن . وقد ظلت دور القرآن التي انشئت فيما يظهر قبل المستنصرية بقرنين - مستقلة أو في داخل المساجد الى ان انشئت المستنصرية فصارت تلحق بالمدارس بوجه عام . واما دور الحديث فيظهر انها كانت تشترك احيانا مع دور القرآن فتبنى دور مشتركة للقرآن والحديث معا ، وتكون مستقلة عن مدارس الفقه أو تجعل في المساجد . وظلت دور الحديث كذلك الى ان انشئت المستنصرية حيث ألحق بها دار للحديث . ومن ثم صارت دور الحديث على الاغلب تلحق بمدارس الفقه الى جانب مدارس الطب ودور القرآن اسوة بالمستنصرية .

ويمكننا ان نضيف الى هذه المزايا الجليلة التي تحلت بها المستنصرية أمرين آخرين هما :

١ - تعيين المشاهرات النقدية واجراء الجرايات العينية يوميا على أرباب المستنصرية من طلاب ومدرسين وموظفين ومستخدمين . وكان ذلك كله اختراعا من الواقف كما يقول ابن وهاس الخزرجي(٣) .

٢ - تأسيس حمام في المستنصرية رتبه المستنصر لجميع أرباب المشاهرات يدخلون اليه متى احتاجوا ، وفيه من يقوم بخدمتهم . وهو كما يقول احمد بن عبدالله البغدادي في كتابه عيون اخبار الاعيان(٤) « امر لم يسبق اليه » .

الفصل الثالث

المدارس التي بنيت على صفة المستنصرية

وبعد أفتتاح المستنصرية في اليوم الخامس من شهر رجب سنة ٦٣١ هـ أصبحت المستنصرية قدوة لمؤسسي المدارس من الرجال ، والنساء في العراق ومصر والشام والحجاز حيث شرعوا يؤسسون مدارسهم على صفتها من حيث الدراسة على المذاهب الاربعة ، وتدريس الطب والعلوم اضافة الى الفقه والتفسير والحديث والعربية . وربما بنوها على غرارها أيضاً من حيث هندسة البناء ، وطراز المداخل والدهاليز ، والزخرفة واحتواؤها على أربعة أواوين للمدرسين الاربعة وبذلك تكون بغداد قد سنت لبلاد العربية سنة بناء المدارس على نمط معين تجمع فيه المذاهب الاربعة في بناية واحدة اذ لم يمض على أفتتاح هذه المستنصرية عشر سنوات حتى فتحت في مصر(٥) اول مدرسة للمذاهب الاربعة سنة ٦٤١ هـ وهي المدرسة الصالحية التى انشأها الملك الصالح نجم الدين ايوب بالقاهرة وهو كما يقول المقريزي : « اول من عمل بديار مصر دروسا أربعة في مكان » « ورتب دروسا اربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الاربعة سنة احدى واربعين وستمئة » .

وفي بغداد شرعت زوجة المستعصم بالله المعروفة بـ (باب بشير) سنة ٦٤٩ هـ ببناء المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد « وجعلتها وقفا على المذاهب الاربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية »(٦) وفي اول سنة ٦٦٢ هـ انشأ الملك الظاهر بيبرس المدرسة الظاهرية بين القصرين(٧) بمصر للطوائف الاربع في أربعة أواوين متقابلة كل طائفة في ايوان وجعل فيها دروسا للحديث ، والقرآن . كما تم ببغداد سنة ٦٧١هـ بناء المدرسة العصمتية التي امرت بانشائها « شمس الضحى »(٨) شاهلبنى بنت عبدالخالق ابن ملكشاه بن السلطان صلاح الدين الايوبي بمشهد عبيدالله بن عمر العلوي بالاعظمية ظاهر بغداد ووقفتها على الطوائف الاربع أيضا . وفي مصر انشأ الملك ابن قلاوون الالفى « المدرسة المنصورية »(٩) في أواخر القرن السابع الهجري « ورتب بها دروسا اربعة لطوائف الفقهاء الاربع ودروسا للطب . ورتب بالقبة المنصورية التي تجاه هذه المدرسة درسا للحديث النبوى ودرسا لتفسير القرآن الكريم(١٠) وكان في هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الاربعة(١١) . وعلى هذا الغرار كان المارستان الكبير المنصورى ٦٨٣ هـ والمدرسة الناصرية ٧٠٣ هـ ومدرسة السلطان حسن ٧٥٧ هـ والبرقوقية ٧٨٨هـ والجمالية(١٢) ٨١١هـ بالقاهرة ، والمدرسة المسعودية(١٣) ببغداد في أواخر القرن الثامن ، والمدرسة الصلاحية بحلب ٧٣٧هـ ومدرسة الملك المنصور بمكة سنة ٨١٤ هـ وكلها بنيت عى المذاهب الاربعة .

الفصل الرابع

المستنصرية في اواخر ايامها

وقد ظلت المستنصرية تدرس العلوم المختلفة اكثر من اربعة قرون منذ

افتتاحها ٦٣١ هـ حتى سنة ١٠٤٨ هـ ، وقد عرفنا عنها معلومات كثيرة في القرنين الاولين • اما في القرنين الاخيرين فقد قضى تيمورلنك على مدارس بغداد ونكب علماءها واخذ كثيرا من ادبائها وعلمائها وقرائها وخطاطيها ومهندسيها ومعماريها الى سمرقند • يضاف الى ذلك ان كثيرا من أهلها هاجروا الى مصر والشام وغيرهما من البلاد العربية والاسلامية الاخرى ذلك لانه « جرت بالعراق حروب وفتن ، وطالت خطوب واحن »(١٤) • ولا نعرف عن المستنصرية في هذين القرنين الا اخبارا يسيرة منها ما ذكره كاتب جلبي(١٥) عنها سنة ٩٩٨ هـ حيث ذكر ان المستنصرية كانت يومئذ أجل مدارس مدينة السلام • ومنها ما يتعلق بتعيين غانم البغدادي مدرسا فيها في تلك السنة واستشهاده سنة ١٠٣٠ هـ كما اننا وجدنا بين الشهود الذين ذيلت بهم وقفية جامع القلعة الذي لايزال في قلعة وزارة الدفاع توقيعا بختم مدرس من مدرسي المستنصرية اسمه « ابراهيم » وتاريخ الوقفية يرجع الى سنة ١٠٤٨ هـ •

ومما لا شك فيه ان التدريس انقطع نهائيا فيها عندما جعلها والي بغداد أبو سعيد سليمان باشا خانا وقفه على مدرسته المعروفة اليوم « بالسليمانية » ببغداد بين سنتي ١١٩٣ هـ - ١٢١٧ هـ •

واما مكتبتها الشهيرة فقد كانت من المراكز الثقافية المهمة ببغداد كما يتبين ذلك مما كتبه المؤرخ العراقي ابن الفوطي الشيباني عنها وعن خزانها المشهورين كابن الساعي أحد كبار مؤرخي العراق ، ومحيي الدين المخزومي • وياقوت المستعصمي من اعاظم الخطاطين ببغداد في القرن السابع الهجري • وعن المشرفين على خزانها أو عن المناولين فيها ، وعن الذين كانوا يترددون عليها من الخلفاء ، والامراء ، والملوك ، والسلاطين ، وكبار العلماء ، وهواة الكتب •

وقد زالت هذه المكتبة من عالم الوجود بعد غزو تيمورلنك لبغداد سنة ٧٩٥ هـ وسنة ٨٠٣ هـ وأصبحت أثرا بعد عين اذ لم يكد الربع الاول من القرن التاسع الهجري ان ينتهي حتى لم يبق فيما يظهر في خزانة المستنصرية كتاب واحد • وقد اشار ابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨ هـ الى ذلك بقوله « وكان المستنصر قد اودع خزانته في المستنصرية ثمانين الف مجلد على ما قيل والظاهر انه لم يبق الآن منها شيء والله الباقي »(١٦) •

الفصل الخامس

اثر المستنصرية في الثقافة العربية

ويمكننا ان ندرك أهمية المدرسة المستنصرية من عدد علمائها الذين استطعنا العثور عليهم في المظان المختلفة بعد التحري والاستقصاء في المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات الغرب وفي مكتبات البلاد العربية كتونس ، ومصر ، ودمشق ، والعراق وبعض البلاد الاسلامية كاستنبول وغيرها • وقد عرفنا منهم نحو (٣٥٠) شخصية علمية في الحقبة التي انتهت بسقوط

بغداد بيد التتار سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وفي عهد المغول ونستطيع ان نؤكد ان المستنصرية ونحو ٣٧ كلية وجامعة أخرى ببغداد وحدها كان لها فضل كبير في نشر الثقافة العربية والاسلامية في اواخر الدولة العباسية واوائل عهد المغول • كما كان لعلماء المستنصرية بوجه خاص فضل عظيم في تقدم المعارف الانسانية في أحلك العصور وأشدها ظلاما فقد كانوا خلال فترة الحكم المغولي للبلاد يحملون مشاعل العلم ونتاج الفكر الاسلامي مدة قرن ونصف القرن • ومن اشهر من ذكرهم المؤرخون المسلمون من بين رجالها ، وعلمائها وخزان كتبها :

١ ـ آل العاقولي الثلاثة وهم جمال الدين وابنه محيي الدين وحفيده غياث الدين الذين ينتمون الى اللخميين أجداد المناذرة • وكانوا كبراء بغداد انتهت اليهم الرئاسة بها في مشيخة العلم ، والتدريس ، ورواية الحديث في العراق بل في الدنيا •

٢ ـ آل الجوزي الذين ينتمون الى سلالة ابي بكر الصديق (رض) وكان لاثنين منهم فضل كبير في التدريس بالمستنصرية وهما : محيي الدين ابن الجوزي وابنه جمال الدين ابو الفرج ابن الجوزي وقد قتلا مع بقية آل الجوزي صبرا بسيف التتار سنة ٦٥٦ هـ •

٣ ـ ومنهم المؤرخون المشهورون الذين لمعت اسماؤهم في تدوين تاريخ العراق بوجه خاص تدوينا مفصلا وهم : أبو الحسن القطيعي ، وابن النجار وكان من محاسن الدنيا • والذهلي وابن الساعي ، وابن الفرطي الشيباني •

٤ ـ والفقهاء الذين لا يحصون كابن السباك الحنفي وهو الذى اطلق عليه « لقب استاذ » وقد انتهت اليه الرياسة بالمستنصرية • والزريراني العراقي الذي انتهت اليه معرفة الفقه في العراق بل هو فقيه العراق ومفتي الآفاق كما يقولون •

٥ ـ وكان من علماء المستنصرية جغرافيون وبلدانيون مشهورون كعبد المؤمن بن عبدالحق الذى ينسب اليه كتاب « مراصد الاطلاع » العظيم •

٦ ـ ومنهم اطباء مشهورون كانوا ماهرين في الطب ، ولهم فيه مصنفات قيمة كشمس الدين ابن الصباغ ، وربيبه مجد الدين المعروف بسنجر ، وعلاء الدين الاربلي ، وابن الكتبي الشافعي •

٧ ـ ورياضيون وفرضيون كقمر الدين الحاسب الرياضي الفرضي ، وصفي الدين بن عبدالحق وكان اماما في الفرائض والجبر والمقابلة ، ومهندسون كهبة الله الذهلي الشهرابان المهندس •

٨ ـ ومقرؤون ، ومفسرون اسندت اليهم مشيخة دار القرآن المستنصرية كفخر الدين البعقوبي ، وابن المريمي ، وابن الدامغاني ، وغيرهم من شيوخ المقرئين ، وعلماء القراآت الذين كانوا بصيرين في شواذها وعللها •

٩ ـ ومنهم ادباء ونحويون انتهت اليهم مشيخة الأدب العربي كابن الانصاري الخزرجي ، وابن انقواس الموصلي ، والذهلي الشهراباني الاديب وابن الصيقل الجزري الذي القى فيها مقاماته سنة ٦٧٦هـ على ١٦٠ عالما من علماء بغداد ، وابن الفصيح الكوفي شيخ نحاة بغداد ، وابن اياز ، وذو الفقار القرشي ، وابن السباك الذى تفرد بالعلوم الادبية ، ونظم شعرا تجاوز به حد الشعرى ٠

١٠ـ ومن رجال المستنصرية خزان عظماء عنوا بتنظيم دار الكتب المستنصرية فكان لهم فضل على نشر العلم امثال: ابن الساعي وابن الفوطي وغيرهما

١١ـ ومنهم خطاطون كتبوا بالخط المنسوب ، وتركوا كثيرا من الكتب بخطهم الجميل كياقوت المستعصمي قبلة الكتاب وصفى الدين بن فاخر الارموي المغني العظيم صاحب كتاب الادوار والرسالة الشرفية في الغناء ، وصفي الدين بن عبدالحق ، وتاج الدين ابن السباك الذي كان خطه : رياضا مونقة ما يرضى ان يكون ياقوت المستعصمي فصا في خاتمه ٠

١٢ـ ومن مدرسيها محتسبون تولوا الحسبة بجانبي بغداد ، وقضاة تولوا القضاء فيها ٠ كما تولى عدد منهم قضاء القضاة أيضا امثال : محمود الزنجاني ، وابن مقبل الواسطي ، وابن اللمغاني ، وعز الدين النيلي ٠

١٣ـ وكان منهم سفراء بين الخليفة المستنصر وبين الملوك والامراء من المسلمين والروم امثال : محيي الدين بن فضلان ، ويوسف ابن الجوزي ، وعبدالرحمن ابن الجوزي ٠

١٤ـ وقد ترك هؤلاء العلماء كافة مئات المؤلفات القيمة منها المطبوع ومنها ما ترجم الى اللغات الاجنبية ٠ ومنها ما لا يزال مخطوطا في امهات المكتبات العالمية ٠ ومنها ما لم يبق الا اسمها وما نقل عنها ٠

١٥ـ وقد رحل بعض علماء المستنصرية رحلات طويلة للتحري والبحث عن الحقائق العلمية في الاقطار العربية والاسلامية كرحلة ابن فضلان وابن النجار وغيرهما ٠ كما قصد هذه الجامعة عدد كبير من العلماء والمؤلفين من البلاد الاسلامية النائية للدرس والتدريس ٠

١٦ـ وكان لمدرسيها فضل على كثير من النساء العالمات اذ درسن عليهم ونلن الاجازات منهم ٠ كما كان لكثير من النساء فضل كبير على رجال المستنصرية ، فقد درسوا عليهن وحصلوا على الاجازات العلمية منهن ٠ فقد درس عبد العزيز بن دلف الخازن بمكتبة المستنصرية ، الحديث على « شهدة » الكاتبة ، المؤلفة ، كما درس على خديجة النهروانية ٠ ودرس عبد المؤمن بن عبد الحق على ست الاهل بنت علوان ٠ ودرس ابن النجار على اربعمئة عالمة من النساء العربيات والمسلمات ٠

١٧ـ ونستطيع ان نقول : انه كان بين مدرسي المستنصرية علماء احرار وقضاة جريئون كانت لهم اراؤهم الخاصة بهم فلم يقلدوا غيرهم من العلماء • وكانوا يقولون ان المشايخ قبلنا كانوا رجالا ونحن رجال • امثال : محمود الزنجاني ، وقاضي القضاة ابن اللمغاني الحنفي ، وسراج الدين الشارمساحي المالكي •

١٨ـ وكان كثير من علماء المستنصرية من ذوى المكانة العالية لا يغشون الاكابر ، ولا يخالطونهم كصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق بل كان الاكابر يترددون اليهم ، وقد رد ابن وضاح على أهل الالحاد • ومدح العلماء • وذم الاغنياء ، كما ذم الاباحيين اكلة الدنيا بالدين • وكان من علمائها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويواجه الكبراء بما يكرهون ، كسراج الدين الازجي •

١٩ـ ولابد ان نذكر بفخر واعتزاز ان الفنان العراقي المجهول هو الذي جعل من هذه الجامعة العظيمة مدرسة فنية كبرى حيث تفنن باساليبه المعمارية في بناء مدخلها واواوينها واروقتها وقاعاتها ، وتسقيف سقوفها ، كما تفنن في تنويع زخارفها بحيث أصبحت جدرانها رياضا موشاة ، وسقوفها خمائل جميلة •

٢٠ـ واخيرا يمكننا ان نشير الى ان سبعة من اكابر علماء المستنصرية استشهدوا في وقعة بغداد صبرا بسيف التتر ، وهم يذودون عن دينهم وبلادهم سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) •

---

(١) راجع مؤلفاتنا : تاريخ علماء المستنصرية سنة ١٩٥٩ • مقدمة فى تاريخ المستنصرية وعلمائها ١٩٥٨م • وعلماء المستنصرية سنة ١٩٥٩ • وموجز تاريخ الحضارة العربية سنة ١٩٤٨ والمدخل فى تاريخ الحضارة العربية ١٩٦٠ والمدرسة المستنصرية سنة ١٩٣٥ •

(٢) لاحظ مجلة العربي العدد ٦ سنة ١٩٥٩ ص ٢٨ ـ ٣٢ المقال المعنون « جامعة القرويين » هي اقدم جامعة اسلامية في الدولة العربية ، ولاحظ الصفحة ٢٧ ـ ٤٤ العدد ٦ من سنة ١٩٥٩ أيضا من المجلة نفسها المقال المعنون « جامع الزيتونة اقدم جامعة اسلامية في عصرنا الحاضر • »

(٣) الورقة ١٤٩ في حوادث سنة ٦٣١هـ •

(٤) الورقة ١٥٩ من مخطوطة باريس •

(٥) ج ٤ ص ٢٠٩ •

(٦) الحوادث الجامعة ٢٧٥ •

(٧) المقريزي ج ٤ ص ٢١٧ •

(٨) مجمع الآداب ج ٥ ص ١٣٨ •

(٩) المقريزي ٤ : ٢١٨ ـ ٢١٩ •

(١٠) المقريزي ٤ : ٢١٨ •

(١١) المقريزي ٤ : ٢١٩ •

(١٢) المقريزي ٤ : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ وابن كثير ج ٤ ص ٢٧٩ •

(١٣) تاريخ الذهبي ص ١٨٥ •

(١٤) راجع ديوان صفي الدين الحلي •

(١٥) فذلكة كاتب جلبي ٢ : ٥ •

(١٦) عمدة الطالب ص ١٨٢ •

القومية في شعر رشيد الهاشمي

الدكتور احمد مطلوب

بينما كانت الامة العربية تسعى الى تمزيق قيودها التي رسفت فيها زمنا طويلا ، وتحاول الانطلاق الى حياة فضلى تتنسم فيهـا عبير الحريـة ، وتتذوق طعم العدالة ، وتتلمس طريق الوحدة التي تجعل من اقاليمها دولة عربية واحدة يهابها الطامعون ، وتحترمها أمم العالم وشعوبه ... وبينما كان الزهاوي والرصافي يقذفان الحمم في وجه الطغاة الظالمين ، ويدفعان العرب نحو التحرر والانطلاق والتخلص من نير العبودية الذي شدهـا الى الاجنبي شدا محكما ، ودفعها الى الهاوية دفعا أفقدها سماتها وخصائصها ، وكسف وجهها المشرق الوضاء الذي زهت به آمادا طوالا ... في هذه الفترة كان شاعر من بغداد يصب على الطامعين اللهب ، ويقذف الطغاة بقصـائد كادت تحرقهم وتلقي بهم في مهـاوي الردى ، لولا تمسكهم بالاستعمـار ، وارتماؤهم في أحضان الغزاة الطامعين .

وهذا الشاعر هو «رشيد الهاشمي» البغدادي ، شقيق الشاعر المعاصر الاستـاذ محمد الهـاشمي ، والسيد عبدالمجيد المفتي القـاضي ، والسيـد عبدالرزاق الهاشمي أحد شعراء الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ .

وقد ولد محمد رشيد بن يحيى الهاشمي في محلة الشيخ صندل بكرخ بغداد سنة ١٨٩٦م ، وتعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب ، وتلقى علومـه اللغوية على العالم الكبير السيـد محمود شكري الالوسي . وقـال الشعر مبكرا ، وساهم في الحركات التي بدأت لتحرير الوطن العربي من طغيان الحكم العثماني ، وانضم الى الجمعيات السرية التي كانت تعمل للقضيـة العربية ، وارسل الى السيد «طالب النقيب» مبديا رغبته في التطوع بالجيش العربي ، واستأذنه بالشخوص الى مصر من أجل ذلك ، وقد رحب به السيد النقيب ترحيبا بالغـا ، وارسل اليه من القـاهرة في ٢٨ ينـاير (كانون الثاني سنة ١٩١٨) بهذه الرسالة التي ترسم لنا جانبـا من حيـاة هـذا الشاعر المجاهد :

« حضرة البارع اللبيب والحسيب النسيب السيد محمد رشيدالهاشمي المحترم ــ دام بقاه ٠

بعد التحيات الطيبات وأزكى التسليمات :

تناولت بأيدي الاعزاز نميقتكم المعربة عن تلطفكم بالاستئذان بالحضور لمصر ، وعن رغبتكم الصادقة في التطوع بالجيش العربي لخدمة قومكم النجب، فحمدتكم هذه العواطف الشريفة التي وقعت في نفسي موقعا طيبا ٠ وقد أرسلت خبرا لجناب الماجور كورنواليس رئيس المكتب العربي بديوان أركان الحرب العام مع الشيخ فؤاد الخطيب ، وقد أبلغونا خبر سفركم ، فأسأل الله موفقيتكم في عزيمتكم ٠ ومكتوبكم الاول وصلني أيضا بواسطة حضرة ذي العطوفة السيد حسن خالد بك الصيادي ابن عمي العزيز وأجبتكم عليه في حينه ٠ وبالامس زارني أخوكم وسررت بلقائه ، وهو في صحة جيدة ٠

واهديكم في الختام الدعوات القلبية بنجاحكم ليكون لسيادتكم بذلك شرف الدارين والسلام ٠ »(١) ٠

وقصد الشاعر رشيد الحجاز سنة ١٩١٦ هاربا من الظلم والطغيان ، وجاب بعض الاقاليم العربية ، وشارك بيده وبلسانه في تحرير البلاد ، فكان نصيبه الحكم بالاعدام والتشريد في الآفاق ٠ ولكن الله ــ سبحانه وتعالى ــ أراد له الحياة فعاد الى بغداد التي حن اليها كثيرا ، بعد أن دخل الفرنسيون الشام ، وسقط الشهداء صرعى في ميسلون وغيرها من معارك الشرف والفداء ٠

ولم يجد الشاعر في وطنه ما كان يسعى اليه ، ولكن ذلك لم يثنه عن الجهاد فشارك في ميدان الصحافة ورأس تحرير جريدة « الرافدان » التي كان يصدرها الاستاذ سامي خوندة سنة ١٩٢١ ٠ ورأس تحرير جريدة « دجلة » التي أصدرها المحامي داود السعدي في سنة ١٩٢١ ، وكانت تطالب بالنظام الجمهوري ، وتفضله على النظام الملكي ٠

وفي عام ١٩٢٢م دخل مدرسة الحقوق ، ولكن القدر لم يمهله ليجني ثمر أتعابه ، فقد أصيب قبيل تخرجه بأيام قلائل بصدمة نفسية عنيفة أفقدته صوابه ، فأدخل مستشفى المجانين ، ولبث فيها سبعة عشر عاما نسياً منسياً الى أن وافاه الاجل المحتوم في أوائل سنة ١٩٤٣م ، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ببغداد(٢) ٠ يقول الاستاذ محمد بهجة الاثري متحدثا عن مأساته : « فما شارف نهاية مرحلته التي تظفره بشهادة التخرج ، حتى بدا عليه الاختلال ، فصار في أول أمره يجلس وحده ساعات طوالا ، ويعلوه الوجوم فلا ينبس مع انسان بحرف ٠ ثم طفق يكثر السير ساعات طوالا على الجسر ذاهبا آيبا حتى ينال منه التعب ، فيمضي منسابا الى مثواه ، الى أن عن له آخر الامر فذهب الى البلاط فطلب فتح قاعة العرش له هاتفا : « انني أنا الدكتيتر » ٠ فكان ذلك آخر العهد به اذ ادخل بعد

أيام الضياع والعذاب مستشفى المجانين ... وآأسفاه ! . ولم يره الناس من بعد يومه الا مرتين ! مرة أصاب فيها غفلة من الحراس ، فخرج هائما على وجهه في الاسواق . وما أنسى لا أنس منظره المحزن ، وهو يعدو في سوق الكتب في ثوب من الكرباس أسمر غليظ يعلوه الدرن ، حاسرا حافيا ، زائغ البصر . والاخرى هي التي وافاه فيها حمامه فاخرج محمولا على الآلة الحدباء الى وحشة السكون الابدي بعد سكون حركته الدائبة ستة عشر عاما قضاها منسياً في وحشة ذلك المستشفى الرهيب »(٣) .

ورثاه أخوه الشاعر محمد الهاشمي بقصيدة مؤثرة منها :

قل لهم : ما وفاء حق الاديب ؟	شغلوا عنك بالزمان العصيب
قل لهم : كيف اسكتتك منون	من بيان ، وأنت أي خطيب
يا أخي ـ لا تلم ـ تجافاك قوم	حرموا من وفائهم من نصيب
ليت فيهم حفيظة لذمام	عند فرض له وعند وجوب(٤)

ولم يترك الشاعر رشيد الهاشمي الا قصائده(٥) التي صبها على رؤوس الخونة وأعداء العروبة والاسلام . وكادت هذه القصائد تضيع ويلفها النسيان لولا أخوه الاستاذ محمد الذي حفظ بعضها في ديوان صغير جمعه الشاعر نفسه قبل مأساته(٦) ، ولولا أن هيأ الله لهذا الشاعر الاستاذ عبدالله الجبوري « الذي أقام الادب مقام النسب بينه وبين الشعراء والادباء ، ووفى لهم أحياء وأمواتا » فجمع قصائده المتناثرة ، وضمها الى الديوان الصغير ،. وقدم للناطقين بالضاد « ديوان رشيد الهاشمي » لاول مرة سنة ١٩٦٤(٧) ، بعد أن علق عليه وكتب له مقدمة صافية عن حياة الشاعر .

والناظر في « ديوان رشيد الهاشمي » يجد الشعر القومي يطغى على القصائد الاخرى ، ولعل سبب ذلك ايمان الشاعر بعروبته ودينه ، واندفاعه الصادق نحو تحقيق أهداف الامة العربية في الحرية والوحدة واقامة المجتمع السليم . فقد خاض ـ رحمه الله ـ غمار الحياة ، ودخل معركتها ، وذاق الويلات ، وشرد في الآفاق ، فزار مصر والحجاز والشام . وكان لا يحظى بأمله المنشود في كل اقليم من هذه الاقاليم ، وكان لا يستقر به حال في أي بلد عبثت به أصابع الاجنبي ، ووجهته الى حيث لا يريد العرب المخلصون ، ومن هنا اطلق الشاعر قصائده ، ودعا الى تحرير العرب واقامة دولة الوحدة في ظل نظام جمهوري تكون السلطة فيه للشعب لا للخونة المارقين .

وأول ما يطالعنا في ديوانه قصيدة « أيها الليل » ، وقد قالها معرضا بالسلطة التي شبهها بالليل المطبق ، والظلام الدامس ، الذي كان يلف الامة كلها يومذاك ،. يقول :

أنت يا ليل باضطهادك ضيقـ	ـت على أمتي ، على أفكاري
سيلوح الصبح المنير فتوري	وجهك المكفهر ، بجذوة نار

انظر الفجر قد بدا كحسام ... لاح للناظرين تحت الغبار
الفرار ، الفرار ، يا ليل ان الطعـ ... ـن يزجي الجبان تحت الفرار(٨)

ورأى الشاعر أبناء قومه ، وما كان بينهم من صراع مزق شملهم ، وفرق كلمتهم ، فصرخ قائلا :

يا راكضين وراء الفلس ان لكم ... بالاتحاد بلاداً جمة المؤن
لو تذكرون فعال الظالمين بكم ... وقتلهم كل شهم بالعلى قمن
لما قعدتم عن الجلى ولا ركنت ... نفوسكم للاماني شيمة اليفن
ولا جهلتم بما دس العدو بكم ... دسائساً تركتكم عنه في وهن
ليت الدماء التي ما بينكم سفكت ... مسفوكة في سبيل الله والوطن
وليت هذا التعادي كان متجهاً ... نحو الاعادي فباتوا اليوم في غبن
يا للرجال الى الاخلاص فاستبقوا ... فانه نجوة من هذه الفتن(٩)

وصرخ قائلا :

يا لقومي وأين مني قومي ... هل عرا غرب سيف قومي فلول
وسألت الطلول والوحش حتى ... أخبر الصمت ما بهنا مسؤول
فأجابت الصدى سؤالي بشجو ... قد أتتهم من الزمان سيول
أغرقتهم ، فهم ببحر عميق ... ما به ملجأ لهم وتلول
عجباً للسيول كيف اكتحتهم ... وهم الراسيات ، ما ان تميل
أو ما فيهم الشجاعة خصت ... وبألحانهم أتى جبريل
أين آثارهم ؟ محتها الليالي ... أين أعلامهم ؟ وتلك الاصول(١٠)

وصاح بالنيام ، والاسى يمزق قلبه :

يا نائمين على جور الهوان كفى ... ذل يغادر صدر الحر موقوداً
لو استفقتم لكنتم خير مستبق ... الى المفاخر تزجون الجلاميدا
هبوا وذبوا عن استقلالكم بظبى ... تخلف الدهر مضنى القلب معمودا
لابد للعرب أن تحيى بوحدتها ... وأن نرى تاجها للكف موسودا(١١)

ودعاهم الى خوض المعارك ونيل العلى بعد أن ناموا في الظلام سنين عدداً :

الى نيل العلى قومي نهوضاً ... فقد طال احتمالكم الأذيه
فان السيل قد بلغ الروابي ... وحلت في بلادكم البليه(١٢)

ونّدد بالخونة الذين لا يعملون الا لجر البلاد الى الهاوية ، ولنهب الاموال وكنزها ، وأشار الى المدعين الذين يتبجحون بالقومية والوطنية ، وهم في قرارة أنفسهم أعداء الامة والوطن ، يقول :

أين من يخدم المواطن بالمجا ... ن ، لا يرتجي جزاءً وشكرا
كثر المدعون فاختلط الامـ ... ـر ، وعدت محاسن الحر وزرا

يا نجوم السماء خري على من   خان أوطانه ، وحاول غـدرا
رب ان البـلاد حل عليهـا   من ذويها ما يترك الروض قفرا
شغلوا بينهم وللخصم عـين   نحو هذي الديار تنظر شزرا
رب ان الخصوم كثر وقومي   لضعاف ، لا يستطيعون جرا(١٣)

ولم ينس الشاعر وهو يتحدث عن أمته ووطنه ، فلسطين التي كانت مسرحا لاعتداءات الصهاينة والانكليز ، يقول :

أبني فلسـطين تحيـة شاعر   من أهل بغـداد رثى للمقدس
بيت الاله وأنتـم حراسـه   أيجوز أن لا يفتدي بالأنفس(١٤)

والوحدة عند الشاعر أمل الملايين العربية ، ولابد للعرب من أن تحيى بوحدتها ، ولعل قصيدة « الوطن واحد » خير دليل على ايمان الهاشمي بوحدة الامة العربية ، يقول :

قامـت بقيامكم العـرب   وزهـت بفعالـكم الـكتب
غنت بكـم الاقلام وقـد   رقصت لأغانيهـا القصب
الشـام بمكـة متصـل   لـكن السـاحل مغتصب
أوصـال الملـك مقطعـة   وقلوب بنيـه تضطرب
أسمعت حـديث فلسطين   قطـر لعبت فيـه النوب
يا ليت صلاح الدين يرى   ملكا يستـام ويستلب
هـذي بغـداد ودجلتهـا   يعلوهـا الظلـم فتنتحب
فيها من كـل فتى بطل   بدمـاء عـداه يختضب
أشباب العـرب وقادتها   العـرب اليكم ترتقب(١٥)

ويقرر أن لا حياة حرة كريمة للاقاليم العربية الا بوحدتها وتماسكها ، يقـول :

بردى مثـل دجلـة وبنوها   مثل أبنائها بحسن المسـاعي
غير أن لا حياة للشـام الا   بالعراق الخصيب بيت القراع
فهمـا نبعتـان والاصل أصل   عـربي ، ردوه بالاجماع(١٦)

وان الامة العربية جسد واحد فاذا صاح اقليم رددت صيحته الاقاليم ، واذا الم نكبة ببلد فزعت الامصار ، وكانت مجزرة السفاح جمال دليلا على ذلك التجاوب بين الاقاليم ، يقول الشاعر عن شهداء الامة الذي ذهبوا قربانا للحرية والوحدة في سنة ١٩١٦ :

أم القصـور العاليـه   أمست قصـورك خاليـه
ما في رباك سـوى الأنيـن ، وكل عـين جاريه

قتل الكرام ، فخلفوا   في كل بيت ناعيه
لم يبق ، لا الشيخ الكبير ، ولا العجوز الفانيه
ومخدرات قد نفين ، الى البلاد النائيه
هتك العلوج ستورهن ، وليس ثمة جانيه
ومكبل في السجن ما   ذاق الطعام ثمانيه
قتلوه سراً وهو لم   يدر القضية ماهيه ؟
من بعدهم يا جنة الد   نيا ، جنانك خاويه
البست أثواب الأسى   بعد الرياض الزاهيه
بردى ، وهل تجري كما   هي في السنين الخاليه ؟
والمسجد الأموي هل   فيه الصلاة علانيه ؟
لا تحزني لك أسوة   بغداد أمست باليه
جثار الزمان عليكما   فرماكمتا في هاويه
فاستود مبيض النها   ر ، وغاب بدر الداجيه
وبكت نجوم الجو بالدمـ   ـع الهتون بكائيه
نبكي على الفتيان أز   داهم جمال الطاغيه
من كل مفتول الذرا   ع أغر تحت الناصيه
نصب ابن قنطورا مشا   نقه لهم في عاليه
وسطا عليهم سطوة   لم تبق منهم باقيه
وكأنهم قد أصبحوا   أعجاز نخل خاويه
وارحمتاه لفتية   صرعوا بحتف بلاديه
جاءوا بهم يمشون في   أكفانهم بأنانيه
يتحمسون بنغمة   دعت النواظر داميه
وكأنهم خطباء منا   كانت قواهم واهيه
صرخوا بصوت محزن   من للبلاد الباقيه ؟
من للمواطن بعدنا   أم من لهيفي الناشيه ؟
انا بحب العرب قد   بعنا نفوسا غاليه
انا قضينا فرضنا   وعلى البنين الباقيه
من ذا يبلغ قومنا   أهل النفوس العاليه ؟
أن يأخذوا بالثأر من   تلك القلوب القاسيه
يا قوم ذوقوا الحتف في   نيل الحياة الراضيه
فالموت أفضل عندنا   من ذلة متداليه(١٧)

وأثمرت هذه الصيحات ، وتلك الانتفاضات ، فكانت معارك التحرير في كل مكان ، وكانت الثورات التي أخذت تنبه العرب الى واقعهم ، وتدفعهم الى اقامة دولة الحرية والاشتراكية والوحدة ...

رحم الله الذين ساهموا في هذه المعركة ، وجزى الله ــ خير جزاء ــ الاستاذ الجبوري الذي أخرج ديوان رشيد الهاشمي شاعر القومية والوحدة ، يوم كان الدعاة اليها قلائل ، ويوم كان المخلصون يعلقون على الأعواد ، وينفون في الارض ، ويذوقون العذاب من أجل عروبتهم ودينهم الحنيف .

المراجــــع :

(١) تنظر الرسالة في مقدمة ديوان الهاشمي ص ٣٩ .

(٢) تنظر ترجمة الشاعر في المقدمة التي كتبها الاستاذ عبدالله الجبوري لديوان الهاشمي .

(٣) تنظر مقدمة الاستاذ محمد بهجة الاثري ص ١٧ .

(٤) ينظر ديوان رشيد الهاشمي ص ١٣٦ .

(٥) لانه لم يتزوج ليترك ذرية أو خلفا .

(٦) ذكر الاستاذ عبدالله الجبوري في مقدمة الديوان ص ٤٣ : « عمد الشاعر الى جمع بعض شعره ، وأودعه في كراسات صغيرة ، بغية طبعه ابان وجوده في بغداد سنة ١٩٢٣م ، وقد تولت مجلة اليقين نشر اعلانات عن طبعه ، كما نشرت قسما من قصيده ، الا ان الاحوال ــ وما أقساها ــ حالت دون مبتغاه . فظل هذا الديوان مرتهنا يشغل حيزا من زاوية متواضعة في مدارج مكتبة شقيقه الاستاذ محمد الهاشمي ، حتى شرفني بتولي نشره كما اشاء ... » .

(٧) طبع ديوان رشيد الهاشمي بمطبعة المعارف ــ بغداد سنة ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤ . وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره . والديوان في ١٦٠ صفحة . وقد أهداه الاستاذ الجبوري الى البطل العظيم صلاح الدين الايوبي محرر بيت المقدس وبطل الحروب الصليبية ، وكتب له الاستاذ محمد بهجة الاثري مقدمة ضافية ، ومهد له الاستاذ الجبوري بتمهيد تحدث فيه عن اسرة الشاعر وحياته ، وتكلم على قصة ديوانه .

(٨) الديوان ص ٥٢ (قصيدة أيها الليل) .

(٩) الديوان ص ٥٤ ــ ٥٥ (قصيدة يا راكضين وراء الفلس) .

(١٠) الديوان ص ٥٨ (قصيدة سنة العرب مالها تبديل)

(١١) الديوان ص ٦٥ (قصيدة لسان كل عربي) .

(١٢) الديوان ص ٧٢ (قصيدة اللامركزية) .

(١٣) الديوان ص ٨١ ــ ٨٢ (قصيدة أنين وحنين)

(١٤) الديوان ص ١٠٤ .

(١٥) الديوان ص ٥٩ (قصيدة الوطن واحد) .

(١٦) الديوان ص ٨٦ (قصيدة بردى مثل دجلة) .

(١٧) الديوان ص ٩٩ (قصيدة شهداء الامة) .

يا صاحب النخل (*)

نعمان ماهر الكنعاني

هل يعلم الليل عما يفعل السَّهَدُ — لا الشوق كفَّ ولا التذكار يقتصـ
يا وحشة النفس والآمال حائرة — ووحشة الليل والالام تطّـر
متى اذا خاب منها أمسها نظرتْ — غداً ، ويا طالما ظنّتْ وخاب غـ
فليتها جنحتْ للصبر هادئة — أو ليتها خفّ منها الجهد والحر
كانت نوى ، فرضيناها مساجلةً — منهـا المطال ومنّا الجدّ والأيـ
فكيف والسير قد طال الوجيف به — وطال حتى شكتْه الساق والعضـ
لله يا حنقاً في الصدر محتدماً — يطغى فيمنعه الترويض والجلـ

*

سومحت يا شوق ما تنفكّ تسلبه — صبراً يحيط به الخذلان والنكـ
تطاولت بك أيامٌ وأوجعها — أن الديار جفاها الأهل والولـ
أخنتْ عليها الليالي وهي صابرة — حتى تعجّب مما حُمّلتْ لُبَـ

(*) مما اتفق نظمه عام ١٩٦١ عقب انفصال الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة وكان الناظم لاجئا في دمشق وكانت كارثة الانفصال جرحا عميقا في نفوس كل العرب الاحرار

لأن الألى إن دعتهم عند نازلة ... هبّوا خفافاً لها والعزم محتشد

جالت بها عاديات البغي سادرة ... ولم تُمدّ لها ممن دعته يد

سومحت يا شوق ما تنفك تسألني ... وأين سؤلك ممن كدّه السهد

وأين ، والبارق المرجو ترصده ... شتّى دياجير لم يغفل لها رصد

أتيت جلّق ترجو من لوامعها ... ضوءاً لبغداد يستهدي به القود

ففاجأتها دياجي الكيد كالحة ... وغاب من نجمها ما كان يتّقد

فخلّ نجواك في ليل وداجية ... من خاب مسعاه لم يسمع له أحد

*

ويا دياراً بعدنا عن ملاعبها ... وفي أضالعنا من بعدها كمد

ان قصّر الجهد فيما تبتغين فما ... في الجهد ريب ولكن قصّرت عُدد

كنا نظن طريقاً لاحباً فاذا ... باللاحب السهل مسطول به المدد

سرنا تطالعنا الآمال واضحة ... في نصرة الوطن المنكوب والعدد

حتى اذا طال مسرانا وهت همم ... وصار سامعنا التعذال والفند

فلا لعاً للذي رام الطراد ولم ... يحثّ راحلة ما كدّها أمد

ولا لعاً للذي هزّ السلاح ولم ... يحشد له ما يروم الصبر والجلد

*

ياصابر النخل هل في الريح خافقة ... يستافها القلق البادي وينشد

هل في الحمى من على الأضرار يسهرها ... ليا لياً بالصباح المرتجى تعد

أم الأعاصير لم تترك لمرتقب ... غير القتام على الآفاق ينعقد

اني أجلّ الحمى أن يستغلّ ونى ... وفي الحمى كبرياء العرب والصيد

تطور تشريع العمل في العراق

خالد العزي

كان قانون العمال رقم (٧٢) لسنة – ١٩٣٦ اول تشريع عمالي صدر في العراق حيث كانت النهضة الصناعية تخطو خطواتها الاولى ، ولهذا جاء هذا القانون بسيطًا في مبادئه ومختصرا اختصارا كليا في احوال العمل التى عالجها . الا ان الاعمال الصناعية توسعت بعد ذلك وزاد عدد المشاريع الصناعية والعامة كما زاد عدد العمال وفي مختلف الصنوف في اوائل الحرب العالمية الثانية مما حدا بالمسئولين في الحكومة العراقية الى تعديل القانون المذكور بالقانون رقم (٣٦) لسنة – ١٩٤٢ .

الا ان هذا القانون لم يكن يحقق مصلحة الطبقة العاملة آنذاك حيث كانت مهضومة الحقوق يتحكم في رقابهم اصحاب الاعمال الذين كان بعضهم اعضاء في مجالس النواب المزيفة التي لم تكن تمثل ارادة الشعب بل كانت وقفا على بعض المتنفذين من انصار العهد الملكي من الانتهازيين والنفعيين وعملاء الاستعمار .

وبالرغم من المساوىء التي كانت تتمثل في هذا القانون الا انه كان بادرة للعمل اقتضتها ظروف الحرب ، ذلك ان الحرب العالمية الثانية اثارت اذهان المخلصين من ابناء البلاد وايقظت الوعي القومي وخاصة بعد النكسة التي اصابت البلاد بعد فشل ثورة ١٩٤١ ووجهت الحركة الاقتصادية في البلاد توجيها جديدا ادى الى توسيع محلات العمل الصناعي والتجاري فتوسعت بذلك امكانية استخدام العمال في مهن وحرف جديدة وزيادة عددهم زيادة كبيرة نتيجة انتقال عدد كبير من الفلاحين وابناء الريف بغية العيش والاشتغال في الاعمال الصناعية والعمرانية نتيجة تدهور الحالة الزراعية في البلاد وتحكم الرأسماليين والاقطاعيين . وقد رافق هذه الزيادة العددية في العمال زيادة في الوعي بين مختلف الطبقات الاجتماعية مما اضطر الحكومة مكرهة الى وضع بعض اسس الرفاه الاجتماعي بصورة عامة ومحاولة توفير الخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية للسكان كنتيجة لهذا الوعي الجماهيري الذي تأثر كثيرا باحتلال بريطانيا للعراق مرة ثانية بعد ثورة مايس – ١٩٤١ كما اسلفنا .

الا انه ، بالرغم من تقدم البلاد الاقتصادي نسبيا بصورة عامة وفي حركة التصنيع بصورة خاصة فان الطبقة العمالية لم تنل من الدولة ما هي جديرة به من حق الرعاية والعناية المادية والمعنوية من حيث شروط العمل واحواله فظلت احوال العمل في مستوى منخفض لا يؤدي الى الاضرار بحركة التصنيع فحسب بل انه يؤدي الى تأخر مستقبل العراق في كافة الميادين الداخلية والخارجية ، مما حدا بالحكومة العراقية تحت ضغط الحوادث الى التفكير بتشريع قانون جديد للعمل يتناسب والظروف الاقتصادية والثقافية التي تجتازها البلاد مستفيدة بذلك من التجارب التي مرت بها الدول الراقية التي سبقت العراق في هذا المضمار ومن تجارب الدول العربية الشقيقة مع الاخذ بنظر الاعتبار الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعراق وهكذا شرعت الحكومة قانون العمل رقم (١) لسنة ـ ١٩٥٨ المعمول به حاليا ، حيث توسع هذا القانون في عدد كبير من التعاريف التي كانت ضيقة في مفهومها كما ان مدى شمول هذا القانون قد اتسع نطاقه وضمن حقوقا لعدد كبير من المواطنين كالعاملين في المحلات التجارية الذين لم تكن لهم اية ضمانات بموجب قانون العمال رقم ٣٦ لسنة ـ ١٩٤٢ كما راعى هذا القانون موضوعات تقليص رب العمل لعمله فتفادت بذلك اجراء الطرد الكيفي علاوة على مراعاته ضمان رفع مستوى العمال من النواحي الفنية والثقافية ومنح العامل اجازة دراسية بنصف اجر وبناء على طلبه لغرض التحاقه في المعاهد الفنية والتدريبية .

وعرض هذا القانون لموضوعات كثيرة أخرى بشأن الاجازات والفصل ووضع العامل تحت التجربة او التدريب كما التفت القانون الى ناحية العمل الاضافي وجعلت اجر العامل دينا ممتازا على رب العمل واصدرت الحكومة « نظام الحد الادنى لاجور العمال رقم ٥٤ لسنة ـ ١٩٥٣ المعدل بالنظام رقم (٧) لسنة ـ ١٩٥٤ الصادر بموجب الفقرة (جـ) من المادة (٢٦) من قانون العمال » .

كما اهتم قانون العمل الحالي بامر تنظيم العلاقات من صناعية وتجارية وادارية وتشكيل لجان عمل اعتيادية ومختلطة من كل من ارباب العمل والعمال في المشروع نفسه لمراقبة احوال العمل والسعي لتنظيم العلاقات وحل مشاكل النزاع الصناعي والاضراب والغلق والاعتصام ونظمت مواد الفصل السادس من القانون حل امثال هذه المعضلات الصناعية حلا توفيقيا عن طريق وساطة وزير الشؤون الاجتماعية ، او تحكيميا عن طريق محكم واحد او لجنة تحكيم .

كذلك عالج قانون العمل النافذ امور تعويض العمال عن الاصابات والامراض المهنية والتسممات من جراء اعمالهم فجعلت هذا التعويض بنسبة اجور العامل المصاب لمدة (٨٠٠) يوم مع نسبة عطلة بدلا من (٧٣٠) يوما ولم يحرم القانون العامل الذي يصاب بعجز دائمي يقدر باكثر من ٢٥٪ من

العجز الكلي من التعويض في أي حال من الاحوال وحتى في مخالفاته التعليمات الوقائية او الاوامر الصادرة اليه لتأمين سلامته • وجعل القانون امر تنفيذ قرارات التحكيم المتعلقة بتعويضات العمال وجوبيا وبذلك ضمنت استحصال مبالغ التعويض من ارباب العمل الممتنعين عن الدفع بأسهل الطرق واقصرها •

اما موضوع استخدام العمال فقد عالجه القانون النافذ حيث ان اليد العاملة لم تحظ بثمرات وكالات الاستخدام المؤسسة بموجب نظام تأسيس وكالات الاستخدام رقم ٢٧ لسنة ـ ١٩٤٦ ولذلك صدر نظام وكالات الاستخدام رقم ٣٩ لسنة ـ ١٩٦٣ الذي استحدثت بموجبه (دائرة الاستخدام المركزية) في مديرية العمل العامة والتي يكون من واجبها تأمين افضل القواعد والاسس لتنظيم الاستخدام وعدم جواز استخدام العمال من قبل ارباب العمل الا بعلم دائرة الاستخدام المركزية ومن ضمن العمال المسجلين لديها •

هذا ونظرا لما يمر به العراق من مرحلة صناعية تبشر بالخير فقد عنى القانون النافذ بموضوع النقابات واعطى العمال الحق بتشكيل نقاباتهم وتكوين اتحاد للنقابات يعمل من اجل تحقيق الاهداف النقابية على نطاق واسع حيث اصبحت النقابات مظهرا بارزا من مظاهر المبادىء الديمقراطية التي سارت عليها الدول المتحضرة •

ومن نافلة القول الاشارة الى ان القانون النافذ فرض حقوقا وواجبات على العامل كما فرض حقوقا وواجبات على رب العمل ضمانا لتحقيق العدالة الاجتماعية في المشروع الصناعي والتجاري •

ولكن ••• عند تطبيق قانون العمل النافذ رقم (١) لسنة ـ ١٩٥٨ المعدل ••• ظهرت بعض النواقص نظرا للظروف الشاذة التي اعقبت انحراف السلطة في العراق بعد ثورة ١٤ تموز ـ ١٩٥٨ وما رافق ذلك من ركود اقتصادي وتخلخل اصاب الطبقة العاملة في الصميم نتيجة اصطراع التيارات والاهواء • وبعد ثورة ١٨ تشرين الثاني ـ ١٩٦٣ بقيادة البطل العربي المؤمن المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية وقائد الثورات التحررية الثلاث وسير العراق في طريق الاستقرار والرخاء الاقتصادي والاجتماعي وجدت الحكومة ان من الضروري اعادة النظر بقانون العمل ككل وجعله يشكل يتلاءم وحاجات البلد والتطور المؤمل له لاسيما بعد التوقيع على ميثاق ٢٦ مايس ـ ١٩٦٤ بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة وبدء عملية التحول الاشتراكي بعد صدور قرارات ١٤ تموز ـ ١٩٦٤ الاشتراكية مما يستدعي التنسيق والتوحيد في مختلف المجالات بين الجمهوريتين ومنها حقل العمل والعمال لاثرهما وتأثرهما بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للقطرين الشقيقين وبعد المساهمة الفعلية للدولة في ادارة المشاريع المؤممة وبالتالي توسيع رقعة

القطاع الصناعي العام وايجاد نوع جديد من العلاقات بين طرفي الانتاج مما حدا بحكومة الثورة الى التفكير الجدي الواعي بخطورة دور التنظيمات العمالية في تطوير هذه العلاقة لمصلحة البلد وذلك باصدار تشريع جديد لقانون العمل العراقي وجعله متماشيا الى حد كبير مع قانون العمل الموحد في الجمهورية العربية المتحدة وكذلك باصدار قانون لانشاء المؤسسة الثقافية العمالية لتخريج القادة النقابيين وبث الوعي القومي والعمالي الصحيح في المجتمع وكنتيجة لهذا الشعور فقد استدعت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية احد خبراء منظمة العمل الدولية الى العراق لفتح دورة ثقافية عمالية اشترك فيها ممثلون عن النقابات واتحاد الصناعات وبعض موظفي مديرية العمل العامة وباشرت الدورة اعمالها للفترة من ٦ـ٥ـ١٩٦٤ حتى ٣١ـ٥ـ١٩٦٤ برعاية السيد الوزير حيث القيت المحاضرات وتبودلت الاراء فيما يعود على الطبقة العاملة بالنفع العميم ويزيد من ثقافتهم ولم يقتصر الامر على ذلك فحسب بل افتتحت شعبة للثقافة العمالية في مديرية العمل العامة وتقرر اصدار تشريع خاص يهدف الى تنظيم امور الثقافة العمالية من تأسيس المراكز الثقافية والتدريبية العمالية الى القاء المحاضرات واصدار النشرات وتأليف الكتب الثقافية وتبادل الخبرة والخدمات الخاصة بالتوعية العمالية ٠

وهكذا اصدرت الحكومة الوطنية القانون رقم (١٦٢) لسنة ـ ١٩٦٤ الذي استحدثت بموجبه (المؤسسة الثقافية العمالية) كي تأخذ هذه المؤسسة على عاتقها مسئولية الثقافة العمالية حسب الاحكام التي حددها القانون على ان يكون مقرها في بغداد وان تنشيء لها فروعا في سائر انحاء العراق حسب الحاجة وان تكون مرتبطة بالسيد وزير العمل والشؤون الاجتماعية ويديرها مجلس ادارة مستقل يتألف من السيد وكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية او احد موظفيها ومن المديرين العامين للعمل والضمان الاجتماعي وممثلين عن كل من وزارات التربية والثقافة والارشاد والصناعة والمالية وعضو عن جامعة بغداد وعضوين يمثلان الاتحاد الاشتراكي العربي واربعة اعضاء يمثلون العمال ٠ وتكون مدة العضوية في المجلس ثلاث سنوات حيث يعقد اجتماعه مرة واحدة على الاقل في الشهر وتصدر قراراته بأغلبية اصوات الحاضرين ٠ وقد عين القانون الاهداف التي تنهض بها المؤسسة كما عين واجبات ومسئوليات مجلس الادارة وصلاحياته المالية والادارية ٠

وقد اعتبر القانون نافذا من ١١ـ١١ـ١٩٦٤ وهو تأريخ نشره في جريدة الوقائع العراقية الرسمية ٠

هذا وقد شكل السيد وزير العمل والشؤون الاجتماعية لجنة فنية لوضع لائحة (مشروع) قانون العمل الجديد تجاوبا مع هذا العهد الجمهوري الوحدوي المزدهر وقد انتهت اللجنة الفنية من اعداده وعرض على ديوان

التدوين القانوني لدراسته تمهيدا لتقديمه الى مجلس الوزراء لتشريعه وذلك ايمانا بحق العمال في العيش الكريم وبما استجد من مبادئ جديدة تضمنتها اتفاقيات العمل الدولية المصدقة من الحكومة العراقية بحكم انضمامها الى مكتب العمل الدولي واملا راسخا صادقا في تحقيق الوحدة بين الجمهوريتين العربية والعراقية وانطلاقا نحو الهدف الكبير في وحدة الامة العربية من المحيط الى الخليج بعون الله ٠

وقد قسم مشروع القانون الجديد الى بابين تضمن الباب الاول منهما خمسة فصول وتضمن الباب الثاني عشرة فصول ٠ فأما الباب الاول فقد احتوى على التعاريف والاحكام العامة بطريقة لم يتطرق اليها قانون العمل النافذ الحالي حيث حددت المحكمة المختصة للنظر في قضايا العمل والعمال بمحكمة العمل ان وجدت والا فمحكمة البداءة كما جعلت تعريف العامل يشمل المستخدم اذ لم يفرق القانون بينهما في كافة الحقوق والواجبات ٠٠ الى غير ذلك من التعاريف التي تنسجم وما جاء باتفاقيات العمل الدولية وبذلك ازيل كل لبس او غموض في الموضوع ظهرا عند تطبيق القانون الحالي ٠

واخذا بالنظريات الحديثة المعمول بها في الدول المتطورة لرعاية العمال الذين يصابون بحوادث العمل فقد عالج المشروع موضوع التاهيل المهني للعاجزين والزم اصحاب الاعمال بتشغيل عدد معين منهم في حدود ٣٪ من مجموع عدد العمال ومنح العامل العاجز المؤهل جميع الحقوق المقررة للعمال الاخرين ٠

كما نظم المشروع موضوع عمل العمال الاجانب واوجب ان لا تزيد نسبتهم عن ١٠٪ من مجموع العمال العراقيين كما قرر مبدأ جديدا لم يتطرق له القانون السابق وهو اعطاء الوزير حق الاعفاء من شرط المقابلة بالمثل والحصول على اجازة العمل ٠

ومن الملامح الجديدة في هذا المشروع موضوع الاحكام الخاصة بانهاء خدمة العمال اذ اصبح مطبقا بحق كافة العمال سواء كانوا نقابيين او غير نقابيين بعد ان كان قانون ذيل قانون العمل رقم (٥٣) لسنة ـ ١٩٦٣ المعدل يقتصر حكمه على العمال النقابيين فقط بواسطة لجان انهاء الخدمة ٠

كما تطرق الباب الثاني من مشروع القانون الجديد الى تنظيم العمل وجاء بحكم جديد لم يتطرق اليه القانون النافذ وهو انه في حالة عدم تشكيل لجان العمل المشتركة التي تمثل طرفي العمل في خلال المدة المعينة في القانون فان مديرية العمل العامة تقوم باختيار اعضاء اللجان وتحدد واجباتها بما فيه صالح الطرفين ٠ كما جاء بالمشروع مبدأ تشكيل مجالس استشارية مشتركة للصناعة الواحدة وللاغراض المبينة في المادة (١٠٠) منه علاوة على معالجة المشروع موضوع ساعات العمل وحدد معالمها واجاز لاسباب معينة تجاوز المدة المحددة لساعات العمل ٠

اما اجازات العمال فقد روعي ان تكون مددها كافيـة لراحة العمـال فاصبحت (١٦) يوما بعد ان كانت (١٢) يوما في القانون النافذ كما زيدت الاجازات المرضية •

كما تطرق المشروع الى موضوع التوفيق والتحكيم وكيفية تأليف هيئة التحكيم وانعقادها على وجه يختلف عما كان واردا في القانون النافذ واوجبت تطبيـق الاحكام الواردة في قانون المرافعات المدنيـة والتجارية المتعلقـة بالتبليغات •

وقد تطرق المشروع الى التعويض عن اصابات العمل واعتبرت اصابة العامل بسبب العمل موجبا للتعـويض بغض النظر عن المدة التي كانـت مفروضة في القانون النافذ هذا بالاضـافة الى ان التعويض يوخذ بنسبـة الف يوم بدلا من (٨٠٠) يوم المذكورة في القانون النافذ •

ونظرا لاهمية النقابات بعد تطبيق النظام الاشتراكي فقد وجد ان من الضروري رعاية النقابات واعطائهـا المركز اللائق بها لذلك فقد بنيت على اسس تختلف عما هي عليه في القانون النافذ فلم يأخذ المشروع لغرض تأسيس النقابة الحصول على الاجازة بعد تقديم الطلب وانما تشكل النقابة بعد ايداع الطلب لدى وزارة العمـل والشوون الاجتمـاعية واعطى للوزير الحـق في الاعتراض على تشكيل النقابة خلال ٣٠ يوما من تأريخ ايداع الطلب وعنـد عدم اعتراضه فتعتبر النقابة موسسة وفق القانون وللهيئـة التأسيسيـة حق الاعتراض على قرار الوزير بالرفض خلال المدة المعينة قانونا لدى محكمة التمييز التي يكون قرارها قطعيا وليس لدى جهة ادارية كما هو الحال في القانون النافذ الحالي • كما ان اموال النقابة اعتبرت من الاموال العامة ولا يجوز التصرف بها لغير اغراض النقابة وجعلت اهداف النقابة مقتصرة على شوءون العمال الاجتماعية والثقافية والمهنيـة كما اخضع مشروع القـانون حسابات النقابة للتدقيق من قبل مدقق مجاز واصبح اعضاء النقابة متضامنين عن كل الاضرار التي تلحق بالنقابة امام جمعيتهـا العمومية وهذا ممـا لم يتطرق له قانون العمل الحالي •

هذا وقد ازال المشروع الغموض الذي شاب نصوص القانون النـافذ فيما يتعلق باللجان النقابية فأوضح بصورة جلية كيفية تشكيلها وتطرق الى تشكيل اتحاد النقابات في الالوية واتحاد النقابات العام بالقطر العراقي واعطى الحق للاتحاد العام ان ينظم الى الاتحادات العمالية في الوطن العربي وذلك لتشكيل اتحاد عام للعمال العرب يشرف على توجيه شوءون العمـال العرب والدفاع عن مصالحهم المشتركة بينما اغفل القانون النافذ هذه الناحية الهامة في تجميع القوى العربية •

اما الفصل العـاشر والاخير من الباب الثاني فقد تنـاول العقوبـات بشكل تفصيلي اوسع من القانون النافذ وفرض عقوبات مختلفة تتناسب

الناجم عن احكام الحماية التى يوفرها تشريع العمل المذكور مستوحاة من مبدأ الالتزام الشخصى والمباشر لاصحاب العمل ٠

ومن هذا يتضح لنا بأن تدابير الضمان الاجتماعى التى وردت فىقانون الضمان الاجتماعي والعمل وان كانت تعتبر خطوة لا بأس بهـا فى سبيل تلبية بعض احتياجات الفئة العاملة ، الا ان نطاقها وتأثيرها لا يزالان يعتبران محدودين وان الحاجة ماسة الى وسائل حماية اكثر تأثيرا وابعد مدى لمجابهة الطوارىء التى تؤثر على دخل العمال وصحتهم فقانون الضمان الاجتمـاعى الحالي غير مبني على أساس المساهمة في الاخطار بين جميـع الاشخاص المضمونين كما انه لم يضمن للعامل عند عجزه او شيخوخته او لعياله عند وفاته اعانة تتلاءم والحالة التى تنشأ عن وقوع احدى الطوارىء بل ضمن مجرد مبلغ يتوقف على ما تراكم فى حسابه من مال علما بأن ذلك قد يؤثر على العمال الذين يدخلون الخدمة المضمونة فى سن متأخرة والذين لا يقضون الا جزءا من حياتهم فى تلك الخدمة ٠ وكذلك الحال بالنسبة لقانون العمل حيث يدفع بموجبه التعويض بمبالغ اجمالية فى حالة العجز والوفاةوليست بمخصصات تقاعدية طويلة الامد ٠

ومن هنا برزت الحاجة الملحة الى اصدار تشريع جـديد للعمل اعدتـه حكومة ثورة ١٨ تشرين الثانى ٠ مما سبق لنا الاشارة اليه وكذلك الى اصدار قانون جديد للضمان الاجتمـاعى هو القـانون رقم (١٤٠) لسنة ـ ١٩٦٤ والذى نشر بجريدة الوقائع العراقية الرسمية بعددها رقم (١٠١٥) والذى سيصبح نافذ المفعـول اعتبارا من ١-١٠-١٩٦٥ حيث تضمن القـانون المذكور احكاما جديدة وحدد الطوارىء المشمولة به فى فروع المرض والتقاعد واصابات العمل كما جعل نطاقه يشمل جميع الاشخـاص الذين يتقاضون رواتب واجورا وكذلك المتدربين بغض النظر عن الجنس والعمر والجنسية والحرفة ومستوى الاجور ٠ وسيطبـق هذا القـانون اولا على الاشخـاص المشمولين بالقانون الحالى ومن ثم يبسط نطاقه تدريجيـا فيشمل منـاطق ومؤسسات وفئات جديدة من العمال بقدر ما يسمح به الوضع المالى والادارى الا انه لن يشمل خدم المنازل والعاملين فى بيوتهم وفى الزراعة وفى الغابات وتربية المواشى والموظفين والمستخدمين من مدنيين وعسكريين ممن يخضعون لقانون التقاعد وكذلك لن يشمل العمال القائمون بأعمال موقتة او طارئة وافراد عائلة صاحب العمل وكذلك الاجـانب المستخدمـون لدى الحكومـة العراقية بعقود خاصة ٠

هذا وقد نص القانون على ان العمال الذين يصبحون خارج نطاق الضمان الاجتماعى (كتركهم العمل فى الخدمة المضمونة مثلا) لهم ان يختاروا استمرار شمولهم بالضمان على أساس طوعي وذلك بالنسبة لفرع التقاعد فقط ذلك ان لامتداد فترة الاستمرار على دفع الاشتراك اهميـة خـاصة لاستحقـاق

التقاعد . كما نص القانون على جواز شمول العمال في الخدمات الطارئة والموسمية والموقتة بفرع او اكثر من فروع الضمان الاجتماعي .

اما ادارة الضمان الاجتماعي فسوف يعهد بها الى هيئة مستقلة تسمى (مؤسسة الضمان الاجتماعي) لها ميزانيتها الخاصة وتكون تحت اشراف ومراقبة وزير العمل والشؤون الاجتماعية حيث تدار هذه المؤسسة من قبل مجلس ادارة يضم ممثلين عن الحكومة واصحاب العمل والعمال .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان الاسس والمبادىء التي جاء بها هذا القانون وضعت من قبل مكتب العمل الدولي على ضوء احكام الاتفاقية الدولية رقم (١٠٢) الخاصة بمقاييس الحد الادنى للضمان الاجتماعي آخذة بنظر الاعتبار اوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية وتطبيقات قانون الضمان الاجتماعي السابق مع العلم بأن دراسات دقيقة قد اجريت حول هذا الموضوع محليا من قبل خبراء مكتب العمل الدولي ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية ودوائرها المختصة هذا بالاضافة الى اللجنة التي الفتها الوزارة من ممثلي وزارات المالية والمواصلات والصناعة وجامعة بغداد والاتحاد العام لنقابات العمال واتحاد الصناعات العراقي ومديرية الضمان الاجتماعي ومديرية العمل العامة التي قامت بدراسة لائحة القانون واجريت عليها بعض التعديلات .

من هذه الالمامة العاجلة بتطور تشريع العمل في العراق يتضح لنا ان الحكومة العراقية في ظل هذا الحكم الوطني القومي الوحدوي ساهرة على رعاية مصالح العمال وعاملة باخلاص وايمان من اجل خلق مجتمع متكافل سليم يقوم على اساس من العدالة والحرية ومبدأ تكافوء الفرص أما الجميع مستهدفة توحيد تشريعاتها مع الاقطار الشقيقة وآخذة بنظر الاعتبار (قانون العمل الموحد) المعمول به في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ، أساسا لتشريعها العمالي ومستهدية بتوصيات ودراسات منظمة العمل الدولية وجامعة الدول العربية في هذا الميدان يحدوها أمل كبير بعون الله لتحقيق اهدافها في الحرية والاشتراكية والوحدة المنشودة .

صور الطبيعة في شعر الشابي

عبد الجبار عباس

ظل الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى مطلع هذا القرن يعتمد (المعنى) أداة رئيسية في بناء القصيدة لاسباب متداخلة أهمها ابتعاد الشعر عن الاتصال المباشر الصادق بمظاهر الطبيعة الواسعة التي كانت تمد الشاعر الجاهلي بصوره الشعرية ، وشيوع الدراسات المنطقية والفلسفية منذ مطلع العصر العباسي الاول ، ورسوخ الاعتقاد بأن ظفر الشاعر بمعنى جديد لم يسبق اليه هو أول وأهم ما يؤهله لان يعد شاعرا من الطبقة الاولى ، فقد فرقوا بين نوعين من المعاني : الاول ، من أمهات المعاني التي شاعت بين الناس وصارت تشبه البدهيات ، والثاني ، مناط التمايز بين الشعراء لما يحتاجه من براعة وأصالة يترتب على المعنى الاول ويتفرع عنه ويدل به الشاعر عليه • ولم تكن صياغة المعنى مشكلة عند الشاعر ، وان تكن ذات شأن في حكم النقاد له أو عليه ، فقد كانوا يشترطون ان يصاغ المعنى الشعري في الفاظ فصيحة جميلة(١) واسلوب رائق(٢) ، فأبو هلال العسكري يرى ان قيمة المعنى تتضاءل اذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا فاترا ، لان لطيف المعاني اذا جاء في غير غرابة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن كان ـ كما يقول الآمدي ـ مثل الطراز الجيد على ثوب خلق أو نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه •• (ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف)(٣) •• واذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقضا للشعر وهجنة عليه ، كما يقول ابن رشيق • اما هم الشاعر الاول فكان ان يظفر بالمعنى الجديد الذي به مناط التمايز ، واما سبكه وفق قواعد الصياغة الشعرية فلم يكن مرا عسيرا ازاء ابتداع المعنى نفسه •

ولقد كان اعتماد الشعر وتأكيد النقد على (المعنى) بالرغم من أن الشعر الجاهلي حفل بالصور الشعرية التي تطورت ـ فيما بعد ـ عند شاعر كذي الرمة الى لوحات فنية رائعة(٤) ، سببا جوهريا في ظهور مشكلة السرقات بسبب شيوع الاعتقاد خطأ بأن المتقدمين قد سبقوا الى أكثر المعاني واتوا على معظمها وكادوا يستغرقونها فلم يتركوا منها الا

بقايا قليلة رغبة عنها أو استهانة بها أو لبعد مطلبها واعتياص أمثالها ، فليس لاحد من أصناف القائلين – كما يقول ابو هلال – غنى عن تداول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالبهم ، فغدا من الطبيعي الا يتقدم شاعر (في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع الا وكل من جاء من الشعراء من بعده او معه ان هو لم يعد على لفظه ... فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه)(٥).

كما أدى اعتماد الشعر على المعنى الى شيوع مصطلح (المعنى) مقرونا بصفة (شريف) أو (كريم) أو ما شابههما ، وندرة استعمال مصطلح (الصورة) ، وتسبب في شيوع بعض الاراء النقدية التي بدا وكأنها ظهرت لحل الاشكال الذي يعانيه الشاعر من ندرة المعاني الجديدة بسبب اقتصاره على أسلوب المعاني وثبات الاغراض الشعرية كقول أحد النقاد ان بأمكان الشاعر أن يقتبس معانيه من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكقول غيره ان تداول معاني السابقين وسبكها في الفاظ جديدة لا يخرج الشاعر عن حد الشاعرية ولا يسلبه صفتها . بل لقد ادى شيوع مصطلح المعنى الى اعتبارهم بعض الصور الشعرية معاني ، فحين سمع السري الرفاء بقول المتنبي :

وخصر تثبت الاحداق فيه   كأن عليه من حدق نطاقا

قال : هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون(٦) .

وقد رسخ المنهج النقدي – لهذا – على أساس المقارنة بين مهارة الشعراء في صياغة المعنى أو المعاني المشتركة ، حتى رأينا ناقدا كالآمدي يقيم موازنته على اساس المفاضلة بين تعبيز الشاعرين عن المعاني الخاصة بكل فن من فنون الشعر(٧) ، بحيث كان من الطبيعي أن يؤدي تراكم المعاني المتشابهة في ابواب واغراض ثابتة الى تقنين شروطه في مقاييس واضحة(٨) ، وأن يعمد ابن طباطبا الى القول بأن (من الاشعار اشعار محكمة متقنة انيقة الالفاظ حكيمة المعاني عجيبة التأليف اذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة الفاظها)(٩) ناسيا ان (أي تغير في المادة يستتبع نظيره في الصورة والعكس صحيح)(١٠) ذلك أنهم وأن لم يهملوا جانب الصياغة فقد شاع : (ان كلمة «المعاني» لم يرد بها معاني الالفاظ انما « الافكار » التي يخلد اليها أو التجارب التي يعمد لتسجيلها .. لم يريدوا ما يسمى بالانجليزية Meaning بل أرادوا Thoughts أو Ideas (١١) ، مما يجوز أن يعتمد الشعراء الى نظم معاني الكتاب شعرا ، وأن يعمد الكتاب الى نثر معاني الشعراء ، مما لا نود – الآن – أن نفيض في دراسته أو التمثيل له .

وكان ظهور الحركة الرومانسية في شعرنا الحديث أول هزة عنيفة

تعرض لها أسلوب المعاني ، فلقد عاد الشاعر الرومانسي هاربا مما في عالم الواقع من بؤس ونقص ومظالم الى جمال الطبيعة وبساطتها وتناسقها يجد في اللواذ بها سعادة وأمنا ويمنحها مما تختلج به أعماقه حبا صادقا عميقا ، فكان من الطبيعي - لذا - ان يفيد من صورها وجمالها ، وان يكون لهذه الصور في شعره مكانة بارزة •

واذا كنا لا ننكر ان عودة الشاعر الرومانسي الى صور الطبيعة كانت - بغض النظر عن اسبابها الحقيقية - رد فعل لاغراق الشعر في اختراع المعاني وتوليدها من بعضها البعض بكثير من الحذلقة المنطقية الواعية ، وانها - من جهة أخرى - انقذته من مشقة البحث عن المعنى الجديد العميق مركزا في فلذة فكرية أو نفسية ، وهيأت له معينا من الصور الجاهزة ، فلسنا ننكر انها كانت بشيرا بعودة الشعر الى التصوير على غير النهج الوصفي القديم ، وبدء التفاته الى ما في الطبيعة من امكانيات شعرية خصبة وأجواء جديدة •

لقد كان لصور الطبيعة في شعر ابى القاسم الشابى تأثيرا عظيما ينعكس في كل قصائده على الاطلاق ، فلا نكاد نجد في شعره قصيدة واحدة لا يستعير فيها صوره من مشاهد الطبيعة المختلفة وفصولها المتعاقبة بما فيها من زهور وضياء وينابيع واغصان وبحار وجداول وحسك وثلوج وضباب وظلام يحشدها الشاعر مجتمعة في قصيدة واحدة • ولئن كانت الافادة من صور الطبيعة سمة عامة مشتركة في شعر الرومانسيين ، فقد تفرد الشابي بتبنيه هذا النهج في كل ما كتبه من شعر وذهابه به الى أبعد مدى استطاع ان يبلغه ، حتى ليخيل الينا ان الشابي لم يكن يجد في غير الطبيعة صورا لشعره ، ولم يكن يجد في سواها مرآة لنفسه وأطارا لافكاره •

ولا شك ان هذه الظاهرة البارزة في شعر الشابي ترتبط ارتباطا نفسيا وثيقا بحبه العميق للطبيعة واحساسه بأنها الملجأ الذى يلوذ به ، والام التي تغدق عليه عطفها وحنانها ، وانها العالم المثالي الجميل الذى طالما تمنى ان يعيش فيه سعيدا بوحدته وانفراده :

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا سعيدا بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال وفي الغابات بين الصنوبر المياد
وأغني مع البلابل في الغاب وأصغي الى خرير الوادي
وأناجي النجوم والفجر والاطيار والنهر والضياء الهادي
عيشة للجمال والفن ابغيها بعيدا عن أمتي وبلادي

فهو لا يجد في غير الطبيعة الجميلة مهربا من آلامه وشقائه بواقع شعبه الذى أثار في نفسه احساسا بالثورة والخيبة • واذا كان لا مفر من

النهاية فلا أحب لنفس الشابي من ان تكون في (ظلمة الليل) وأن (تخط السيول) حفرة رمسه (تحت الصنوبر الناضر الحلو) لتلغو الطيور فوقه ويشدو النسيم وتمشي الفصول بعد أن (يذوب في فجر الجمال السرمدي) :

انني ذاهب الى الغاب يا شعبي لاقضي الحيـاة وحدي بيأس

. . . .

سوف أتلو على الطيور اناشيدي وأفضي لها بأشواق نفسي
ثم اقضي هناك في ظلمـة الليل والقي الى الوجود بيأسي
ثم تحت الصنوبر الناضر الحلو تخط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلغو على قبري ويشدو النسيم حولي بهمس
وتظـل الفصول تمشي حوالي كمـا كن في غضـارة أمسي

ويرتبط حب الشابي للطبيعة ـ من جانبه الفكري ـ بحنينه المتصل الى صميم الوجود ، وايمانه بأن حياة الانسان ينبغي أن تكون اتصالا ابديا بالطبيعة وتجاوبا دائما مع الكون ، والا كانت عبأ على الوجود ، وكأنه يؤمن مع افلاطون بأن وجود الانسان فى هذا العالم ليس الا حنينا لاستعادة صور العالم المثالي الفريد :

أنت يا شعر فلذة من فؤادي تتغنى وقطعـة من وجـودي
فيك ما في جوانحي من حنين أبدي الى صميـم الوجـود

. . . .

والذى لا يجاوب الكون بالاحساس عبء على الوجود وجوده

وكلما طغى شعور الشابى بالغربة والشقاء تعـاظم حنينه الى صميم الحياة ليحتضنه وينقذه من يأسه :

يا صميم الحياة كم انا في الدنيا غريب أشقى بغربة نفسي
فاحتضني وضمني لك بالماضي فهـذا الوجود علـة يأسي

فاذا لم يكن اتصال الشاعر بصميم الحياة ممكنا فى كل الاحوال ، فان في فؤاده الغريب صورة أخرى لهذا العالم الذى يتوق اليه :

في فؤادى الغريب تخلق اكوان من السحر ذات حسن فريد
وشموس وضـاءة ونجـوم تنثر النور فى فضاء مديد
وربيـع كأنه حلم الشـاعر فـى سكرة الشبـاب السعيـد
ورياض لا تعرف الحلك الداجي ولا ثورة الخريف العتيـد
وطيـور سحريـة تتنـاغي بأنـاشيـد حلـوة التغـريـد
وقصور كأنها الشفق المخضوب أو طلعة الصباح الوليـد
وشمـوس وضـاءة ونجـوم تنثر النور في فضاء مديد

وهي صورة رائعة تكاد تمحى فيها الحدود بين عالمي الواقع والخيال، ويمتزج الحلم باليقظة ، فلم تعد تحتفظ بابعادها الحقيقية المنسوخة عن عالم الطبيعة الخارجي ، وانما تسبب استغراق الشاعر في تأمله الطبيعة عبر ذاته في خلقها ثانية عبر اطار شعري فريد يغشاه ضباب الحلم وسحر النشيد ، وهكذا كانت الطيور سحرية ، والربيع كأنه حلم الشاعر ، والقصور كأنها الشفق المخضوب ، وكانت الغيوم الرقيقة كنثار الورود ٠

غير ان هذه الصورة الفريدة لا تلبث ان تمحى حين يفيق الشاعر من حلمه وينتهي استغراقه ، فتعود صوره نسخا يكاد يكون مباشرا لجزيئات متفرقة متباينة من مظاهر الطبيعة ، ففي قصيدة (قلب الشاعر) نجد ان الشابي لا يقدم لنا الصور الشعرية بعد امتزاجها بنفسه ذلك الامتزاج الخصب الذي يخلقها مثقلة بالأحساس دون الالتفات التام الى نسخ ابعادها الحقيقية ، وانما يعمد الى تكديسها على غير ما تسلسل شعري يخدم رؤياه ، فاذا هي لوحة كبيرة تضم لمحات لا يربط بينها سوى انها منتزعة من الطبيعة :

كل ما هب وما دب وما　　　نام أو حام على هذا الوجود
من طيور وزهور وشذى　　　وينابيع واغصان تميد
وبحار وكهوف وذرى　　　وديار وبراكين وبيد
وضياء وظلال ودجى　　　وفصول وغيوم ورعود
وثلوج وضباب عابر　　　واعاصير وامطار تجود
وتعاليم ودين ورؤى　　　واحاسيس وصمت ونشيد
كلها تحيا بقلبي حرة　　　غضة السحر كأطفال الخلود

وهي لوحة تختلف تماما عن لوحته السابقة رغم ان الشاعر أراد بهما التعبير عن فكرة واحدة ، فهي الى جانب ما فيها من يقظة تامة تلتفت الى الصور الخارجية اكثر مما تقتنص هذه الصور من عالم الذات ، يمكن ان تمتد الى آفاق بعيدة دون ان يكون ثمة ما يحول دون استسلام الشاعر لتكديس جزيئات طبيعية أخرى ٠ وهكذا نجد الشابي يجمع في قصيدة واحدة بين وداعة العصفور وجداول الماء النمير والروض المطير واغاريد الطيور والنحل الانيق والجبل المكلل بالصنوبر والصخور واعشاش الطيور واغنية السواقي ورونق المرج الخضر والرياح واسراب الفراش ، دون ان نلمح ما يدل على رغبة في الانتقاء والاختيار ٠

ولا تقتصر هذه الظاهرة على شعر الشابي ، وانما تتضح فيما كتبه من نثر ايضا ، فاسمعه يقول عن الشعر : (ان الشعر هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار وفي بسمة الوردة الحائرة يدمدم

فوقها النحل ويرفرف حواليها الفراش وفي النغمة المغردة يرسلها الطائر في الفضاء الفسيح وفي وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول وفي دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار وفي مطلع الشمس وخفوق النجوم ٠٠)

وفي مقالة : الشعر ماذا يجب ان يفهم منه يقول : (فالشاعر والفنان والفيلسوف والراهب في ديره والناسك في صومعته والشاب في مدرسته والغادة في خدرها والراعي بين الغابات والجبال والحصاد بين السنابل والاغمار والبحار يصارع الموج ويقاوم العاصفة في زورقه الصغير ، كل هوءلاء يتحدثون عن الشعر ٠٠٠)(١٣)٠

بل ان الشابي – لفرط حبه للطبيعة واقتصار صوره عليها – يجد لذة في استقصاء صورها وتجميعها ، فما أن تحين فرصة لرسم صورة شعرية، الا ونجد الشابي يتتبعها في مجالات الطبيعة المتباينة على نحو يخيل الينا ازاءه ان تقصيها لم يكن – في أغلب الاحيان – الا لمجرد تصويرها ، وان بامكاننا ان نحذف منها او نضيف اليها اجزاء كثيرة او نعبث بنظام تسلسلها دون ان يخل ذلك بها ، فحين يريد الشاعر أن يعبر عن تقديسه للحب المثالي نراه يجمع كل ما هو جميل طاهر من مظاهر الطبيعة ليشبه حبيبته به فيقول :

عذبة أنت كالطفولة كالاحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمال وشباب منعم أملود
يا لها من طهارة تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد
يالها رقة يكاد يرف الورد منها في الصخرة الجلمود
انت ما انت انت فجر من السحر تجلى لقلبي المعمود
انت روح الربيع تختال في الدنيا فتهتز رائعات الورود
انت انت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجي الفريد
انت انت الحياة في رقة الفجر وفي رونق الربيع الوليد
انت قدسي ومعبدي وصباحي وربيعي ونشوتي وخلودي

وليس لهذه الصورة التي رسمها الشابي لحبيبته اطارا معينا أو حدودا ثابتة ، وانما نستطيع أن نضيف اليها كل ما نشاء من صور جميلة دون ان ينال ذلك من جمالها أو وحدتها ٠ وقد يحتج أحد بأن تشبيه الشابي حبيبته بكل هذه الصور دليل على عمق شغفه بها بحيث انها تتراءى له اينما ولى وجهه ٠ وقد يبدو هذا الرأي وجيها اذا تذكرنا قصائد الغزل القديمة التي كان الشاعر فيها يقابل بين أجزاء من جسم الحبيبة وما يماثلها في الطبيعة(١٤) ، واذا تذكرنا عشرات القصائد الحديثة التي قضى فيها أصحابها

على آثار الشابي ونهجوا نهجه ، ولكننا ينبغي ان نلتفت الى ان قيمة الصور الشعرية في نموها بما يخدم روءيا الشاعر بحيث ان الصورة التالية يجب ان تضيف احساسا الى الصورة السابقة حتى اذا انتهت القصيدة شعرت باستحالة التخلي عن اية صورة شعرية ، وان الصور اسهمت في خلق بنية حية فريدة لا يمكن ان نضيف اليها أو نحذف منها • غير ان صور الشابي تتناظر ولا تنمو ، فصورة الليلة القمراء في القصيدة السابقة لا تضيف جديدا الى ما أوحت به صورة السماء الضحوك ، وانما تناظرها وتشابهها بما يربطها بها من معاني الجمال والرقة ، وهي ـ فضلا عن ذلك ـ لم تبثق منها ، فيمكن ـ لذا ـ تقديمها عليها • ولهذا نجد ان تتابع صور الشابي لا يخضع لعلاقة وظيفية تنبع من نمو داخلي ، وانما تتسع عرضيا في مدى مكاني لا اثر للزمن فيه •

ولنفترض جدلا ان لصور هذه القصيدة ما يبررها ، فما الذي يبرر تكديس هذا الحشد من الصور المتباينة في قصيدة (قلب الام) التي يقول فيها :

يصغي لنغمتك الجميلة في خرير الساقيه
في رنة المزمار في لغو الطيور الشاديه
في ضجة البحر المجلجل في هدير العاصفة
في لجة الغابات في صوت الرعود القاصفة
في نغمة الحمل الوديع وفي اناشيد الرعاة
بين المروج الخضر والسفح المجلل بالنبات
في كل أصوات الوجود طروبها وكئيبها
ورخيمها وعنيفها وبغيضها وحبيبها
ويراك في صور الطبيعة حلوها ودميمها
وحزينها وبهيجها وحقيرها وعظيمها
في رقة الفجر الوديع وفي الليالي الحالمة
في فتنة الشفق البديع وفي النجوم الباسمة
في رقص أمواج البحيرة تحت اضواء النجوم
في سحر أزهار الربيع وفي تهاويل الغيوم
في لمعة البرق الخفوق وفي هوى الصاعقة
في ذلة الوادي وفي كبر الجبال الشاهقة
في مشهد الغاب الكئيب وفي الورود الغاوية
في ظلمة الليل الحزين وفي الكهوف العارية

فما الذى ابقاه الشابي مما لم يصغ فيه قلب الام لنغمة طفلها الجميلة ؟ لا شك اننا نطلب من الشابي اكثر مما كانت مفاهيم مرحلته التاريخية تستطيع ان تقدمه اذا انتظرنا منه ان يختار موقفا واحدا يعمق فيه حنين الام لطفلها كما فعل الشاعر الحديث حين قال فى تجربة مماثلة :

إسائل كل ما فى الليل من شبح ومن ظل
اسائل كل ما طفل
أأبصرت ابنتي ، أرأيتها ، أسمعت ممشاها ؟
وحين أسير فى الزحمة
أصغر كل وجه فى خيالى : كان جفناها(١٥).

ولكن بامكاننا ان نتساءل عما جمع بين كل هذه الصور المتناقضة ، فاذا كان من الطبيعي ان يصغي قلب الام لنغمة الطفل فى رقة الفجر الوديع أو الليالى الحالمة ، فأية واقعية أو صدق فنى فى ان يصغي قلبها للطفل فى هوى الصاعقة ولمعة البرق الخفوق والاسود العاوية ؟ لا شك انها رغبة الشاعر فى الاستطراد والاستقصاء اللامبرر فنيا هى التى جنت على تصوره، فكان متوقعا — لذا — أن تتضارب الصور وتتناقض .

لقد كان حب الشابي للطبيعة ممتزجا بنفسه ، ولكن هذا الحب لم يكن يمتزج دائما بالصور نفسها ، بحيث يقدم لنا دائما صوراً رائعة للاتحاد الخصب بين الشاعر والطبيعة كتلك التى قدمها شعراء الجيل التالى فى مثل قول عمر النص :

جن الظلام ولست أرهبه	أنا منه وهو كيانى الرحب
تهداره يأسي ، وظلمته	قلبي ، ورجع رياحه ندب
هدرت وساوسه فقلت لها	لا أنت مفزعة ولا النكب
الريح تعرف كيف احضنها	والليل يعلم أنني حدب(١٦)

ولذا ، فقد ظلت صور الشابي — فى أغلب قصائده — مستقلة لا نكاد نعرف موقف الشاعر منها أو نوع العاطفة التى تحملها ، لولا ما يسبقها من تقديم أو يليها من تعقيب ، فلولا علمنا بأن قصيدة (قلب الام) تدور حول حنين الام لطفلها لما كان بمستطاعنا ان نعرف دلالة الصور التى جمعها الشابي ، لان الصور تكاد تنفصل عن انفعاله بالتجربة ، ولذلك كانت الدلالة فيها مضافة من الخارج ، لا نابعة من صميمها .

وقد ترتب على هذا ان جاءت صورة مباشرة لا تداخل أو امتزاج بين عناصرها ، وبالرغم من أن الصورة الشعرية القديمة مباشرة ومنسوخة بحسب علاقات الشبه بينها وبين عناصر الطبيعة الخارجية فقد كان فى اعجاب النقاد بمثل قول الشاعر :

وسالت بأعناق المطي الاباطح

أو :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا   انصاره ، بوجوه كالدنانير

ما يدل على احساسهم بقيمة الصورة الشعرية اللامباشرة التى تتداخل عناصرها وتمتزج على نهج تصويرى جديد ، بل ان في قول شاعر كأبى نواس : (نسيم عبير ساطع ولهيب) ما يدل على احساس الشاعر القديم بجمال الصورة الشعرية التى تتداخل فيهما الحواس بحيث يكون للعبير نسيم ساطع(١٧)٠

غير اننا اذا استثنينا بعض اللمحات النادرة عند الشابى فى مثل قوله : (يشدو النسيم) ٠٠ (ربيع كأنه حلم الشاعر) ٠٠ (كنت فى فجرك الموشح بالاحلام عطرا يرف ٠٠) ٠٠ (خلقت طليقا كطيف النسيم) ، حيث نلمس بوادر لوسم الصورة الرمزية التى تتراسل فيها الحواس ، والتى تطورت فيما بعد عند شعراء لبنان الرمزيين ، فان صوره تبقى محتفظة بأبعادها المباشرة المنسوخة عن الطبيعة على شكل لمحات جزئية مجتمعة ٠

ولا يظن أحد ان فى ما قلته بشأن الصورة الشعرية عند الشابى قصدا الى النيل من شاعريته المبدعة او الانتقاص من موهبته الخلاقة ، فيقينى ان ابا القاسم كان رائد الشعراء المحدثين فى الافادة من صور الطبيعة على نهج جديد ، فاذا تذكرنا قول ازرا باوند : خير للفنان ان يقدم صورة فنية واحدة فى حياته من ان يقدم أعمالا ضخمة خالية من التصوير ٠٠ عرفنا قيمة ريادة الشابى الذى قدم صورا فنية عديدة فى حياته القصيرة ٠ وحسب الرائد أن يمهد السبيل ٠

---

(١) راجع : أسس النقد الادبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، ص ٤٢٠_٤٣٧
(٢) نفس المرجع ، ص ٤٣٧_٤٧٢ ٠
(٣) سر الصناعتين ، ص ١٢٨
(٤) راجع : التطور والتجديد في الشعر الاموي ، شوقي ضيف ٠
(٥) الجاحظ : الحيوان ٣/٣١١
(٦) النقد المنهجي عند العرب ، الدكتور محمد مندور ص ١٦٢
(٧) الدكتور محمد مندور : قضايا جديدة ٠٠ ص ٩٣
(٨) راجع الفصل السابع من (أسس النقد الادبي عند العرب) للدكتور أحمد احمد بدوي
(٩) عيار الشعر : ابن طباطبا ، ص ٧
(١٠) احمد الشايب : اصول النقد الادبي ص ٢٤٦
(١١) الدكتور ناصر الحاني : نقد وادب ص ١٠٦
(١٢) راجع أيضا قصيدة (الابد الصغير) ٠
(١٣) الشابي ٠ حياته _ شعره : ابو القاسم محمد كرو (ص٢١٩) ٠
(١٤) راجع : الاسس الجمالية في النقد العربي : عزالدين اسماعيل ٠
(١٥) من قصيدة (الام والطفلة الضائعة) لبدر شاكر السياب ٠ من ديوان (المعبد الغريق)
(١٦) من قصيدة (فى الليل)
(١٧) راجع : الرمزية في الادب العربي للدكتور درويش الجندي ٠

مرثية الى بدر السياب

محمد جميل شلش



وبأيما نغم ستختلج الشفاه
وبأيما ألم سيصهرنا لظاه
وبأيما قلم تعيس .. يا اله
سيخط للاجيال – ما صنعت يداه
جيل من الاحباب
والكتاب
والشعراء – أبناء الحياه
جيل المناكيد القساه
واخجلة الحرف المدمى
في ربيع مخاضه ...
واخجلتاه !!
أنا لست أملك غير أن أبكي
وأجهش يا رفيق الذكريات
بألف آه :
الشعر .. لالا في غياهب ليلنا بدراً
وأطفأنا سناه
اللحن .. أزهقنا صداه
واضيعة الشعراء
في مأساة قلبك يا أخي ..
واضيعتاه .

يا شاعر الاحزان
يا بدر القوافي
أي أغنية جريح
أي اختلاجات حيارى
أي نجوى مرة ، تنساب من خلل الضريح
اني لأخجل من شموخك يا رفيقي
وهو في جدث طريح
اني لأسمع صوتك الصافي يصيح :
يا هذه الدنيا ...
محضتك كل ما في القلب من حب صريح
ونسجت أعصابي
ثيابا لليتامى ...
فهي في جسدي الطريح
رمل وريح .
ومحضتني اكليل شوك
دون جلجلة ، على درب المسيح
ونسجت لي ، وأنا غريب الدار — يا دنيا — جريح
كفني الرهيب ...
فخلني في قاع قبري
من عذابك أستريح .

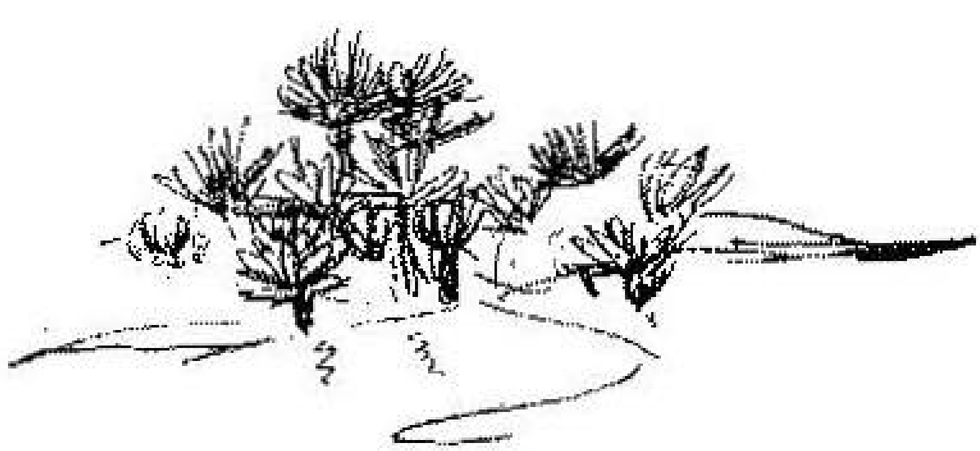
●

يا شاعر الاحزان
يا بدر القوافي الخالدات
النابضات بكل ما نهوى وان كره الطغاة
يا من نذرت الحرف قرباناً لأبناء الحياة
ورفعت انسان الحياة
فوق الشعارات الحيارى البائسات
يا شاعري ..
نم في ضريحك ميتاً حياً

فما غنيت أبقى من حياة
والموت أهون يا رفيق الذكريات
الموت أهون من لياليك العجاف الموحشات
الموت خير من حياة
بخلت عليك ــ وانت واهبها ــ بأغنية حزينة
تبكي بها « غيلانك »(١) المفجوع آخر مرة ..
تبكي بها اخوانك الشعراء في ليل المدينة

●

يا شاعر الاحزان
اسمع في ضريحك لحن عارك ، لحن عاري
ينساب من شفتيك ، يصعد من قرارك ، من قراري
من كل صدر في العراق
من الحقول ، من الصحاري
ينساب في « جيكور »(٢) حشرجة احتضار :
واخجلتاه ...
أكان حقاً أن يموت هزارنا الظمآن
في ليل الفراق
واخجلتاه ...
أكان عدلا أن يموت بلا يد تحنو عليه
ولا رفاق
واحسرتاه عليك يا بدر العراق



(١) (غيلان) ابن المرحوم بدر السياب .
(٢) (جيكور) قرية الشاعر .

مرض السل وعلاقته بالمراهقات

تماضر المدرس

انني جـد مشوقة لكتابة هـذا الموضوع والتحدث عن هـذا المرض بالذات ، مرض السل اللعين ، الذي هو من أكثر الامراض انتشارا عندنا في العراق ، والذي هو أحد نتائج سوء التغذية لاسيما في دور البلوغ لان صحة الاطفال – في أي قطر كان – متأثرة بالغذاء ·

وان احصائيات الوفيات للطفل الرضيع تقدر ب (٢٠٠ – ٣٠٠) لـكل ١٠٠٠ طفل مولود مـع ارتفاع في الرقم الى ٤٠٠ في بعض المناطق ، وان جرثوم هذا المرض هو من الرواشح ويعرف بعصية كوخ ·

وللتغذية أكبر تأثير على هذا المرض ، وفي معظم الاقطار الفقيرة يكون عدد الاشخاص المصابين بالمرض مرتفعا كثيرا والوفيات تكون كثيرة جدا · والحال بعكس ذلك في الاقطار المتقدمة غذائيا ·

ولذلك سوف أبحث في كتابتي عن هذا المرض عن الاصابات والاسباب المؤدية للاصابة وطرق علاجه بالغذاء الصحي القليل التكاليف ·

التعريف :

أن هـذا المرض الذي يصيب البالغين والمراهقين له علاقة وثيقـة بالتغـذية ، وان ما يقارب الثمانين حالة درست ونشرت عن هـذا المرض وقدمت الاقتراحات الضرورية للتغلب عليه بواسطة جمعيات السل الوطنية·

وان آخر تقـرير قدمته في هـذا المجال ذكرت فيـه أن ما يقـارب ٠٠٠ر٢٠٠ر١ شخصا مصابون بالسل بصورة نشطة أو ضعيفة في الولايات المتحدة ، وقد خصصت لهذا الغرض المستشفيات الكافية وطرق العـلاج الصحيحة معتمدة على التغذية الجيدة للتغلب على هذا المرض ولتقليل عدد الوفيات · لذلك نرى أن نسبة عدد الوفيات أخذت تتناقص على مرور الزمن نتيجة لاهتمام الحكومات بالتغذية الصحيحة الجيدة ·

وان جرثومة هذا المرض معدية لذا وجب اتخاذ التدابير الواقية من هذا المرض لمنع انتشاره ولاسيما في دور المراهقة ·

١ – الارهاق ·
٢ – سوء التغذية ·

هذا وان نسبة الوفيات في دور الولادة يتأثر بالنقاط الآتية :

١ ـ العدوى واصابة الطفل بالمرض مما يضاعف نسبة عدد الوفيات .
٢ ـ المقاومة لدى الطفل ضد هذا المرض الذي يتوقف على صحة الطفل العامة وتغذيته .
٣ ـ نوعية المقاومة للمرض من حيث كونها مقاومة تامة للمرض أو أنها مقاومة ضعيفة وحينئذ يكون هناك احتمال في الاصابة بهذا المرض .

التغذية اللازمة للاصحاء البالغين :

أنه لمن الواضح بأن هنالك عددا كبيرا من الاطفال يعد بالآلاف مصابون بالسل الابتدائي والذي في دور المراهقة ينمو كمرض السل في دوره النهائي نتيجة اهمال التغذية الصحيحة أو انعدامها ، وان هذه الجراثيم ان لم تؤثر على الطفل في فترة الرضاعة فانه يظهر تأثيرها في فترة أخرى من أدوار النمو وحينئذ يصاب الطفل بهذا المرض ويكون في هذه الحالة واسطة لنقل العدوى لغيره من الاطفال أو الاشخاص . وان السبب في اصابة الاطفال أو البالغين بهذا المرض هو سوء التغذية وقد قال أحد العلماء الامريكان في تقريره عن التغذية للبالغين من البنات وعلاقتها بالسل بأن ازدياد عدد الاصابات بالسل هو نتيجة الاخفاق في مجابهة شروط التغذية الصحيحة أو التغذية اللازمة لنموهم السريع في هذه الفترة أو المرحلة من العمر .

ان التغلب على هذا المرض يتوقف على درجة نجاحنا في الغذاء الصحي والتغذية الصحيحة وتتمثل الاسس والقواعد الغذائية اللازمة للبالغين في طريقتين من الاستحالة هما :

١ ـ اذا كانت الاستحالة للغذاء كاملة نتيجة التغذية الصحيحة أي أن كمية الكالسيوم والنايتروجين كافيتين فتكون تغذية الشخص كاملة صحيحة ، وتكون له مقاومة ضد هذا المرض .
٢ ـ في حالة الاستحالة غير الكاملة أي عدم مقدرة الجسم على استفادة الكالسيوم والنتروجين أو الاستفادة منهما فيكون الجسم عرضة للاصابة بالمرض .

ان الفيتامينات تلعب دورا هاما في استحالة الغذاء ولها تأثير بالغ على هذا المرض لاسيما في دور المراهقة .

ان دور الفيتامينات والكاربوهيدرات والحوامض الامينية في عملية الميتابولزم قد درست ولوحظت في أثناء عمليات الميتابولزم الحيوية .

وتكون كمية فيتامين (A) اللازمة في دور المراهقة بين ٠٠٠ر٣ ـ ٠٠٠ر٦ يونت كل يوم خلال فترة النمو السريع ، وان كمية فيتامين (D) الضرورية

خلال فترة النمو ٥٠٠ر١ يونت لكل يوم ، وان فيتامين (D) يتضاعف من خبط الكالسيوم (لان الكالسيوم يساعد على امتصاص فيتامين (D) ، وان كلا من فيتامين (K) و (E) ضروريان للتغلب على هذا المرض ، وان كمية الثايمين الضرورية للبالغين تتأثر بعدة عوامل مثل كمية الكاربوهيدرات ، والدهن ، وزيادة النمو ، وان الكمية المحتاجة تتراوح بين ١ ـ ٨ر١ملغم لكل يوم ، أما الفايسين فهي ١٧ملغم لكل يوم ٠

مدلولات التغذية للسل في البالغين :

السل مرض سار بسببه العدوى بعصيات السل ـ عصيات كوخ ـ وهو مرض اجتماعي لانه ينتشر حيث يعم الجهل والفقر وحيث الازدحام وسوء التغذية وفي البيوت غير الصحية والعادات الاجتماعية ٠ وان مرض السل قبل العشرين يكون نتيجة لشيئين مهمين هما :

وان الخطوات المتبعة في معرفة معالجة المرض هي :

١ ـ أن التغذية الصحيحة تساعد على تقليل عدد الوفيات بين الاشخاص ٠
٢ ـ محاولة التأثير على المرض بواسطة مختبر الحيوانات واعطائهم تغذية مختلفة ثم اجرائها على الانسان بعد ذلك ٠
٣ ـ محاولة التغلب على المرض بواسطة المعالجة الغذائية
٤ ـ بواسطة أنواع التغذية الصحيحة على الاشخاص المصابين وملاحظة التقدم ٠
٥ ـ معرفة التغذية المثالية بواسطة قياس النايتروجين والكالسيوم حسب درجة المرض عند ظهوره ٠

أن اتباع تغذية صحيحة من شأنه أن يجعل للفرد القابلية على مقاومة المرض والتغلب عليه ، أما البيوت غير الصحية وقلة العناية الطبية فمن شأنها أن تضاعف المرض ٠

ويمكن قياس التغذية الصحية بكمية النايتروجين والكالسيوم لدى الشخص في حالة المرض ثم بعد التغذية الصحيحة لانه بواسطة هذا القياس نتمكن من معرفة التقدم ٠

وان معدل الحركة أو الاحساسات يؤثر على زيادة المرض في دور المراهقة فأذن السبب الاول في هذا المرض هو سوء التغذية اضافة الى العوامل الاخرى كالبيوت المزدحمة وقلة العناية الطبية والشعور بالحزن والالم وما الى ذلك من الاسباب التي تسبب أو تساعد على الاصابة بهذا المرض أما عند الاطفال فالحزن أيضا يؤثر ، وان هذا الحزن متسبب عن الصدمات التي تصيب الطفل نتيجة عاهة أو عدم تمكنه من القيام بالواجبات المدرسية مما يسبب نقص الوزن تدريجيا وبالتالي الاصابة بالمرض ٠

ان عملية الميتابولزم في المصابين بالسل لا تعطي درجة حالة المرض

أو ازدياده كما في بقية الحمى ، وان زيادة الوزن لدى المراهقين المصابين بالسل يعتبر قياسا لحالة التغذية لان تعادل النايتروجين (نتروجين بلانس) يؤثر على بناء الاعصاب وعلى الحيوية لحالة التحمل أو التغلب على المرض في حالة خطورته لان البالغين من البنات يتناولن كمية كبيرة من الكاربوهيدرات في أنواع من الغذاء اليومي مثل : الكيك ، الفطائر ، الحلويات ، السكريات ، البطاطا على شكل جبس ٠٠ الخ ٠ ففي هذه الحالة تحدث زيادة في الوزن ومثل هذه الزيادة لا تعتبر دليلا لحالة التغذية الصحيحة ٠ وكان أحد الاطباء قد استنتج انه نتمكن من جعل المرض لا ينتشر بين المراهقين المصابين بالسل وذلك عن طريق زيادة الوزن بدون خزن النتروجين ، وقد وجد أن غذاء مناسبا زهيد الثمن محتويا على مواد غذائية صحيحة يمكن اعطاؤه للمرضى الذي يزودهم بالسعرات الحرارية اللازمة في العمليات الحيوية مضافا اليها ٧٠٪ من السعرات مشتقة منها ١٥٪ سعرات من البروتين و٢٥٪ من الدهن و٥٠٪ من السعرات من الكاربوهيدرات ، لذا يجب الاهتمام بعملية الاحتراق الداخلي التي تحدث على الغذاء كي نتمكن من اختيار الغذاء الصحيح ٠ لذا يجب عدم ترك موضوع اختيار الغذاء الصحيح لذوق الاطفال ورغبتهم من النوع الذي يحتوي على قليل من البروتين وكثير من الكاربوهيدرات والدهن ٠

وهناك جماعة من الاطباء قالوا بوجوب اعطاء المرضى في المستشفى الغذاء الذي يكون فيه الاحتراق الداخلي تاما والذي يحتوي على مواد بروتينية كافية لمدة فوق الشهر للتعود على ذلك الغذاء والتغلب على المرض ، وكذلك الحال في المعالجة خارج المستشفى

وقد أجريت عدة بحوث على عمليات الميتابولزم في هذه الفترة عن الغذاء اللازم مع وجود عوامل مختلفة غير الغذاء الذي يؤثر على بقاء النتروجين والكالسيوم اللذين يؤثران على تطور السل في هذه السن ٠

ان مسحوق الحليب أو أمينو اسيد **(Amino acid)** مصدر لزيادة السعرات ، النتروجين والكالسيوم بدون زيادة في كمية الغذاء ، وان ضبط أو بقاء ٢ـ٣ملغم لكل كيلو غرام من وزن الجسم لكل يوم من الكالسيوم للبنت يسبب سالبية في تعادل النتروجين أي أن عملية النتروجين تكون غير كاملة ٠ ان معدل أخذ فيتامين (دي) في هذه المرحلة يتراوح بين ٦٥٠ ـ ٣ر٩٠٠ يونت على شكل مركز معتادل بزيادة كمية الكالسيوم المقررة ، ولا يمكن ضبط كمية الكالسيوم بدون وجود فيتامين (دي) حيث تكون الاستفادة من الكالسيوم أو الاثنين معا أتم وأكثر فائدة ٠ وان درجة فعالية مرض السل تقدر بالحركة ، ففي البنات البالغات عندما تكون الحرارة والفعاليات الحيوية اعتيادية ، فالسكون يصحب بزيادة ضبط النتروجين في الاشهر الاولى من المعالجة ٠ وهناك علاقة بين البروتين ريبوفلافين **(Riboflvin)** المأخوذ ١٠٠٦ر١ ملغم بروتين مساويا ٢٨٠ر٠ ريبوفلافين

حتى ولو كان المريض لا يشرب الحليب فانه يؤخذ المعدل المناسب من الحليب أو عن استعمال الحليب أو منتجاته في تحضير الغذاء ، وان الكالسيوم المأخوذ يقارن مع الريبوفلافين المأخوذ • وان انخفاض مستوى (نسبة) فيتامين (سي) يكون عاملا في نقصان الكالسيوم • وهنالك بحوث تظهر الزيادة المدهشة في ضبط وادارة جرعات كبيرة من (Cenitamic acid) حيث تساعد على امتصاص الكالسيوم وفيتامين (سي) •

وقبل الذهاب بعيدا في المناقشات والبحوث في التغذية للمصابين بالسل هنالك عوامل أخرى مؤثرة مثل : الراحة ، والهواء الطلق ، بالاضافة الى العامل الاول وهو الغذاء الجيد للتغلب والنقاهة في دور السل • فالراحة هي أول شيء يجب اتخاذه في معالجة المسلولين وكذلك في حالة الفعاليات الحيوية أو استحالة الغذاء •

ان المعالجة المستعملة في حالة العدوى بالسل الرئوي عن طريق التغذية يكون مقدار الدهن عالي ٥٨٪ من السعرات ومعتدل في البروتين ١١٪ ومنخفض في الكاربوهيدرات ٣١٪ ولكن في مرحلة نمو المراهقين يكون البروتين المأخوذ مناسبا ويزداد الى ١٥٪ على حساب الكاربوهيدرات •

ولزيادة النتروجين والكالسيوم المتبقي تستعمل كميات صغيرة من (Thyroid) وهنا يجب الاعتناء التام في أخذ هذه الجرعات الصغيرة كي لا تتحول عمليات الميتابولزم البنائية الى هدمية وان أي عامل يؤثر على ضبط النتروجين والكالسيوم يؤثر على تطور المرض وان الدراسات أوجدت ان المصابين بالسل يكون قد حدث اختلال في هذه العناصر من هرمونات وفيتاميتات •• الخ • في سنة ١٩٣٣ قام العالم لسر (Lisser) بعدة تجارب ووجد ان زيادة فعالية (Thyroid) تسبب السلبية في النتروجين ونقصان العوامل الاخرى يسبب تقدم المرض •

ان تأثير الهرمون على المرض يتأثر نتيجة :

١ ـ في حالة عجز في افراز الهرمون •

٢ ـ علاقة (Thyroid) بالعمليات الحيوية في مرحلة النمو وقد وجد أنه في حالة انخفاض حالة عمليات الميتابولزم يكون هنالك ضعف في ضبط الامتصاص أو انعدامه وفي حالة ارتفاع العمليات الحيوية يحدث نتائج فقدان كميات من اليوريا في البول ، وتستعمل كميات ضرورية مناسبة لسد حاجة الجسم في النمو يضاف الى ذلك المواد المضافة واللازمة للتغلب على السموم الهدامة كنواتج المرض والكميات اللازمة لتقوية الجسم للتغلب على المرض •

فمرضى من القسم المنخفض في أخذ البروتين قبل عناية المستشفى بهم يبقون أمام احتمال الخيبة كمرضى من القسم المنخفض بالرغم من مضاعفة أخذ الغذاء ولكن بزيادة الحليب ومنتجاته في المستشفى يعتبر مهما وهنالك

فرق بين غذاء المطعم الفقير في عناصره الغذائية وبين غذاء البيت الذي يكون في أغلب الاحيان غنيا في عناصره الغذائية ٠ وهذا يوضح الحاجة العلمية في التغذية لتحسين الغذاء المأخوذ وتكوين العادات الصحيحة في التغذية ٠

ان التغذية تعتمد على دخل الفرد من حيث الكثرة والقلة والمقدار المخصص من الدخل الى التغذية ٠ فهذه كلها عوامل تؤثر على نوع التغذية وكذلك الاكل في المطعم أو البيت يؤثر على الزيادة في الوزن ونوع التغذية ، فالذين يدرسون تأثيرات التغذية على هذا المرض يفرقون من حيث الجنس ، الاكـل في المطعم أو البيت ، أو اذا كان شخصا لوحـده رجلا أو امرأة ، ولاسيما الرجال ٠

تعيين السعرات المأخوذة :

لقد سجل غذاء المصابين بالسل لمدة سبعة أيام وحسب النسبة ٥١ امرأة الى ٢٣ رجلا من المرضى ، وان مدلولات التغذية للرجال حسب الارشاد الغذائي جمع اسبوعين متقدم على النساء المرضى كانوا يزارون يوميا خلال الاسبوع الدراسي وكذلك معرفة الاحتراق لكل فترة من الغذاء أو الوصفة الغذائية لكل قائمة غذائية يومية وكذلك سجلت في القائمة موادا اضافية غذائية متنوعة ، أما الفيتامينات الاضافية فقد سجلت على حدة بسعرات حرارية كانت تحسب بالنسبة لكل حصة غذائية ثم المعدل يحسب بواسطة ماكنة كهربائية ٠ أما أخذ الكاربوهيدرات ، الدهن ، البروتين ، اليومي فتجمع معا ، وان أخذ الغذاء يكون مرتبطا مع أشياء أخرى على التقديرات الفيزيائية مثل الحرارة ، المرضى ، الحيوية ، نوع تشخيص المرضى ، عمر المريض ، الجنس ، عادات اجتماعية ، زمن تشخيص المرض ونوع المعالجة وتأثير الكحوليات على التغذية ٠

ان الغذاء اليومي الذي يعطى للمعالجة في المستشفيات يحتوى على ٣٠١٦ سعرة حرارية محتويا على ١٠٧ غرام بروتين و١٤١ غرام دهن و٣٤٥ غرام كاربوهيدرات ومقدار السعرات التي تعطى من قبل البروتين تقـدر ب ١٤ر٢٪ من مجموع السعرات بينما غذاء النساء يحتوى على ٢٧٦٦ سعرة محتويا على ٩٥ غرام بروتين و١٢٤ غرام دهن و٣٤٤ غرام كاربوهيدرات، وتقدر سعرات البروتين بـ ١٣ر٧٪ من مجموع السعرات ٠

التغـذية والحمى :

في الجماعة التي تحت الارشاد يكون نقصان الوزن بسبب عامـل الحمى ، ١١ مريض ٨ رجال و٣ نساء قسموا تقسيما اطلق عليه اسم **(Febrile)** وان ٧ رجال و٢ نساء في هذا التقسيم فقدوا وزنهم ٣ رجال فقدوا وزنهم بالرغم من المعدل الذي يقارب فوق ٢٠٪ من فعاليتهـم الحيوية من السعرات الحرارية اللازمة ، وامرأة واحدة حصل عندها زيادة

في الوزن اي ٢٣١٪ من السعرات اللازمة في فعاليتهـــا الحيوية زادت عـن المعدل • ان مرضى (Febrile) من القسمين بينت انخفاض متناسب لتعين الوزن على ١٨١٪ من السعرات اللازمة للفعاليات الحيوية •

يدل هذا على اهمية الحمى في التأثير على اعمال الميتابولزم •

المعالجة بالسعرات :

يعتقد ان استعمال (Pneumoperitoneum) في المعالجة للمسلولين يقلل أخذ الغذاء • ولقد قورن الغذاء المأخوذ للرجال والنساء المصابين مع التدهور في الصحة أو ثبوتها • وفي هذه الاقسام ست حالات مختلفة ظهرت، ففي قسم أو جماعة الرجال المرضى استلموا معالجة متدهورة أكلوا غـذاء يحتوي على سعرات حرارية عالية عن الذين لم تكن معالجتهم متدهورة أو غير جيدة • أما في جماعة النساء فالعكس كان صحيحا ، فالنسـاء اللاتي كانت معالجتهن متدهورة أكلن أقل من اللاتي كانت صحتهن جيدة •

وان اضافة حامض بارا امينو سالسيليك بشكل سائلا يؤخذ عن طريق الفم يعتقد أنه يحفظ أخذ الغذاء ولكن وجد أن الذين يتناولون (P.A.S.) هؤلاء هم الذين يتناولون غذاء عالي السعرات ووجـد في هـذه الجماعة أن تأثير الادوية قد يضاعف من الغذاء المأخوذ •

تأثير البروتين :

ان مصادر البروتين قد قسمت الى قسمين بروتين جيد حيواني وآخر نباتي وهو غير كامل • وان مصادر النوع الاول هي (اللحم ، السمك ، الطيور ، البيض ، الجبن والحليب مع منتجاته) • ويعتقد أنه بزيادة شرب الحليب نلاحظ أن أخذ أنواع البروتين الاخرى يجب أن يقلل • وقد فرقت الجمعية العامة لهذه المجموعة من المرضى بين زيادة كميات شرب الحليب ، وزيادة أنواع البروتين الاخرى مع تحديد قليل للبروتين الجيد الكامـل المتنوع غير الحليب وقد قررت أخذ من ٢٠ ــ ٥٠ غرام من البروتين الجيد غير الحليب مع أن البروتين المعطى عن الحليب يصل مدى ١٠٨غم يوميا •

ان أخذ البروتين العالي للرجال قد وجد تقريبا مع النسب المئوية العالية للبروتين مشتقة من مصادر البروتين الجيد المختلفة • ويكون أخذ الحليب للنساء في مستوى أقل مما في الرجال ، لذا تحدث قلة في التوحيد بين نسبة أخذ بروتين الحليب ونسبة السعرات اللازمة للعمليات الحيوية من السعرات البروتينية • وان الخبز والحبوب ومنتجاتها تحتوي على نسب من البروتين كاربوهيدرات ثايامين في التغذية ففي هذه الدراسة ان بروتين الحبوب المأخوذ ٨ غرام يوميا أو أكثر عندما يكون مجموع البروتين المأخوذ ٨٠ غرام أو أكثر •

علاقة البروتين الريبوفلافين والكالسيوم :

هنالك علاقة تامة بين البروتين والريبوفلافين المأخوذ في قسم الرجال والذي يختلف عن النساء ، وفي كلا القسمين علامة بين البروتين والريبوفلافين التي تعادل من ٢٥ ـ ٥٠ غرام ٠

ولما كان مصدر الريبوفلافين هو الحليب ، والحليب مصدر للبروتين ، وان مقدار ما يحتاجه الرجل منه (٠ر٣٧٨ ± ١ر٠٤٢٠)ملغم أما للنساء (٠ر٢٨٠ ± ١ر٠٠٦)ملغم واذا كان الفرد لا يتناول الحليب يجب اختيار مصدر اخر له كمنتجات الحليب ٠

والكالسيوم المأخوذ يقارن مع الريبوفلافين الذي يبين أيضا ترابط هام في الرجال مع علامة في جماعة النساء مع اختلاف هام عن جماعة الرجال٠

الكالسيوم المأخوذ من مصادر غير الحليب للرجال هي (٠ر١١٨ ± ١ر٦٤٦)كغم وللنساء (٠ر١٤٦ ± ٠ر٤٨٠)كغم أو فوق نصف الحد الاصغر ، ويمكن معرفة الريبوفلافين المأخوذ من كمية الكالسيوم المأخوذة ٠ فاذا كانت كمية الكالسيوم المأخوذة ١ر١غم تكون كمية الريبوفلافين المأخوذة حوالي ٢ملغم ٠

علاقة الكاربوهيدرات بالثايمين والنايسين :

هنالك علاقة بين الكاربوهيدرات والثايمين والنايسين ويمكن الحكم عليهما من كمية الكاربوهيدرات المأخوذة ، فهنالك ربط بينهما ٠ فاذا كانت كمية الكاربوهيدرات ٢٦٠غم تكون كمية الثايمين ليس أقل من ١ملغم ولكن تحت ١٩٠غم كاربوهيدرات ٠

وان عشرة مرضى استلموا أقل من ١ملغم من الثايمين ، لذا يمكن بواسطة الكاربوهيدرات في الغذاء الحكم على كمية الثايمين ، ما عدا ثلاث حالات : الخبز ، الحبوب ، ومنتجاتها لا تعطي أكثر من ٣٥٪ من الثايمين المأخوذ في ٥٠ مريضا ٠

وهذه الاغذية تعطي ١٥ ـ ٣٠٪ ولكن حصل على تعادل بين الكاربوهيدرات الغنية والكاربوهيدرات الفقيرة في مصادر الثايمين ، والمصادر الغنية بالنايسين هي هامبركر ، سمك تونا ، وفستق العبيد ، وساندويج الزبد ٠

الفيتامينات :

ان مستحضرات الفيتامينات والحديد قد وصفت للعلاج في بعض أجنحة المستشفيات أو ردهاتها على شكل ٢ ـ ٦ كبسولات يوميا ٠ وقد لوحظت مثل هذه الطرق في مثل هذه الفترة ٠

وان سبعة عشر رجلا من واحد وخمسين رجلا (نسبة ٣٣٪ أي لكل مائة كانت النسبة ثلاثة وثلاثين) استعملوا بعض أشكال الفيتامين الاضافي وكذلك سبعة عشر رجلا من واحد وعشرين رجلا (بنسبة ٧٤٪ أي لكل مائة كانت النسبة أربع وسبعين) • وقد لوحظ في قسم الرجال نقص هام من التوحيد بين الفيتامينات الاضافية والسعرات المأخوذة ، ولم يلاحظ أي فرق بين الاشياء المضافة وزيادة الوزن •

حالات تاريخية :

أن هذا التاريخ يظهر سرعة تقهقر غير اعتيادية من امتداد استعمال الستربتومايسين ، وان الشفاء في أكثر الحالات السريعة يكون ليس عن طريق الادوية • وقد وجد الدكتور (جونستون) أن صوت الايجابية (نتروجين بـلانس Nitrogen Balance بزيادة أخذ المواد الغذائية تلعب دورا في ذلك • وان الزيادة تتأثر بجعل الحليب أكثر تركيزا مع مسحوق (كلم Klim وهناك تاريخ طفولة الفتاة عن تقدم نوع غذائها مقترح بأن تأخذ كميات أو أعداد كافية من السعرات حوالي ١٥٠٠ سعرة و٦٦ غرام بروتين وكميات مناسبة من الكالسيوم ، أي أن يتراوح مقدار ما تأخذه من الحليب ½ الى ١ .Pinf (أربعة أكواب) ومجموع كميات فيتامين (أي) وفيتامين (بي) وفيتامين (سي) وفيتامين (دي) يكون قليلا أيضا والزيادة في الوزن التي تحصل على كل كانت اعتيادية الى وقت معين حينما فقدت أربعة باونات، ثم صحح غذاؤها بواسطة غذائية •

وفي خلال حالات التقهقر السريع في المعالجة باستعمال ستبلومايسين كانت كميات النتروجين المخزونة مناسبة ، وان الخزن الى النتروجين بمنع أو ترقى في القسم الاخير من البحث باستعمال أو أخذ كميات عالية من البروتين مضافا اليها الحوامض الأمينية تحسن خزن الكالسيوم يعود الى الفعالية وأخيرا الى فعالية الثايرويد عندما يكون في حالة عملية الميتابولزم منخفضة • وان العدوى في الاطفال في أول النمو تحدث من نقصان التغذية الصحيحة ونوع الغذاء المناسب ، ولاسيما في الكالسيوم مع أخذ غذاء مناسب بنسبة الشفاء ، وبدون تدهور في المعالجة الغذائية في أقل مناسبة الذي في هذا الوقت يوجد خزن مناسب من النتروجين وبنسبة عالية جدا من الكالسيوم •

خلاصة :

ان حماية الانسانية من مرض السل مبني على أساسين وجدا من قبل العالم المشهور (باستور) وهما :

١ ـ حماية الاطفال من عصية السل وذلك بأخذها من المحيط المصاب ·
٢ ـ عزل المصابين في أماكن أو مستشفيات خاصة وفي مناطق غير مزدحمة بالسكان جيدة التهوية وفي الهواء الطلق وحصر المرضى ·

وفي هذا التقرير تكلمت على حالات أسباب مرض السل ، اجتماعية ، اقتصادية ، طبية ، وبصورة خاصة عن المستوى الغذائي الصحيح مع التوسع في البحث عن المرضى المراهقين من البنات · وذكرت أن الحد الاصغر اليومي للغذاء اللازم للاصحاء البالغين من البنات يقارن مع السعرات ، الفيتامينات، البروتين للبالغين المسلولين · وان غـذاء القسم الاخير قليل ولاسيما في البروتين الحيواني ، كالسيوم ، فيتـامين ، أمـلاح · ولو أن السـعرات المأخوذة هي نفسـها بالنسبة للناس الأصحـاء · وان التوصية لتحسـين التغذية والمعالجة الغذائية للمرضى المسلولين قد حدثت ، كما أن التوسـع والتعمق يجب أن يعملا على الحاجة الماسة للثقافة والتعلم للشعب لمنع مرض السل وذلك بواسطة التغذية الجيدة ، امتحانات فيزيائية وتحسين الحالة الاجتماعية وحالات الخير والرفاه والسعادة ·

المصـــادر

1. Chaney. Margaret S. Ph. D. Nation.
2. College standard Dictionary Funk & Wagnall's Co.
3. Fishbern, Movio M.D., Madern home adciser.
4. Johanston Joseph A.M.D. Nutritional studies in adoleseenf Girls and their relations to tuberculosis-Charles C. Thomas.
5. Johnston Josef A.M.D. Nutrition in tuberculosis Adoleseenf.
6. McLesten; James S.M.D. tuberculosis-Nutrition and dief in health and disease.
7. Rich, Arnold The pathogenesis of tuberculosis.
8. Pratl, J.H. Resf treatment of Pulmonary tuberculosis.
9. Tuberculosis Research Review J.A.M., A.
10. Wilson, Nancy D. Wilson Roger H.M.D., Farber, Seymour M.D. Nutrition in tuber culosis, IV. Adaption to Hospitaliga-tion.
11. Wilson, Nancy, D. Wilson, Roger H.I.M.D. Farber, Seymour A.M.D. Nutrition in tuberculosis patient population. Nut-rient sources and vitamin Correlations.

المطولات او

شعر الملاحم

- ٣ -

جمال الدين الآلوسي

مطولة الشيرازي

وفي نكبة بغداد على يد الاعصار التتري بقيادة هولاكو نظم كبير شعراء فارس وشيخ شعرائها سعدي الشيرازي مطولة وصف فيها النكبة وتوجع لما أصاب أهلها من تقتيل وتشريد وسبي مطلعها

نسيم صبا بغداد بعد خرابها ... تمنيت لو كانت تمر على قبري
فان هلاك النفس عند أولي النهى ... أحب لهم من عيش منقبض الصدر
زجرت طبيباً جس نبضي مداوياً ... اليك فما شكواي من مرض يسري

ومنها : يصور فضاعة النكبة

نوائب دهر ليتني مت قبلها ... ولم ار عدوان السفيه على الحبر
لعمرك لو عاينت ليلة نفرهم ... كأن العذارى في الدجى شهب تسري
كأن صباح الاسر يوم قيامة ... على أمم شعث تساق الى الحشر
ومستصرخ يا للمروءة فانصروا ... ومن ينصر العصفور بين يدي صقر
تقوم وتجثو في المحاجر والكدى ... وهل يختفي مشي النواعم في الوعر

والقصيدة نشرتها مجلة اليقين كاملة في المجلد الاول سنة ١٩٢٢

علوية (عبدالمسيح الانطاكي)

كانت (علوية الانطاكي) ملحمة لا ينقصها عنصر الملحمة سواء بطولها أو تصويرها للوقائع أو الاحداث التاريخية فقد نيفت على ستة آلاف بيت استخدم فيها بحرا واحدا وقافية وان كانت تتكرر أحيانا أرخ فيها صدر

الاسلام وفصل فيها فضائل الامام علي عليه السلام وابرز بطولاته وضمن حكمه وأقواله وقدمها الى أمير عربستان عام ١٣٢٦هـ وكان الامير الشيخ خزعل ثالث ثلاثة يمثلون الزعامة العربية وينافحون عن العروبة هم الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت والشيخ خزعل أمير عربستان والسيد طالب النقيب وطبعت على نفقة الشيخ المذكور وقدم لها الشاعر مقدمة حيا فيها ممدوحه وترجم له وعدد اياديه على الشاعر .

ثم افتتح ملحمته بفذلكة تاريخية : ومنها ــ

بشرى فنفسي قد نالت أمانيها	فما أنا فوق ما نالت أمنيها
بشرى لها بلغت أسمى مطالبها	والدهر اضحى بما تبغي يواتيها
وأي مفخرة ترجو وقد كسبت	من المفاخر والالطاف عاليها

ومنها :

أوح البلاغة في ازهى مجاليها	فأنت سيدها الاسمى وموحيها
أوح البلاغة لي حتى أجول بها	في وصف ذاتك مع سامي معانيها

ومنها :

نعم لقد جلت في أرض الجزيرة جو	لات بها جست شرقيها وغربيها
من الشآم الى أرض العراق الى	نجد الى يمن مع ما يحاذيها
وزرت تونس مع أرض الجزائر مع	مراكش جائسا أنثى بواديها
فما وجدت سوى جود وحسن ضيا	فة ودار امان عز ثاويها
وامة خير ما تسمى به عرب	ان رام تمجيدها يوما مسميها

ومن الشعراء العراقيين المعاصرين عدد غير قليل نظموا في القصص التأريخي مطولات هي أشبه بالملاحم أو هي محاولة منهم لمعاناة هذا النوع من الشعر الذي شاع نظمه في مصر وسوريا ولا سيما بعد ان ترجم الاديب اللبناني سليمان البستاني الياذة (هميروس) شعرا كان من هذه الزمرة المرحوم السيد عبدالرزاق الهاشمي فقد نظم قصيدة طويلة سجل فيها احداث الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وصور بطولات الثوار وشجاعة قادتها وتحدث عن القبائل التي اشتركت فيها واثر كل قبيلة في تلك الحرب غير المتكافئة وبرغم قلة العدد والعدد أحرز أبطالنا المغاوير انتصارات شهد بها كتاب الانكليز والفضل ما شهدت به الاعداء ، ألقى الشاعر قصيدته في جامع الحيدرخانة الجامع الذي شهد الثورة في اعدادها الفكري ومن منبره كانت تشع التوعية لفكرة الاستقلال وعلى أثر القائها أصدرت السلطة المحتلة الامر بالقبض عليه ونفيه فأختفى من الانظار وبارح بغداد الى نجد مع بعض العشائر واستقر به المقام في مدينة (حائل) استهل قصيدته بالدعوة للعلم والاستعداد للقوة ــ قال رحمه الله :

أقبل على المسعدين العلم والعلم	واستهد بالمنقذين السيف والقلم
كلاهما مفخر الدنيا وزينتها	قد أصبحا قدوة فيها الى الامم

ومنهـــا :

لا خير في هذه الدنيــا وزينتهــا بالذل والضيم والتضييع للــذمم
هلم يا شعب اما نيــل مكرمــة نحو المعالي واما مـوت محتــرم
فأسلت شبا الحزم من غمد العزيمة في وجه الملمـات واضرب ضرب منتقم
ليبتسم لك ثغر الشرق من فرح ولينشرح بك صدر القوم عن شيم
وليبتهج بـه وجـه الدين عن أمل وليستقم لك أمر الحكم عن حكم
لا سالمتني الليالي من تصرفهـا ان لم ارق في سبيل المكرمات دمي
ولا دعتني المعالي بابن بجدتهـا ان لم ابر على نيـل العـلا قسمي

ومنهـــا :

شمر عن الحزم وارفع امة حكمت دورا عظيمـا ولا تسكت على نـدم
ورد عن قومك الخطب المحيط بها بجحفل من جيوش العرب منتقم
واحفظ بسيفك مجد العرب من خطر كمـا حمتـه لك الآباء من قـدم

ومنهـــا :

عار على أمــة تنسى مفاخرهــا وتستكين لحمل الــذل والنقــم
يا قوم هبوا لنصر الدين واتحدوا ان العدى عبثت في الحل والحـرم

وبعد أن يحذر العرب من كيد المستعمرين وخفرهم للعهود خلص الى الحديث عن ثورة العراق وراح يعدد العشائر التي اشتركت في الثورة وأثرها في احراز النصر في تلك الوقائع المشهورة من الظوالم والجوابر وآل العجيري وآل الحسان والمرزوق ووقعة (الصباف)و (الوارنجية) و(العارضيات) و(الخزاعل) و(الزياد) و(بني حجيم) و(آل شبل) و(آل فرعون) و(العوابد) و(الفتله) والجبور والزبيد و(آل عيسى) .و(الحميدات) و(زوبع) ويختمها

كل ابن حـر يحامي عـن مواطنه من أن تهان وهذا منتهى الكـرم

وللاستاذ السيد محمد الهاشمي شقيق السـيد عبدالرزاق الهاشمي المتقدم ذكره ــ (علوية) على غرار (علوية) الشاعر عبدالمطلب في نحو من أربع مئة بيت ، استهلها

عذرا أبا الحسنين ما بــك حاجة ان يبسـط الاطـراء والتفخيـم
فمن الثنــاء عليـك نلتمس الرضى والاجـر نطمـع فيـه والتـكريم

ونظم المرحوم الشقيق الثالث السيد رشيد الهاشمي مطولة في مدينة بابل وأمجادها مطلعها :

خطـرات النسـيم في الاسـحار حامـلات روائـح الازهـــار
نبهتنـي فقمـت دون اختيــاري أنـدب الهالكين من قبـل عـاد

والقصيدة مثبتة في الديوان الذي قام بتحقيقه الشاعر عبدالله الجبوري أمين مكتبة الاوقاف جزاه الله خيرا ــ

ومنهـا :

ان بين النهرين روضا أريضا   فيه للمعتفين برقا وميضا
ومناخا لهم طويلا عريضا   قد سقاه الحيا وصوب العهاد
حيث تحت النخيل ظل ظليل   ومياه كأنها السلسبيل
جاريات وموطن وحقول   زانهن الربيع بالاوراد

ومنها :

يتغنى برقعة المأمون   وبجيد القريض في (هارون)
كم بذكراهما اثار شجوني   ودعاني أعاف طيب الرقاد
يا بني الرافدين كنتم ملوكا   تحكمون الاسير والصعلوكا
وتسنون للانام سلوكا   هو والله غاية المرتاد ،

ونظم الشاعر ابراهيم الخال مطولة متكاملة في نكبة بغداد على يد هولاكو نيفت على أربعة عشر وثلاث مئة بيت مطلعها :

وقاك من عثرات الاهل اقدار   بغداد والدهر غدار ومكار
شعب العراق وكم مرت به محن   يدق عن وصفها نثر واشعار

ومنها :

يا فتنة وقعت في الكرخ ما سلمت   من شر عقبى لها دور واخدار
عجبت للقدر الدامي يسخره   حقد الرجال وكم تخطئه ابصار
ان الحديث شجي يا محدثتي   لكن فيه عظات للاولى جاروا
كانت مرابعنا خضرا وكان لنا   عند الربايا فراديس واثمار

ومنها :

يا ليلة مثلها بغداد ما شهدت   منها الى أبد الآباد تذكار
فيها القيامة قامت فالسماء ضحى   والناس من امرها شرك وكفار
وخازن النار هولاكو يؤججها   اذ كان من روحه في السور اعصار

(ملحمة الغدير)

أو عيد الغدير لبولس سلامة وتقع في أكثر من ثلاثة آلاف بيت نظمها الشاعر سنة ١٩٤٨ تصور جهاد الطالبين في سبيل الحصول على الخلافة مرتكزين على الحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) ونص آخر (علي مني بمنزلة هارون من موسى) وفي هذه الملحمة يستعرض الشاعر الاحداث التاريخية التي للهاشميين وصور بطولات ابرزها وأجلها بطولة علي عليه السلام وأعظمها تضحية سيدنا الحسين وهي في نظمها يراعي الشاعر قواعد الملحمة وحقيقتها .

وملحمة (عيد الرياض) لبولس سلامة أيضا تقع في ثمانية آلاف بيت تدور حول حروب الاسرة السعودية وتأسيس وحدة الجزيرة وقضاء الملك عبدالعزيز بن السعود على الفوضى وفيها تصوير رائع لبطولات الملك الراحل ٠

وفي سنة ١٩٥٢ ترجم وديع البستاني شعرا الملحمة الهندية (المهبراته) وفيها فائدة الاطلاع لقراء العربية على الملحمة الهندية ٠

نكبة فلسطين

هذه النكبة هزت الامة العربية هزا عنيفا جعلها تفتح عينيها من غفلتها وعرفتها حقيقة تلك الكيانات الهزيلة التي اصطنعها الاستعمار وكشفت القناع عن خيانات بعض الزعامات التي دفعتها الاطماع والدناءة والحرص على الحكم ان تغضي عن السرطان الصهيوني وفسحت له المجال ان يستشري ويتوسع وثوقا بوعود الحليفة العظمى وتركت السرطان اليهودي يقتطع أقدس جزء من أرض العروبة ويقيم دولة لشذاذ الآفاق هذه النكبة التي تسببت في تشريد مليون عربي لاقوا من الذل والجوع والتشريد والضياع ما لا يوصف كان لهولها وشديد أثرها صدى عنيف تجاوب له الشعر وتفاعل مع أحداثها الشعراء ولو رحنا نجمع كل ما قيل في هذه النكبة من الشعر لتوفر لدينا ديوان ضخم يمثل عمق مصابها في نفوسنا ويصف ثورتنا على الاستعمار الذي مهد لقيام دولة الصعاليك ويفصح عن غضبة الجماهير على تلك الزعامات العميلة وما الثورات في الوطن العربي الا رد فعل لتلك النكبة التي عرفتنا حقيقة حالنا ، وكان من أروع ما قاله الشعراء في حرب فلسطين (الملحمة) التي أصدرها الشاعر الفلسطيني محمود الحوت سنة ١٩٥١ وهي اناشيد بعنوان (عربي من فلسطين ضل الافاق) واهداها الى (القائد الذي سيسترد أول شبر الى الكتيبة التي ستغرس أول بند في تربة الفردوس المغتصب الى كل من سيلبي النفير العام الى الشعب العربي الاكبر) وهي في ثمانية ابيات ومائتين كلها من بحر واحد وجعلها ستة وعشرين مقطعا يضم كل مقطع ثمانية أبيات ذات قافية واحدة تختلف عن قافية المقاطع الاخرى قال في المقطع الاول :

هـذا الفراغ وما عانـاه من ألم ... قلب تمزقـه الآهات في الظـلم
امران قد حطما في النفس بهجتها ... واطبقاهـا على شر من العـدم
كأنني بعض آمـال يروح بهـا ... وهم ثقيل الخطى بـين الانام عم
استلهم الغيب احلامـا مجنحـة ... ان مسها الواقع المصدوم تنصدم
بئس الحياة التي هان الزمان بها ... فلم تعـد غير خفق صامت بـدم
لله ما فعل الظلم الغشوم ومـا ... انزلت يا دهر من حقـد ومن نقم
كيف انتصرت على شعب وما وهنت ... منه القوى في الضروس العارم الضرم
لو لم يقولوا احتضناها لما وقعت ... ولا تنـافر عنهـا الاسد كالغنم

والشاعر في المقطع الثاني يلقي اللوم على هذه الزعامات المستخذية للمستعمرين لولا دولهم السبع واحتضانهم للحرب خداعا لما ضاعت فردوسنا، والشاعر يشيد ببسالة ابناء فلسطين طوال ثلاثين سنة لم يهنوا ولم يضعفوا وما اضاعوا شبرا من وطنهم وناصبوا الاستعمار وعميلته حربا لا هوادة فيها قال :

سبع من الدول الكبرى تناصرها ... شهرا فكان الذي قد كان من عجب
أما الثلاثون عاما وهي راوية ... عن كبحنا أمتي قهر ومستلب
فلم تنل من شباب راح يضرمها ... في وجه ملتجىء منهم ومغتصب
شعواء موصولة النيران جائعة ... نكراء كافرة صخابة اللهب
صلب العقيدة ما لانت عزائمه ... كأنه في صراع المشركين نبي
ليت العروبة في ابان وثبتها ... لم تشهر السيف بتارا ولم تثب
ليت العروبة ما زالت تهددهم ... من خلف عسكرها المستأسد اللجب
اذن لكان لها في قلبهم هلع ... وكان بعض الذي نبغيه من ارب

القوا السلاح اننا دول سبع ويل للصهاينة يوم نخوضها حربا مقدسة سنرمي بهم في البحر

القوا السلاح لماذا ؟ اننا دول ... ويل العصابات منا يوم نأتيها
وهكذا صدعت بالامر وامتثلت ... فأغمدت في الحشا مسموم ماضيها
جماعة لم تهن يوما وما حسبت ... ان الردى طعنة من كف حاميها
فهل سمعت بحرب كالتي نكبوا ... بها فلسطين واجتاحوا اهاليها
وشتتوهم ضحايا هائمين على ... وجوههم بعد تركيز العدى فيها

ويصور ما لقي الشعب المنكوب من تقتيل وتشريد وراح يصرخ من أعماق نفسه الملتاعة

ما ضقت يوما بنا يا جنة فقدت ... فكيف غصت بنا آفاق أقطار
يا ويح شعبك آحادا ممزقة ... من تحت كل خفوق النور سيار
جاروا عليه ولم يكرم بغربته ... والجار يكرم في البأساء بالجار

وفي المقطع الخامس يصف حال المشردين

وهل رأيت قطيعا راح منتشرا ... بين المفاوز في سهل وفي جبل
والجائعات الذئاب الشهب تطرده ... نهشا وفتكا وتمزيقا على مهل
فلا الصغير بناج من ضراوتها ... ولا لمرضعة الاطفال من امل
كذلك الشعب لما فر مندحرا ... قبل انسحابك يا فتانة الدول

ثم يعرض للزعامات وللاستعمار ووعد بلفور المشؤوم وخيانات الحكام والمؤامرات التي حيكت في هذه الحرب المصطنعة

في الحرب تفنى جماعات مقاتلة ... فما لآلافنا في السلم قد هلكوا
ضاعت فلسطيننا و(السبع) ليس لها ... الا البهارج في الاقوال معترك
يا امة في ظلام الذل هاجعة ... قد طال ليلك فليهنأ بك الحلك

ويختتم ملحمته واللوعة المتسعرة تحرق انفاسه والانفعالات المتفجرة من أعماقه أقباس من اللهب تصاعد من صدره الجريح يختمها بهذه المناجاة الاليمة ،

(يافا) لقد جف دمعي فانتحبت دما ... متى اراك ؟ وهل في العمر من امد
أمسى وأصبح والذكرى مجددة ... محمولة في طوايا النفس للابد
كيف الشقيقات ؟ واشوقي لها مدنا ... كأنها قطع من جنة الخلد
ماحالها اليوم يا (يافا) وهل نعمت ؟ ... من بعد ان سلمت امسا يدا بيد
وكيف من قد تبقى في مرابعها ... وقد تركناه فيها ترك ملتحد
ما بال قلبي اذا ما سرت من بلد ... وجدته هازئا بالعيشة الرغد
تعبت لكنني ما زلت في تعبي ... اشكو الى الله لا اشكو الى احد

وفي سنة ١٩٥٨ أصدر الشاعر محمود الحوت أيضا (ملاحم عربية) اخرجتها دار الكتب في بيروت وهي خمسة فصول (ثورة النيل) في خمسة وسبعين نشيدا كل نشيد في ستة أبيات مجموعها (٣٨٠) بيتا و(الجمهورية العربية المتحدة) في عشرة أناشيد كل نشيد في (١٧) بيتا ـ و(لبنان الثائر) قصيدة واحدة في (٥٣) بيتا موحدة الروي و(١٤) تموز ١٩٥٨ في (١١٢) بيتا و(المهزلة العربية) اعاد طبعها وأضاف اليها أربعة اناشيد ـ ومما جاء في ثورة النيل قوله :

كان شعري ادنى الى اليأس حتى ... أوقدوا فيك شعلة الآمال
واستعادت بهم فلسطين ضربا ، ... من طموح وخفقة من نضال

وفي النشيد السابع من الملحمة فاخر بأمجاد العروبة فقال :

سل رجال التأريخ يا غرب واذكر ... من بنيك الكبار من كدت تنسى
يخبروك اليقين من كل فعل ... معجز في الوجود جنا وانسا
كيف قمنا به عصورا طوالا ... لم ندنس يدا ولم نجن رجسا
كان حكم العروبة القسد للخا ... لق حساما يدود عنهم وترسا

لقد كانت ملاحم الحوت مفعمة بالشعور الصادق والتعبير المشرق والانفعال المتجاوب مع احداث النكبة لانه عاش مأساتها بنفسه وما زال يتمثل فجائعها في وجدانه وما زالت احداث تملك عليه مشاعره والنار لا تحرق الا كف واطيها .

ونظم الشاعر السوري بولس سلامة بعنوان ــ فلسطين واخواتها ملحمة طويلة معبرة عن المأساة ومجسدة لالم الامة من اثر هذه النكبة وطبعها سنة ١٩٤٨

وأصدر الشاعر اللبناني محمد شمس الدين ملحمة عن فلسطين سنة ١٩٥٠ وعنونها ــ النازحة ــ

ونظم الشاعر البحراني ابراهيم العريض ملحمة بعنوان ــ أرض الشهداء والقصائد الطوال والملاحم التي نظمت لا تعد ولا تحصى فقد خلقت الكارثة شعرا ونثرا كثيرا وما طبع منه أو أذيع الا قطرة من بحر أو ذرة من رمل تمثلت في هذا الشعر والنثر جميع فنون الادب من قصائد وملاحم ومسرحيات ومقالات وكتب تحليلية ومقالات سياسية رائعة كل هذا كان صدى وانفعالا مع الفجيعة الدامية ودفعا لليأس الذي داخل نفوس ابناء العروبة ومحوا للشك في قدرتنا على تحمل اعباء المستقبل الذي نعمل من أجله لمحو العار الذي لحقنا ــ

وفي الجمهورية العربية المتحدة ظهرت (ملاحم) بعد محرم منها ما هو سياسي ومنها ما هو ديني ومنها ما هو اجتماعي كان من أجودها :

١ ــ ملحمة (أمير الانبياء) للشاعر عامر محمد بحيري نشرتها مطبعة العلوم عام ١٩٥٤ والاستاذ عامر محمد يشغل اليوم رئاسة مراجعة التراث بوزارة الثقافة والارشاد القومي في مصر تناولت الملحمة حياة الرسول من مولده الى انتقاله الى الرفيق الاعلى وتتألف من (١٢٠٠) بيت سار في نظمها على بحر (الوافر) والتزم في كل عشرة أبيات رويا واحدا •

وللاستاذ عامر بحيري ملحمة (آدم وحواء) تقع في نيف وألف بيت ، وله ملحمة (ايزيس واوزريس) وهي ملحمة تاريخية قصصية تزيد على ألف بيت •

وظهرت له ملحمة الجلاء عام ١٩٦٣ صور فيها الاحداث السياسية التي مرت بها مصر من ثورة ٢٣ تموز الى انتصار العروبة على الغزاة المجرمين وتقع في (٢٤٠٠) في الفين واربعمائة بيت التزم فيها بحرا واحدا هو (الكامل) وتعددت القافية وظهرت للشاعر محمود محمد صادق (ملحمة الحرب المقدسة) تصور حرب فلسطين بلغت (٥٦٦) بيتا ، منها :

يا فلسطين بعد اندلس ماذا ... بريب الزمان مما دهانا
درة الشرق مهبط الوحي مهوى ... مبهج العرب ملتقى انبيانا
ايه يا عار ما كهولك عار ... ان فقدنا ديارنا وحمانا
لأحلنا جبالها بركانا ... واسلنا انهارها طوفانا

ملحوظة : كان بودي ان اقتطف بعض النماذج للمطولات او الملاحم التي احتواها بحثي غير اني راعيت المجلة من جهة وتجنب ملل القارىء من ناحية أخرى واذا تيسر لي الاطلاع على ملاحم جديدة او قديمة لم اذكرها فسوف أضمها الى بحثي وانوه عن اصحابها ومحتواها •

لقاء مع الفنان



نزيهة سليم

... كان لقاء هذا الجزء من الاقلام مع الفنانة المعروفة الآنسة نزيهة سليم . وكان سؤال « الاقلام » الاول للفنانة هو :

ـ ما رأيك ـ كرسامة ـ في مكانة العراق في فن الرسم ، عربيا وعالميا ، قديما وحديثا ؟ .

اجابت تقول :

ان الآثار التي كشفت عنها التنقيبات التي قامت بها البعثات الاثرية في الاراضي العراقية اثبتت بما لا يقل الشك ان بلاد ما بين النهرين كانت اقدم مراكز الحضارة والثقافة والفن • وبالرغم من ان تقادم العصوراضعف من جذوة الفن في وادينا الخصيب ـ فان العراق ظل مهبط وحي الفنان المبدع •

والمعروف ان العرب عرفوا فن الرسم قبل الاسلام وان المدرسة العربية في فن الرسم هي تلك التي انتشرت اساليبها الفنية في المنطقة العربية من العالم الاسلامي والتي تمتد من العراق الى الاندلس • والمعروف ـ ايضا ـ ان اهم المراكز الفنية لهذه المدرسة العربية كانت في بغداد والموصل ودمشق والقاهرة وقرطبة • الامر الذي صيرها من اوسع مدارس الرسم انتشارا يومذاك • وهي قديمة الجذر التاريخي اذ ان ما وصل الينا من بعض نتاجاتها يرجع الى القرن الثاني الهجري ـ الثامن الميلادي • وفي القرن الثالث عشر وصلنا عدد من المخطوطات الهامة المصورة والمصطلحات التي ترجع الى القرن الثالث •

وواضح ان مدرسة بغداد ظلت محتفظة ـ عبر العصور ـ بأهميتها الثقافية والفنية في العالم الاسلامي حتى الغزو المغولي •

ومن الكتب التي اقبل رسامو المدرسة العراقية الفنية على تحليلها بالرسوم كتاب (مقامات الحريري) ونسخة الكتاب المخطوطة الموجودة في المكتبة الاهلية بباريس تحتوي على رسوم ادمية ، كبيرة ورائعة ، تذكرنا بالنقوش الحائطية التي تصور مجالات الحياة الاجتماعية مستنبطة من الواقع • ذلك اننا نرى عرب القرن الثالث عشر وهم في المسجد او الحقل او الصحراء او الخان او المكتبة •• كما نراهم يحتفلون بأعيادهم ويعيشون تجارب حيواتهم •

تلك الرسوم كانت غنية التعبير عميقته ، ولا شك ان الفنان (يحي الواسطي) كان من الرسامين العظام لانه استطاع ان يزاوج التأثيرات المسيحية الشرقية والتأثيرات الايرانية ويخلق منها اسلوبا اسلاميا متميزا •

ومن المخطوطات المصورة التي ذاعت شهرتها في القرن الثالث عشر كتاب (كليلة ودمنة) • ومن المحتمل قيام مدارس محلية للرسم في العراق في تلكم العصور التاريخية •

اما بالنسبة للفن المعاصر في العراق فأن الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى مثلها بعض العسكريين الذين درسوا في الاستانة وقد اتجهوا في رسومهم الى المناظر الطبيعة والاشكال الجامدة والصور الشخصية وكان ابرزهم المرحوم عبدالقادر الرسام ثم السادة صالح زكي والمرحوم محمد سليم وعاصم حافظ •• وغيرهم •• ومع ركب التطور الفني تفتحت

مواهب الجيل التالي من الفنانين الشباب فكان من مبرزيهم المرحوم جواد سليم وفائق حسن واكرم شكري وحافظ الدروبي وبقية الرعيل الفني الطالع • وعندما بدأت الحرب الثانية وقدم العراق بعض الفنانين البولونيين الجنود اثروا في الحركة الفنية في بلادنا تأثيرا واضحا • كما كان لحركة البعوث الفنية الى الخارج اثرها البين ، الامر الذي رفع المستوى الفنى فى العراق الى المكانة المرموقة • فعشرات الاسماء الفنية لمعت في العراق والعديد من المعارض عرضت النتاج الفنى القيم ٠٠ اذكر فى هذا المجال – على سبيل المثال – انه فى عام ١٩٥٣ اقيمت مسابقة فنية عالمية لوضع تمثال (السجين السياسي المجهول) وقد كفل هذه المسابقة معهد الفنون المعاصرة في لندن واشتركت فى هذه المسابقة (٥٥) دولة من ست قارات حتى بلغ عدد النحاتين المساهمين فى المسابقة (٢٥٠٠) نحات • كان من بينهم نحاتون من بعض الاقطار العربية (مصر • العراق • الاردن• سوريا) • ولقد فاز الفنان الراحل جواد سليم بالجائزة الثانية وقد كان مقررا ان تمنح له الجائزة الاولى لو انه ارسل شرح التمثال الى لجنة التحكيم لكنه لم يفعل لعدم معرفته بضرورة هذا الاجراء •

ولقد رفع هذا الفوز الفني الكبير مكانة العراق الفنية عاليا بين دول العالم • ومكانة نصب الحرية – للفنان نفسه – لا تغفلها عين ذواقة •

المهم فى الامر هو ان الفن العراقى يفتقر الى التشجيع والرعاية • اننا مثلا – الى حد الان – نفتقر الى بناية خاصة بالعراق فى فينسيا كما يملك اغلب فناني العالم حيث يعرضون نتاجاتهم – دوريا – كل سنتين وأملي كبير ان تلتفت حكومتنا الموقرة لتحقيق هذه الرغبة التي تعتمل في نفس كل فنان عراقى لانها امكانية تفسح امامهم المجال لعرض مواهبهم واثبات قابلياتهم ورفع مكانة فننا بين دول العالم •

– قلنا للفنانة نزيهة سليم :

« اتجه فن الرسم حديثا اتجاهات عدة ، فبعد الكلاسيك وجدت المذاهب والمدارس الحديثة ، فما هو رأيك بالقديم ، والجديد ، وما بينهما ؟ •

قالت :

« عندما أصبحت الحرية من أهم خصائص الفنان الحديث ، كان تنكر الفنان للواقع من أهم المظاهر المعبرة عن ذاتية الفنان وتبعا لذلك لم يعد للمضمون في الفن القيمة الاولى بل اصبحت تجارب الفنان الخاصة الانسانية منها والفنية هي هدف التعبير الفني لديه •

ولقد وجدت مدارس حديثة عديدة منها « التعبيرية » • ولقد انساق اصحاب هذه المدرسة مع اندفاعاتهم القوية وغاصوا في اعماق مشاكل النفس واسرارها وفهم الطبيعة والحياة بألوان تعبيرية رائعة •

اما فيمايتعلق بالمدرسة « الدادائية » والمدرسة « السريالية » فقدحاول السرياليون ملأ الفراغ الذي تركه الدادائيون الذين خططوا بجرأة وسرعة مهدت الطريق للسريالية وهذه الاخيرة امتازت بالايجابيـة . فقـد سعى السرياليون ـ عن طريق لعمل المشترك ـ الى تحقيق ثورة مستمرة متأججة في الفن . وتمثل الاعمال الفنية السريالية في قطاعين ـ ان جاز التعبير ـ أو على وجه الدقة ، في نوعين من أنواع فنون الرسم . فهي اما ذات اشكال تجريدية غير واقعية واما ذات اشكال واقعية ضمن موضوع غير واقعي . والنوع الاول بعيد فيما يتناوله عن ضوابط العقـل والمنطـق ومنسجم مع العقل الباطن والخيال المحض . واما المدرسة الواقعية الاشتراكيـة



رقصة ـ زيتية ـ ١٩٦٣

والمدرسة البدائية فلقد جند فنهم من أجل خدمة مصالح الشعب والتزام قضاياه . ولا شك ان الاعمال التشكيكية الاخرى ـ غير الهادفة ـ اعمال يرفضها منطق الفنان المدرك .

اما فيما يتعلق بالتمييز بين القديم والجديد أو تفضيل احدهما على الاخر فعندي انه لا يصح القول ان الفن القديم افضل من الجديد أو العكس أو ان احدهما أقدر من الآخر على التعبير . ذلك اننا يجب ان تضع نصب اعيننا ان الفن تعبير وان العمل الجيد يظل ـ دائما ـ محتفظا بجودته . وان بين الاعمال الفنية القديمة والجديدة اعمال اصيلة تخطت حدود زمنها وكتب لها الخلود . فبقدر ما يستطيع الفنان ان يحققه من التعبير الصادق والاصالة والاخلاص لرسالته الفكرية والجمالية ، أقول ، بقدر ما يستطيع ان يحقق من كل ذلك يحتل فنه المكانة التي يستحقها بغض النظر عن الطريق التي توسل بها لايصال معطياته الفنية الى الجمهور المشاهد .

ـ وقالت الفنانة نزيهة سليم جوابا على سؤالنا عن رأيها في انتاجات الفنانين الشباب :

« ان انتاج ونشاط الفنانين الشباب يبشر بحركة فنية رائعة ، لاسيما وعدد المجيدين والمبدعين منهم في ازدياد . ولئن كان عدد المبدعين في فن النحت اقل منهم في فن الرسم فان لذلك اسبابه طبعا ولكن ذلك لا يعني شيئا البتة بالنسبة لحركة الفن في بلادنا ذلك ان الفن واحد والرسالة واحدة والوطن واحد .

ـ وكان سؤالنا الاخير للآنسة نزيهة سليم عن رسالة الفنان في مجتمعنا ، ما له وما عليه . قالت الفنانة :

من ابرز واجبات الفنان ان يحقق رسالة الخدمة الاجتماعية عن طريق الفن وبذلك يثبت وجوده كأحد أفراد المجتمع الذين ينهضون بعبء واجبهم الاجتماعي .

والاجادة ـ طبعا ـ من ابرز مهام الفنان ، كما ان الاندماج مع المجتمع والاحساس المباشر بمشاكله ومتطلباته من ابرز مهامه ، وهذا ما يدحض فكرة انعزال الفنان عن المجتمع وهرطقة فكرة (برج الفنان العاجي) .

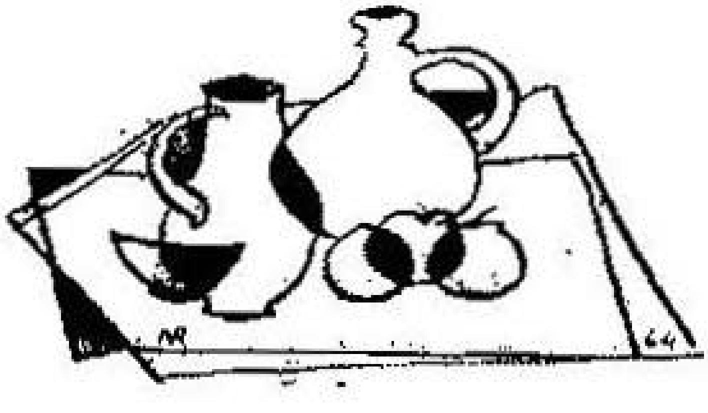
وهذا ـ طبعا ـ يستلزم حرية الفنان وعدم تقيدها ـ كما فعلت بعض الدول التي اخضعت فنانيها لرأي شديد التزمت والصرامة ... رأي اخضعهم بالقوة لمسايرة الاتجاه الرسمي المفروض ـ هناك ـ ولذلك كانت

النتيجة جحود روح الابداع الفني وعدم مسايرة مستلزمات الفن الحديث .. وبالتالي فقدان اجادة الفن

الخلاصة انني ارى وجوب التوفيق بين حرية الفنان وبين واجباته نحو مجتمعه

... وهنا ودعت « الاقلام » الفنانة الآنسة نزيهة سليم شاكرة لها هذه اللقاء الفني الممتع .

- ولدت عام ١٩٢٧ في تركيا من ابوين عراقيين .
- كانت مدرستها الاولى في الرسم عائلتها . فقد كان والدها المرحوم الحاج محمد سليم رساما ، واخوتها الاربعة : رشاد وجواد وسعاد ونزار من الفنانين اللامعين .
- تخرجت في دار المعلمات الابتدائية ، واحرزت شهادة معهد الفنون الجميلة ببغداد عام ١٩٤٠ .
- اكملت دراستها العالية في فرنسا ونالت شهادة معهد الفنون الجميلة العليا (البوزار) بباريس عام ١٩٥١ .
- نالت جوائز ومداليات لتفوقها في الدراسة .
- تتلمذت على يد الفنان العالمي الشهير « فرناند ليجيه » وقضت اوقاتها خارج « البوزار » في محترفه .
- اشتركت في عدد كبير من المعارض الوطنية ، واسهمت في المعارض الفنية العراقية التي اقيمت في بيروت والقاهرة والهند وامريكا والصين والاتحاد السوفيتي وبولونيا وبراغ وهنغاريا ويوغسلافيا والمانيا .
- عضو في جمعية الفنانين العراقيين وعضو في جماعة بغداد للفن الحديث .
- تعنى برسم المواضيع الاجتماعية والصور الشخصية « البورتريت » وتحذو مع جماعة بغداد الى ايجاد فن عراقي خاص .



البلاغة العربية ـ ٣

قضية اللفظ والمعنى

الدكتور بدوي طبانه

واستمرت النظرة المتساوية الى هذين الركنين ، حتى كان للاسلوب مدرسة تعنى به ، وتغالي في هذه العناية ، حتى لقد يبدو من كلام اقطابها أنها تسقط التفاضل بين المعاني من الحساب .

وزعيم تلك المدرسة وأول امام فيها هو الأديب العربي الكبير أبو عثمان الجاحظ الذي جاهر بأن المعاني شركة بين الناس لا فضل فيها لواحد على واحد ، ولا تفاوت في الاقتدار عليها بين أديب وأديب ، وانما مجال التفاوت بينهما هو العبارة والاسلوب ، وبقدر الاجادة في التعبير يكون تقدير الأديب والحكم له بالقدرة ولأدبه بالجودة .. وقد ذكر الجاحظ أن أبا عمرو الشيباني كان يستحسن قول الشاعر :

لا تحسبن الموت موت البلى ... وانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا ... أفظع من ذاك لذل السؤال

وبلغ من استجادته هذين البيتين أنه وهو في المسجد يوم الجمعة كلف رجلا أحضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له .. قال الجاحظ : وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا ، ولولا أن أدخل في بعض الفيل لزعمت أن ابنه أشعر منه ، وكان ذهاب أبي عمرو الى استحسان المعنى ، والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة ، وضرب من الصبغ ، وجنس من التصوير (الحيوان ٣/٤٠ـ٤١) ..

وبهذا القول كان الجاحظ اماما في الانتصار للصياغة والاسلوب ، وزعيما لمدرسة يذهب رجالها مذهبه في التهوين من شأن المعاني ، والزعم بأنها في متناول سائر الناس .. أو بعبارة أخرى كانوا يرون أن الفنية في الأعمال الأدبية انما مظهرها الاقتدار على تخير الألفاظ ونظمها على طريقة

تبرز المعاني التي تعبر عنها ، وتوضحها وتجملها ، حتى تصبح من الآثار الفنية التي يعتد بها الناس ، ويعترفون لصاحبها بالتمكن من اللغة التي ألف بها أدبه ، وعبر بها عن عواطفه وآماله .. وبقدر العناية بالشكل الرائق المعجب يكون بقاؤها في الزمان ، وصلاحها للجري على ألسنة الناس ، وروايتها للأجيال ، فيكون العمل الأدبي على ألسنتهم وفي كتبهم كالتمثال المنصوب الذي يتطلع الناس الى عظمته ، وكالصورة المرسومة التي تجذب ألوانها وخطوطها أبصارهم ، وتثير مشاعرهم ، وكأنغام الموسيقى التي يترنمون بها ، وينتقل الاعجاب بها من جيل الى جيل .

ومن رجال هذه المدرسة أبو هلال العسكري الذي صرح بأن الكلام يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير لفظه واصابة معناه ، وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعادل أطرافه ، وتشابه أعجازه بهواديه ، وموافقة مآخيره لمباديه ، مع قلة ضروراته ، بل عدمها أصلا ، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر .. فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه وجودة مقطعه ، وحسن رصفه وتاليفه ، وكمال صوغه وتركيبه . فاذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا ، وبالتحفظ خليقا ، (الصناعتين ٥٥) .

وتلك الصفات كلها تدور كما نرى حول الألفاظ وتخيرها ثم تأليفها ونظمها ، وذلك آية الفنية والابداع عند أبي هلال ، والكلام كما يقول اذا كان قد جمع العذوبة والجزالة والرصانة مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرده ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه ، والنفس تقبل اللطيف ، وتنبو عن الغليظ ، وتقلق من الجاسي البشع ، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه ، والعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح ..

ثم نراه بعد ذلك التفصيل في محاسن الألفاظ ومزايا التركيب يبدي رأيه الصريح في المعاني ، وهو رأي الجاحظ الذي أسلفناه بعبارة لا تبعد عن عبارته ، وذلك في قوله : وليس الشأن في ايراد المعاني ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وانما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف ، وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا ، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت (الصناعتين ٥٨) .

وعند ابن خلدون أن صناعة الكلام نظما ونثرا انما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وانما المعاني تبع لها ، وهي أصل . فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاول في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ، وأيضا فالمعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء

ويرضى ، فلا تحتاج الى صناعة ، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة ، وهو بمثابة القوالب للمعاني ، فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها ، وانما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه ، لفقدان القدرة عليه (المقدمة ٥٧٧) · ولا يبعد كلام ابن خلدون هذا عما نقله الجاحظ في بيانه عن بعض الربانيين من الأدباء وأهل المعرفة البلغاء « أنذركم حسن الألفاظ ، وحلاوة مخارج الكلام ، فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا ، وأعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه المتكلم دلا متعشقا ، صار في قلبك أحلى ، ولصدرك أملا · والمعاني اذا كسيت الألفاظ الكريمة ، وأكسبت الأوصاف الرفيعة ، تحولت في العيون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت ، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري ··

وكثير من أدباء الغرب ونقاد الأدب عندهم يذهبون هذا المذهب في الانتصار للأسلوب والدفاع عن الصنعة ، والتهوين من شأن المعاني ، ومن كلام « فولتير » أن الأشياء تؤثر فينا في الأغلب من نواحي أساليبها ، أي من نواحي القوالب التي تصب فيها ، لأن للناس أفكارا واحدة بوجه التقريب ، ولكن الأسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب ··

والشبه قريب واضح بين هذه الأفكار والأفكار التي نادى بها الجاحظ الناقد العربي من قبله ·· ومن كلام « فاكه » ان الذي يخلد الكاتب انما هو جمال الأسلوب ··

ورأى « أناتول فرانس » أن الفكر ليس ملكا لمن يبتدعه ، وانما هو ملك لمن يثبته في الأذهان · وهذا الكلام قريب من قول أبي هلال العسكري: ان الذي يأخذ معنى غيره فيكسوه بألفاظ جديدة ويصوغه صياغة جيدة جدير بأن ينسب المعنى ليه ··

ومن هذا كله يتبين لنا أن أكابر الأدباء وبلغاء الكتاب قد أجمعوا على فضل الأسلوب ، فالاعتناء بالاسلوب قديم في عهده في الأمم ، فاليونانيون كانوا على هذا المذهب ، والرومانيون أولعوا الولوع كله بجمال الأسلوب ، حتى أفرطوا في هذا الأمر ، فأدى بهم افراطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة (الجاحظ معلم العقل والأدب ٢٢٠) ·

ولعل في تلك الأقوال ما يكفي لابراز اتجاهات هذه المدرسة ، والوقوف على ما حظى به الأسلوب من العناية ووجوب الرعاية عند عدد كبير من

علماء الأدب ونقاده •

ولم يقف هذا الاتجاه في نصرة الصياغة والتعبير عند حدود النظر والفكر ، بل انه تولى مهمة الدراسة العملية والتطبيق على كثير من الأعمال الأدبية التي فاضل بينها بمقياس الاجادة في الخصائص الاسلوبية في بعضها ، أو التقصير دون بلوغ الغاية في التعبير في غيرها •

* * *

ولكن هذا الرأي في الانتصار للفظ كان له رد فعل عند كثير من الباحثين في الأدب ، فرأيناهم يسيرون في اتجاه مضاد لذلك الاتجاه ، ويذهبون الى أن التفاضل بين أديب وأديب مرجعه الى اختلافهما في القدرة على التفكير ، وفي حظ كل منهما من المعاني ، ولا فضل للتعبير عند أحدهما على الآخر ، لأن الأديب في نظرهم لا يبذل شيئا من الجهد في استحضار العبارة ، لأن المعنى هو الذي يستدعي الألفاظ المعبرة عنه اذا كان حاضرا في ذهن المتكلم ، أي إن الألفاظ تبع للمعاني ، وهي الصورة الظاهرة لتلك المعاني الخفية في ذهن المتكلم •

وتلك المعاني هي التي طلبت ألفاظها ، ولم يكن للفظ الا أن يستجيب قسرا •

فليست المعاني عند هؤلاء مطروحة في الطريق ، وانما هي خصوصية الأديب التي تميزه من غيره من الأدباء ، لأن لكل واحد منهم تفكيره وله معانيه ، واختلاف الأساليب في الأعمال الأدبية انما هو في حقيقته اختلاف الأفكار والمعاني عند الأدباء •

وزعيم هذه المدرسة عبد القاهر الجرجاني الذي يذهب الى أنه لايوجد أحد يقول : « هذه اللفظة فصيحة » الا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ، وهل قالوا « لفظة متمكنة ومقبولة » وفي خلافها « قلقة ونابية ومستكرهة » الا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم ، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداها ؟

ويمثل عبد القاهر بآية من القرآن ، هي قول الله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك •• » الآية ، ويشرح ما في هذه الآية من التلاؤم بين المعاني والألفاظ ، ثم يسأل : أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالاعجاز روعة ، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها ، تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع ، وحروف تتوالى في النطق ؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب ؟

ثم يدلي بصريح رأيه ، وهو أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق

له بصريح اللفظ . ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر .. وأنت تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السماك ، ترى ذلك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ ، واذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلف بها الحال ، ولكانت اما أن تحسن أبدا ، أو لا تحسن أبدا !

وسبيل نظم الحروف عند عبد القاهر غير سبيل نظم الكلم ، فان نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا يقتفي ناظمها في ذلك رسما من العقل يقتضي أن يتحرى ما يتحراه ، فلو أن واضع اللغة كان قد قال « ربض » مكان « ضرب » لما كان في ذلك ما يؤدي الى شيء من الفساد .

وأما نظم الكلم فليس كذلك ، لأنه يقتفي في نظمها آثار المعاني ، وترتيبها على حسب ترتب المعاني في النفس ، فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق .

والفائدة في معرفة هذا الفرق أنه يبين أن الغرض بنظم الكلم ليس أن تتوالى ألفاظها في النطق ، بل أن تتناسق دلالتها ، وتتلاقى معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل . ثم ان هذا النظم الذي يتواصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة . واذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج بالروية فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس : أبالمعاني أم بالألفاظ ؟ فأي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ ، فهو الذي تحدث فيه صنعتك ، وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك ، فمحال أن تفكر في شيء وأنت لا تصنع فيه شيئا ، وانما تصنع في غيره .

الى أن يقول عبد القاهر رأيه الصريح في هذه الكلمات : ان الألفاظ اذا كانت أوعية للمعاني ، فانها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فاذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب في اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق ، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وأن يكون الفكر في النظام الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه الا أن تجيء بالألفاظ على نسقها ، فباطل من الظن ، ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه ، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ ، وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا اذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا .. (دلائل الاعجاز ٤٣) .

وهكذا فلسف عبد القاهر نظريته في اللفظ والمعنى ونظريته في النظم

على هذا النحو من المنهج التحليلي ليثبت رأيه في أن المعاني هي الأساس الذي تقوم عليه صناعة الأدب ، وأن ما قد يبدو من جودة العبارة انما سبيله جودة المعنى والفكرة في نفس صاحبها ·

ولقد تبع عبد القاهر في ذلك الرأي جماعة من العلماء والنقاد ، كما يبدو من كلام ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر : ان العرب كما كانت تعتني بالألفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا في نفوسها ، فأول ذلك عنايتها بألفاظها ، لأنها لما كانت عنوان معانيها وطريقها الى اظهار أغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ، ليكون ذلك أوقع لها في النفس ، وأذهب بها في الدلالة على القصد (١/١٣٧) ثم يقول : فالعرب انما تحسن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعاني التي تحتها ، فالألفاظ اذن خدم للمعاني ، والمخدوم لا شك أشرف من الخادم (١٣٨) ··

والذي يدل عليه هذا الكلام أن ابن الأثير وان غالى في تقدير المعنى وجعله في تمثيله مخدوما وجعل اللفظ خادما له ، لم ينكر عناية الأدباء بألفاظهم وأساليبهم ، ولم يجحد أثر تلك العناية في قوة المعاني وحسن وقعها في نفس القاريء والسامع · ومعنى ذلك أن المعنى بغير اللفظ قليل الاثر ، ضعيف الوقع في النفس ، فكان هذا منه اعترافا بقيمة الالفاظ وبعد أثرها في اظهار عظمة المعاني ·

وبعض الأدباء ممن يؤثرون المعنى على اللفظ ، لا يطالبون الا بصحته ، ولا يبالون حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كابن الرومي وأبي الطيب ومن شاكلهما ·

ولكن أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ·· قال ابن رشيق في العمدة (١/٨٢) سمعت بعض الحذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمنا ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلبا ، فان المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والحاذق ، ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر ، وفي الاقدام بالأسد ، وفي المضاء بالسيف ، وفي العزم بالسيل ، وفي الحسن بالشمس ·· فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قدر ؟

ومثل بعضهم المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة ، فان لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها ··

وكان بعضهم يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه ويقول : الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل ··

ومن أجود ما مثل به ابن رشيق اللفظ والمعنى قوله ان اللفظ جسم

وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته • فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح ، وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح • ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه ، وان كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين الا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ، لأنا لانجد روحا في غير جسم البتة (العمدة ١/ ٨٠) •

* * *

ولعل في هذا الكلام وفيما سلف في غيره ما يكشف عن المذهبين ، ويوضح النظريتين • وقد أبان كل فريق عن حجته في صحة ما ذهب اليه بتلك الادلة التي اقتنع بها أشياعه ، والتي حاول أن يقنع بها غيرهم ، أو يرد على أصحاب النظرية المقابلة ••

وينشأ من هذا تعادل الكفتين ، أو تكافؤ الأدلة ، ويبقى بعد ذلك الاعتراف بقيمة العنصرين اللفظ والمعنى ، وأن الأديب يروم المعنى ، كما يروم العبارة عن هذا المعنى •

وبين المعاني تفاوت كبير يرجع الى عمق الانفعال ، ودرجة التأثر بالتجربة التي عبر عنها الأديب ، كما يرجع الى صفات وراثية ذات أثر في العقل والتفكير ، وفي مدى التأثر بالعواطف أو الخضوع لسلطان العقل ، أو في تغليب احدى الناحيتين على الأخرى •

ثم ان للبيئة التي يحيا فيها الأديب دخلا كبيرا في أفكاره ومعانيه التي تنشأ عن ذلك التفكير ، وكذلك صفات الجنس وخصائصه التي تؤثر على مجموعة من الناس تأثيرا يختلف عن تأثيرها على مجموعة أخرى منهم • كما أن لكثرة التجارب واختلاف حظ الأدباء من الثقافة ومن الاطلاع على آثار الغير أثرا واضحا في تفاوت المعاني عند الأدباء ، واقتدارهم على تلك المعاني •

وكذلك يتفاوت الأدباء في حظهم من القدرة على التعبير ، وقدرتهم على التصرف في فنون الكلام ، وللثقافة اللغوية دخل كبير في القدرة على التعبير ، كما أن الاطلاع على مختلف الأساليب التي راجت بين الأدباء ، وادراك مدى التفاوت بين أسلوب منها وأسلوب ، والاهتداء الى مواضع الاصابة والاجادة في بعضها ، ومواطن الخطأ أو التقصير في بعضها الآخر ، واختلاف البيئات وتباين اللهجات ، كل ذلك له أثره في التعبير أو في العبارة الأدبية التي يؤدي بها الأدباء أفكارهم ومعانيهم وأخيلتهم ، لأنه سيدعوهم الى تحري الاجادة والبحث عن أسبابها ، والاقتداء بمناهج المجيدين ، وتحاشي أسباب

الضعة التي تجنبوها ، أو التي أنكرها عليهم الخبراء بالفن الأدبي .

وهذا وذاك يقتضيان صرف النظر عن الحجج التي عرضها أنصار كل من المذهبين في تأييد احدى النظريتين ومهاجمة الأخرى . كما يفضي الى الاعتراف بأهمية كل منهما بتلك الأدلة والبراهين التي بذل كل من الفريقين جهده في توضيحها وبسطها ، وفي ابداء رأيه في التعصب لها .

(للبحث صلة)

قال الامام الغزالي :

« اذا تراكبت لديك ظلم الهموم ، وتراكمت عليك الغيوم ، وضاقت خطة الخطب ، وأسندت ثائرة الكرب ، فاتخذ المنى مراوح تروح بها عن قلبك ، وتبرد حر صدرك ، وترى في حركتها سكون جاشك ، وفي الانس بها زوال استيحاشك ، فربما اقترب الرجا بما يقر العيون ، ونطق لسان الفأل بما يحق الظنون » .

التفكير الاقتصادي لدى ابن خلدون

سليم طه التكريتي

يعد العلامة عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ = ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) من نوابغ الفكر العربي الاسلامي وذلك لما ابداه في « المقدمة » الشهيرة التي كتبها لكتابه التاريخي الذي سماه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » من آراء اجتماعيــة واقتصادية ما تزال تظفر باهتمام الباحثين والدارسين وترفعه أعلى درجة من كبار علماء الاجتماع والاقتصاد الذين شهدهم العصر الحديث ٠

والحقيقة ان الاهتمام بدراسة مقدمة ابن خلدون وان كان يعود الى القرن السابع عشر الميلادي الا انها لم تبرز البروز الذي تستحقه الا في بداية القرن التاسع عشر وعلى يد المستشرق الالماني « هامر Hammer » الذي نشر عنها مقالة مسهبة في « المجلة الاسيوية » الصادرة باللغة الفرنسية وذلك في سنة ١٨٢٢م ملفتا اليها أنظار المستشرقين وناعتا ابن خلدون بانه « مونتسكيو العرب »(١) ٠

ثم تتابعت الدراسات عن ابن خلدون ومقدمتــه وتمحيص آرائه ونظرياته في المسائل العديدة التي تضمنتها تلك المقدمة ٠

ولقد كانت القضايا الاقتصادية من الامور التي اولاها ابن خلدون اهتماما بالغا تمثل في الافاضة عنها ذلك ان المسائل الاقتصادية قد شملت خمسين فصــلا من فصول المقدمة حيث خصص الباب الخامس منها بكل فصوله للبحث عن الـكسب ووسائله وآثاره بين الناس بالاضافة الى فصول عدة أخرى من البابين الثاني والثالث ٠

يقرر علماء الاقتصاد المحدثون ان علم الاقتصاد الحديث لم يظهــر بشكله الحالي ، وتحدد القوانين التي يقوم عليها ، ويجري تدوينها الا في النصف الاخير من القرن الثامن عشر الميلادي(٢) لـكن من يدرس مقدمة ابن خلدون يرى ان كثيرا من الآراء والافكار التي تضمنها علم الاقتصاد الحديث انما اتى ذلك المفكر العربي الـكبير على ذكرها وشرحها قبل ان يظهر علم الاقتصاد الحديث هذا بأكثر من خمسة قرون ٠

والذي نستخلصه من دراسة الموضوعات الاقتصادية في مقدمة ابن خلدون ان هذا العالم العربي قد اكتشف نظرية « التفسير المادي للتأريخ » قبل ان يقول بها « كارل ماركس » في أواخر القرن التاسع عشر وان يحدد نظرية « ريع الارض » قبل ان يدعيها « ريكاردو » لنفسه ، في أواخر القرن الثامن عشر ، وان يدافع عن الحرية الاقتصادية من قبل ان يجهر بهذا الدفاع أصحاب المذهب الحر الذين ظهروا في اوربا في أواخر القرن الثامن عشر أيضا ٠

يقول كارل ماركس (Karl Marx) (١٨١٨ - ١٨٨٣م) واضع الاشتراكية العلمية ومبتدع نظريات التفسير المادي للتأريخ وحرب الطبقات « ان اول بديهية في تأريخ البشر باسره طبعا هي وجود الافراد ٠ وعلى هذا فالحقيقة الاولى التي ينبغي لنا ان نبحث عنها هي : التنظيم المادي لهؤلاء الافراد وعلاقاتهم ببقية عناصر الطبيعة »(٣) ٠

« فالعنصر المادي للمجتمع شيء أساسي وهذا العنصر هو فنون الانتاج أو تنظيم قوى الانتاج ٠٠٠ وهذا العنصر الانتاجي هو الذي يكيف بصفة حتمية نمو المجتمع ٠٠٠ فلابد للبشر ان يصرفوا جانبا كبيرا من حياتهم لخلق الظروف المادية اللازمة لبقائهم ، أي في كسب اقواتهم ٠٠٠(٤)

ويزيد ماركس على ذلك فيوضح بقوله « يدخل البشر عند ايجادهم أسباب المعيشة في علاقات محددة ضرورية ومستقلة عن ارادتهم ٠ وتتطور هذه العلاقات فيما بينهم تبعا لتطور قوى الانتاج المادية عندهم ومن مجموع علاقات الانتاج هذه يتكون النظام الاقتصادي للمجتمع وهو - أي النظام الاقتصادي - يؤلف القاعدة الحقيقية التي يرتكز عليها النظام السياسي ٠٠ فوسائل تهيئة أسباب العيش المادية هي التي تحدد أساليب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ٠٠٠)(٥)

والذي نفهمه من نظرية ماركس هذه هو : ان المصالح المادية هي التي تسير الانسان وتحدد علاقاته مع بعضه البعض ، وتعمل على ايجاد الانظمة التي تنشأ في مختلف الممالك قانونية كانت تلك النظم أم اقتصادية أم سياسية ٠

ونعود الآن الى ابن خلدون فنرى انه قد توصل الى ذات النتيجة التي توصل اليها كارل ماركس من بعده ٠

يقول ابن خلدون « حقيقة التأريخ انه خبر من الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لذلك العمران من الاحوال ٠٠٠ وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال ٠٠٠ »(٦)

« فالكسب هو حقيقة الاعمال البشرية ٠٠٠ فالانسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق منها ٠٠٠ فلابد في الرزق من سعي وعمل ٠٠٠ ولابد من الاعمال الانسانية في كل

مكسوب ومتمول .. »[٧]

و « اختلاف الاجيال في أحوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ... ثم اذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش ، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه ... تعاونوا في الزائد على الضرورة ، واستكثروا من الاقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت ... فلكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم قد تلونت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر ... وذهبت عنهم الحشمة في احوالهم ... »[٨]

ويقرر ابن خلدون « ان مبنى الملك يقوم على أساسين هما الجند والمال .. وان الخلل اذا طرق الدولة طرقها في هذين الاساسين . »[٩]

« والمعنى بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات اهله -- فالمصر الكثير العمران يختص بالغلاء في اسواقه واسعار حاجته ثم تزيدها المكوس غلاء فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويغلب عليهم الفقر ... ولذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه ... فتجدهم اجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور والربا ... »[١٠]

والذي نفهمه من أقوال ابن خلدون هذه ان المال ، أي الاقتصاد في العرف الحديث ، هو أساس الدولة والمجتمع ، وان حصول الافراد على المال ينشىء بينهم علاقات تتغير تبعاً لتغير أحوالهم الاقتصادية وهكذا يكون المال هو العامل الحاسم في علاقات الافراد وعلى هذا الاساس يجب ان نفهم التأريخ وندرسه .

اما « نظرية الريع » التي تنسب الى العالم الانكليزي ريكاردو(Ricardo) (١٧٧٣ ـ ١٨٣٢م) احد مؤسسي علم الاقتصاد السياسي الحديث والتي تضمنها كتابه الشهير « الاقتصاد السياسي والضرائب »[١١] فانها تقول ان زيادة عدد السكان في مصر من الامصار يعقبها اقبال اولئك السكان على استغلال أراضي أقل خصوبة من تلك التي كانوا يستغلونها من قبل ونتيجة لهذا الاقبال ترتفع أثمان هذه الاراضي وتقل أرباح العامل منها[١٢] فبعد ان كانت تلك الاراضي معدومة القيمة غدت لها قيمة معلومة وهذه القيمة هي التي تمثل الريع الذي هو بمثابة الربح . ونعود الآن الى ابن خلدون فنراه يبسط نظريته في الريع بالصورة التالية .

« ان تأثل العقار والضياع الكثيرة لاهل الامصار لا يكون دفعة واحدة ولا في عصر واحد ... وانما يكون ملكهم وتأثلهم لها تدريجاً ... فان العقار في آخر الدولة وأول الاخرى ... تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها بتلاشي الاحوال فترخص قيمها وتتملك بالاثمان اليسيرة ... فاذا ما استجد المصر شبابه وانتظمت له أحوال رائعة حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع

لكثرة منافعها حينئذ فتعظم قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحوالة فيها ويصبح مالكها من أغنى أهل المصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه ٠٠٠)(١٣)

وفضلا عن ذلك فقد كان ابن خلدون من أول القائلين بحرية التجارة والاقتصاد ، ومن المعارضين لتدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية ٠ ولذلك فهو يعتبر من السابقين لاصحاب المذهب الحر في الاقتصاد الذي ظهر في أوربا خلال القرن الثامن عشر وكانت بريطانيا وفرنسا موطنه الرئيس فيها ٠ ففي انكلترا كان آدم سمث (Adam Smith) (١٧٢٣ـ١٧٩٠م) صاحب الكتاب المعروف « ثروة الامم » على رأس المنادين بالمذهب الحر(١٤)٠ أما في فرنسا فان أشهر أقطاب المذهب الحر هو جان باتست (Jean Baptise Say) (١٧٦٧ـ١٨٣٢م) مؤلف كتاب « مسيرة الاقتصاد السياسي »(١٥) ٠ والمبدأ الاقتصادي الحر يتمسك بالدفاع عن الملكية الفردية ، والحرية الاقتصادية ، وان الانسان يجب أن يكون حراً في كل تصرفاته الاقتصادية ، وانه ينبغي ازالة جميع القوانين والانظمة التي تحد من حرية العمل والتجارة لانها تعرقل النشاط الاقتصادي للمجتمع ٠

وعن هذه الفكرة يقول ابن خلدون : ان الدولة اذا ضاقت جبايتها ٠٠٠ احتاجت الى مزيد المال والجباية ٠ فتارة توضع المكوس على مبياعات الرعايا وأسواقهم ٠٠٠ وتارة بالزيادة في القاب المكوس وتارة بمقاسمة العمال وامتكاك عظامهم ٠٠٠ وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان ٠٠٠ وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فاولا مضايقة الفلاحين والتجار ٠٠٠ ومزاحمة بعضهم بعضا ٠٠٠ فلا يكاد احد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ٠ ثم ان السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك ٠٠٠ ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض آمالهم عن السعي في ذلك جملة ٠٠٠

واعلم ان السلطان لا ينمي ماله الا الجباية وان ادرارها انما يكون بالعدل في أهل الاموال والنظر لهم بذلك فبذلك تنبسط آمالهم وتنشرح صدورهم للاخذ في تثمير الاموال وتنميتها ٠٠٠ وأما غير ذلك من تجارة أو فلح فانما هو مضرة عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للعمارة ٠٠٠ فالتجارة بلا مغرم ولا مكس اجدر بنمو الاموال وأسرع في تثميرها ٠٠٠)(١٦)

« ان العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم ٠ واذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعي في ذلك ٠٠٠ فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق العمران وانتقضت الاحوال وابذعر الناس في الآفاق في طلب الرزق فخف ساكن القطر وخلت دياره وخرجت أمصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان لانها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ٠٠٠ »(١٧)

لكن دفاع ابن خلدون عن الحرية الفردية في العمل والتجارة لم يمنعه من استنكار الاحتكار ومهاجمة المحتكرين بشدة حيث يقول « واعظم من ذلك في الظلم وافساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بابخس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بارفع الاثمان ... فتشمل الخسارة سائر الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات وتجحف برؤوس الاموال ولا يجدون عليها وليجة الا القعود عن الاسواق ... »(١٨)

أما قانون العرض الطلب فقد عرضه ابن خلدون بذات الصورة التي يعرف بها الان في علم الاقتصاد فهو يقول « ان الصنائع انما تستجاد وتكثر اذا كثر طالبها والسبب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسمح بعمله ان يقع مجانا ... فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره ... فان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق كانت بمثابة السلعة التي تنفق سوقها ... فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ... »(١٩)

---

(١) ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٩

(٢) ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ص ٥٣٣

(٣) Marx & Engles: German Ideology p. 53

(٤) ستيفن وينكلر : خلاصة التفكير السياسي في أوربا ترجمة خدوري ومجيد عبدالله ص ٧٠

(٥) Karl Marx: Critic of Political Economy p. 168

ولد كارل ماركس في مدينة تريف بالمانيا في الخامس من أيار سنة ١٨١٨م وقد شارك منذ صباه في حركات العمال واصدر صحيفة عطلتها الحكومة الالمانية فذهب الى باريس ثم عاد منها الى المانيا واشترك في ثورة العمال سنة ١٨٤٨ فالقي القبض عليه ونفي الى انكلترا وهناك اقام طيلة حياته وتوفي بلندن في ١٤ آذار ١٨٨٣م ومن أشهر مؤلفاته كتابه (رأس المال) (Das Kapital) الذي أودع فيه خلاصة نظرياته عن المادية الجدلية والتفسير المادي للتاريخ وتنازع الطبقات وحتمية الثورة .

(٦) مقدمة ابن خلدون طبعة المطبعة البهية في مصر ص ٢٦

(٧) مقدمة ابن خلدون طبعة المطبعة البهية في مصر ص ٢٦٧ و ٢٦٨

(٨) مقدمة ابن خلدون طبعة المطبعة البهية في مصر ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧

(٩ ، ١٠) مقدمة ابن خلدون طبعة المطبعة البهية في مصر ص ٢٠٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢

(١١) ولد ريكاردو ببريطانيا سنة ١٧٧٢ واشتغل في صغره عاملا ثم ما لبث أن أصبح من رجال الاعمال واتجه بعد ذلك الى الخوض في المسائل الاقتصادية فوضع عدة نظريات عن القيمة والاجور والريع وقد تضمنها كلها كتابه الذائع الصيت « مبادىء الاقتصاد السياسي والضرائب Principles of Political Economy and Texation وكان ريكاردو يعتبر من المتشائمين من أمثال مالتس .

(١٢) الدكتور عبدالحكيم الرفاعي : الاقتصاد السياسي الجزء الاول ص٤٧

(١٣) ابن خلدون : المقدمة ص٢٥٨

(١٤) آدم سمث من كبار مؤسسي علم الاقتصاد الحديث ولد ببريطانيا سنة ١٧٣٢م وبعد أن تخرج في جامعة اكسفورد عين استاذا للمنطق في جامعة غلاسكو ثم درس الفلسفة ومبادىء الاقتصاد وقد أودع نظرياته في كتابه الخطير المعنون «بحث في طبيعة ثروة الامم وأسبابها»
an inquiry into the nature and causes of the wealth of nations

الذى صدر سنة ١٧٧٦م الذي اعتبر أساسياً للمبدأ الحر في الاقتصاد وقد توفى آدم سمث سـنة ١٧٩٠م

(١٥) كان جان باتست ساي من تلامذة آدم سمث وقد ولد وترعرع وعاش في فرنســا ورحل الى بريطانيا فأقام فيها مدة لاحظ فيها التطور الصناعي وتأثر به في وضع نظرياته عن حرية العمل والاقتصاد ومن أشهر كتبه عن الاقتصاد كتابه « البحوث الكاملة عن الاقتصاد السياسي » الـذي صـدر سنة ١٨٢٨م cours complet D'Economic politique

(١٦ ، ١٧ ، ١٨) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٧ ـ ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣

(١٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٨٣

الآثار المخطوطة في النجف

- ٣ -

علي الخاقاني

مكتبة الامام كاشف الغطاء

ـ كتب التاريخ ـ

١ ـ أحوال أولاد الائمة :

باللغة الفارسية ، تأليف علي قلي بن السلطان فتح علي شاه القاجاري • بخط محمد بن حاج محمد قلي القزويني بتأريخ ذي القعدة عام ١٢٩٧هـ في ٤٠ ص ١٤ س ، برقم ٥٥ ضمن مجموع ، كلام • وبضمنه فهرست مؤلفات الشيخ المجلسي صاحب البحار على سبيل التفصيل باللغة الفارسية أيضا •

٢ ـ بكر وتغلب :

مجهول المؤلف ، كفل البحث عن الوقائع والحروب التي دارت بين بكر وتغلب ، نقص آخره ، من مخطوطات القرن الحادي عشر الهجري في ٨٦ ص ٢٠ س ، ٢١/٢سم ، ١٥/٢سم ، ضمن مجموع برقم ١٩٨ أدب •

٣ ـ تأريخ فارسي :

مجهول المؤلف ، يبحث فيه الوقائع والحروب عند فارس والعرب ، نقص أوله وآخره ، ٢٨سم ، ١٩سم ،٦٠/٢سم برقم ١٢ تاريخ •

٤ ـ التعليقة على كتاب طبقات الامم :

الاصل للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الاندلسي ، والتعليقة للمؤرخ كمال الدين أبي القاسم عمر بن قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن هبة الله الشهير بابن أبي جراده المتوفى ٦٦٦هـ أوله بعد البسملة (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) في ١٣٨ ص ١٧س ، كتبت على نسخة بخط علي بن موسى بن محمد بن سعيد من ولد عمار بن ثامر العنسي وتأريخها عام ٦٥٠هـ وقد شرحها على نسخة كتبت بالاندلس عام ٤٦٠هـ • وعلى هامشها تعليقة باللغة الفارسية • المخطوطة جميلة وصحيحة ، ١٩/٢سم ، ١٥/٥سم ٢/٥سم برقم ٣٦ تأريخ •

٥ ـ الدر المسلوك في أحوال الانبياء والاوصياء والملوك :

تأليف الشيخ أحمد بن الحسن العاملي المعروف بابن الحر أخ الشيخ الحر صاحب الوسائل ، ابتدأ به من خلق السموات والارض الى عام ١٠٨٤هـ ورتبه على مقدمة وثمانية أركان وخاتمة ٠ المقدمة في خلق السموات والارض وما فيهما من عجائب ٠ أما الاركان (١) في الانبياء والمرسلين (٢) في الملوك المتقدمين (٣) في الخلفاء المسلمين (٤) في الائمة الراشدين (٥) في أعمار المعمرين (٦) في وفيات الصحابة والتابعين (٧) في الحكام والسلاطين (٨) في الحوادث والفتن التي مرت في الدنيا والدين ، أما الخاتمة ففي الملاحم التي تكون في آخر الزمان ، وفصل في أحوال البرزخ ، وفصل آخر اشتمل على طرق الاجتماع كالحبيب مع المحبوب ، والطالب مع المطلوب٠ بخط المؤرخ السيد حسون البراقي فرغ منه في ١٧ جمادى الاولى ١٣١٨هـ في ٢٨٨ص ٢٤س ، ٢٤سم ، ١٨سم ، ٥/١سم ، برقم ٢٥ تأريخ ، وتوجد منه عدة نسخ في مكتبات أخرى نأتي على وصفها ٠

٦ ـ الدرة المضية في تاريخ الحنانة والثوية :

تأليف السيد حسون البراقي ، يوجد برقم ٢٢ متنوعة ، ضمن كتاب بخط المؤلف ، فرغ من تأليفه ثالث شوال ١٣٢٥هـ في ٥٨ص ١٥س ٢١/٢سم ، ١٥/١سم ٠

٧ ـ روض المناظر في علم الأوائل والأواخر :

تأليف محب الدين أبي الوليد محمد بن كمال الدين أبي الفضل محمد بن محمود الحنفي الحلبي المعروف بابن الشحنة المتوفى ٨١٥هـ ، ابتدأ فيه من بدء الخليقة الى عام ٨٠٦هـ في ٢٧٢ص وفي مقدمته ٥٠ص في التأريخ يظهر انها قطعة من كتاب العبر لابن خلدون ، ٢٤سم ، ١٨/٦سم ، ١/٦سم برقم ١٩ تأريخ ٠ ويوجد منه نسخة في مكتبة برلين برقم ٩٤٥٦ ، واخرى في مكتبة المتحف البريطاني بلندن برقم ١٦١٨ ٠ ألفه بالتماس الملك عماد الدين نائب السلطنة بحلب ٠

يوجد اثنان مشاركان للمؤلف بالكنية (١) حفيده أبو الوليد أحمد ابن محمد المتوفى ٨٧٢هـ صاحب كتاب (لسان الحكام في معرفة الأحكام) (٢) ابن عبدالبر محمد بن محب الدين بن محمد حفيد الحفيد المتوفى ٩٢١هـ صاحب كتاب (الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية) ٠

٨ ـ سيرة النبي وأصحابه :

باللغة التركية ، مجهول المؤلف ، مجدول بخط جيد تأريخه ١٠٠٥هـ نقص من أوله صفحة وهي خطبة الكتاب ، في ٢٧٦ص ١٧س ، ١٩/٣سم ، ١٣/٢سم ، ٢/١سم برقم ٢٦ متنوعة ٠

٩ ـ **طبقات الامم :**

للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الموصلي الاندلسي المتوفى ٤٦٢هـ ، يوجد برقم ٣٦ تاريخ ، ط في بيروت باعتنـــاء الأب لويس شيخو ، وفي السعادة بمصر في ١٣٦ص .

١٠ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والسير :**

لأبي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله المعروف بابن سيد الناس اليعمري المتوفى ٧٣٤هـ بخط سليمان الشنشوري فرغ في ٢٠ جمادى الاولى ١٠٣١هـ ، أولــه (الحمد لله مجلي محاسن السنة المحمدية بدرر أخبارها ، ومجلي ميـامين السيرة النبوية عن غرر آثارها) في ٤٩٦ص ٣١س ، غير أنه كتب على آخر صفحة رقم ٢٧٠ ورقة بكونها ٥٤٠ص فلعل المخطوطة نقص من وسطها ، ٢٩/٦سم ، ٢١سم ، ٤سم ، برقم١٩٦تراجم . ويوجد في مكتبة خراسان برقم ٧٤ في ٥٨٢ص ٢٣س وتاريخه عام ٨٠٤هـ . طبع ناقصاً بمصر باعتناء القدسي في مجلدين عام ١٣٥٦هـ في ٧٢٠ص .

١١ ـ **منتخب مرآة الجنان :**

مجهول المنتخب ، والأصل لليـافعي ، يوجد برقم ٨٧ تأريخ . ط الأصل بمطبعة المعارف في حيدر اباد الدكن .

١٢ ـ **نبذ التأريخ :**

للعلامة محمد بن محمود الطبسي ، ألفه بعد فراغه من كتابه (شرح آيات القصص) في ١٥ محرم ١٠٨٤هـ والكتاب يبدأ من عهد النبي (شيث) ورتبه على طبقات التأريخ ، وينتهي بعهد الشاه سليمان الصفوي المعاصـر للمؤلف ، بخط صاحب الحصون ، فرغ من كتابته يوم الأحد ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ في ١٢٢ص ٢٠س ، ٢١سم ، ١٦سم ، يوجد مجموع برقم ٤٨ تراجم سمكه ٤سم .

١٣ ـ **وقعة الجمل :**

أو كتاب النصرة في حرب البصرة ؛ تأليف الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المتوفى ٤١٣هـ ، رتبه على خمسة صاحب الحصون فرغ من كتابته يـوم الاثنين ١٩ جمادى الاولى ١٣٣٩هـ
صاحب الحصون فرغ من كتابته يوم الاثنين ١٩ جمادى الاولى ١٣٣٩هـ
في ٢٢٤ص ٢٢س ، ٢١سم ، ١٦/٩سم ، ١/٩سم ، برقم ٢١٩ تراجم .

ويوجد بمكتبة الشيخ علي حفيد الامام الهادي من آل كاشف الغطاء بخط علي بن ظاهر بن ميرحاج بن محمد بن أحمد بن شقير فرغ منه يوم الاثنين في العشر الأخير من محرم عام ١١١٧هـ في ١٣٨ص ٢٠س ، ٢١سم ، ١٥سم . ويوجد بمكتبة المرحوم السيد أبو القـاسم الاصفهاني بخطه ،

وعليها كتبت نسخة لي وقدمت لها في ٤٥ص عن حياة المؤلف مع فهارس متعددة ،في ١٨٨ص ١٩س وهي اليوم بمكتبة دار الآثار العراقية مع معظم مخطوطاتي ، فرغت من كتابتها ٢١ صفر ١٣٥٥هـ ٠ ط في النجف في المطبعة الحيدرية عام ١٣٦٨هـ واعيد طبعه في ١٣٨٤هـ ٠

ــ كتب التجويد ــ

١ ــ حلية المرتلين :

للشيخ محمدعلي بن حسين القاري البهشمي ، ومن الصدف اللطيفة ان اسم الكتاب جاء مطابقا الى تأريخ تأليفه بحساب الجمل ، فرغ من تأليفه يوم الاحد ١٧ ربيع الاول عام ١٢٤٧هـ في ١٤ص ٢٠س ، بخط السيد سلمان بن السيد حسون البراقي ، ٢١سم ، ١٢سم ٠ وقد جمع المؤلف جميع ظاءات القرآن ونظمها بهذه الأرجوزة :

جميع ظاءات الكتاب مودعه	في سلك أبيات نظام مسبعه
في كل ظعن الظهر ظلت تنظر	تظن ايقاظاً بوعظ يظهر
وظاهراً فظاً غليظ اللفظ	عظيم عظم الظفر ظامي الحفظ
أظهر لظهر كهشيم المحتظر	وانظرن في الظلام المنتظر
وأحظى لظى شواظها تلظى	بكظم غيظ الظلم تظفر حظا
وغيرها ضاد كاولى ناضره	غيض تحضض مع عضين قاصره
وفي ضنين الضاد من عاصم قد	جاء وعن بعضهم الظاء ورد

٢ ــ رسالة في فن التجويد :

تأليف الشيخ أحمد بن زين الدين بن ابراهيم بن صقر بن ابراهيم ابن داغر الأحسائي ، رتبه على ستة فصول وخاتمة ، وبناه على أساس سؤال بعض أصحاب الامام علي بن أبي طالب (ع) عن هذه الآية (ورتل القرآن ترتيلا) فأجاب ، بأن الترتيل : هو حفظ الوقوف ، وأداء الحروف٠ فرغ من تأليفه ثالث جمادى الآخرة عام ١١٩٩هـ في ١٠ص ١٨س ، ٢١سم ، ١٢سم برقم ٧٠ كلام ضمن مجموع كتب بخط المؤلف ٠

ــ علم المنطق ــ

١ ــ الألوغ الواقع على المسعودي :

هكذا كتب في آخر الكتاب ، مجهول المؤلف ، بناء على طريقة (قوله) بخط الياس بن محمد ، فرغ منه في جمادى الاولى عام ١١١٦هـ في ٨٢ ص ١٥س ، على هامشه تعليقات كثيرة ، ١٩/٥سم ، ١٥سم برقم ٥٣ منطق ، وبضمنه كتاب آخر ٠

٢ ـ التحفة في المنطق والكلام :

باللغة الفارسية ، تأليف ابراهيم شـــاهي ، بخط أحمد بن الحاج عبدالله العلوي بمدينة لاهور ، فرغ من نسخه تاسع جمادى الآخرة ، ولم يذكر السنة التي منهـــا هذا الشهر ، في ٢٣٣ص ١٥س ، ٢١/٥سم ، ١١/٥سم ، ٢/٤سم ، برقم ١٢١ كلام .

٣ ـ تشحيذ الأذهان ، وتقويم الأفهام ، في حل شبهة الاستلزام :

تأليف ميرزا محمد بن الحسن الشهير بالفاضل الشيرواني المتوفى ١٠٩٨هـ ، أوله : (الحمد لله الذي لا شبهة في وجوده ، ولا مرية في فضله وجوده ، والصلاة والسلام على من أرســل لتبليغ أحكامه وحدوده) بخط علي أكبر الحسيني فرغ منه يوم الثلاثاء من ذي الحجة ١١٠٣هـ في ٤٨ ص١٤ س ، برقم ٥٣ ضمن مجموع ، كلام .

٤ ـ تعليقة على تشحيذ الأذهان :

للفاضل الشيرواني ، ألفه على أساس زيادة النظر والتدقيق في كتابه المتقدم ، يوجد ضمن الكتاب بالتعريف نفسه ، في ٢٨ص ، ١٤س . أوله (الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين) .

٥ ـ تعليقة على رد تشحيذ الأذهان :

للفاضل الشيرواني ، ألفه في الرد على من رد عليه في كتابه المتقدم ، أوله (الحمد لله الذي هو قادر على أن يجيب سؤال كل سائل ، ولا يغلطه اختلاف السؤال واختلاف المسائل) يوجد ضمن الكتاب المتقدم ، وبالتعريف نفسه ، في ٦٨ص ، ١٤س ، نقص آخره .

٦ ـ الجديد على شرح التجريد :

للفيلسوف الشهير ملا صدرالدين محمد بن ابراهيـــم الشيرازي المتوفى ١٠٥٠هـ ، والأصل للشيخ علي القوشجي المتوفى ٨٧٩هـ ، بناه على (قوله) بدون كلمة (أقول) ، كتب عليـــه اسم كاتبه دون أن يعرف لتشويش الخط وتلويثه بالمداد الأحمر ، فرغ منـــه في سلخ ربيع الاول سنة ١٠٤٨هـ في ٤٥٢ص ٢٨س بخط دقيق غير منقوط ، ٢٠/٨سم ، ١٤/٢سم ، ٣سم وفي مقدمته ١٦ص كتب عليهـــا فريق من العلماء بعض الملاحظات في المعقول ، برقم ١٢٠ كلام .

٧ ـ الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد :

تأليف الحسن بن مطهر الحلي المتوفى ٧٢٦هـ المعروف بالعـلامة ، يوجد برقم ٨٣ منطق طبع على الحجر بايران .

٨ ـ حاشية على الاشارات :

الأصل لابن سينا ، والحاشية للشيخ حسين الخوانساري ، ابتدأ به يوم الأحد رابع ربيع الأول ١١٨٢هـ في ١٧٨ص ١٩س بخط غير منقوط ٢١/٩سم ، ١٣سم ، ٢/١سم برقم ١٢٢ كلام .

٩ ـ حاشية على الايساغوجي

الايساغوجي : هو لفظ يوناني ، معناه الكليات الخمس ، أي الجنس والنوع والفصل والعرض الخاص والعرض العام ، وهو أحد الأبواب التسعة لعلم المنطق . صنف فيه جماعة من المتقدمين كفرفوريوس الحكيم ، وقد اختصر كتابه أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي المقتول عام ٢٨٦هـ . وشرحه ووضع حواشي عليه فريق من علماء المنطق منهم العلامة عبدالمجيد بن نعمان ، صاحب الحاشية هذه ، وهي بخط ابراهيم ابن هسد الدوستكي ، فرغ من كتابته ليلة الجمعة عاشر ذي الحجة سنة ٩٤٥هـ في أربع صفحات كبار ، ٣١س ، ١٥سم ، ١٠/٥سم برقم ٩٢ منطق وبضمنه الحواشي الآتية :

١ـ حاشية على الايساغوجي ، في ٢٢ص
٢ـ حاشية على الايساغوجي مجهولة المحشي في ٨٨ص ١١س
٣ـ حاشية على الايساغوجي مجهولة المحشي في ١٨ص ١٧س
٤ـ حاشية على الايساغوجي مجهولة المحشي في ٨٦ص ١٦س
٥ـ حاشية على الايساغوجي تأليف برهان الدين بن كمال الدين بن حميد ، في ٨٨ص ١٦س .

١٠ـ حاشية على التهذيب :

الأصل للتفتازاني ، والحاشية للشيخ عبدالهادي شليله البغدادي النجفي المتوفى ١٣٣٣هـ في ١٢٢ص ٢٣س ، ٢١/٥سم ، ١٥سم ، ٢سم برقم ٣٦ منطق . ترجمت له في كتابي (شعراء الغري) ج٦ ص ١٣٤ـ١٣٦ وهو صاحب المنظومة في علم المنطق والكلام ـ ط ـ على الحجر بايران .

١١ـ حاشية على التهذيب :

الأصل أيضا لسعدالدين التفتازاني ، توجد برقم ٩٧ منطق مجهولة المحشي .

١٢ـ حاشية الجرجاني على الشمسية :

الأصل لقطب الدين الشيرازي المتوفى سنة ٧١٠هـ ، والحاشية للسيد شريف الجرجاني ، يوجد برقم ٣٤ منطق ـ ط ـ على الحجر بايران .

١٣ـ حاشية الشاه ابادي على التهذيب :

الأصل للتفتازاني ، والحاشية لملا عبدالله الأصفهاني الشاه ابادي ، يوجد برقم ٣٣ منطق ، وتوجد نسخ اخرى برقم ٥٣ ، ٥٤ ، ٨١ طبع على الحجر بايران •

١٤ـ حاشية الدواني على القوشجي :

الأصل للشيخ القوشجي ، والحاشية لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني المتوفى ٩٠٨هـ ، بنى بحثه على قاعـــدة (قوله) بلا (أقول) ، من مخطوطات القرن العاشر الهجري ، نقص أوله وآخره ، في ٢٠٨ص ٢٥س ، ٢٠/٨سم ، ١١/٢سم ، ١/٨سم ، برقم ٧٣ كلام •

١٥ـ حاشية على المطالع :

الأصل : مطالع الأنوار ، للقاضي سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى ٦٨٢هـ وقد شرحه فريق من علماء المنطق ، منهم العلامة داود بن علي مير ، بخط حسين بن قطب الدين بن سديد الدين الولي الاسترابادي ، فرغ من كتابته في النجف ليلة الخميس من شهر شوال عام ٦٨٠هـ أي في عهد المؤلف ، في ٢٤٠ ص ١٩س ، أكثر كلماتـه غير منقوطة ، نقص في أوله ديباجة الكتاب ، ١٧/٥سم ، ١٣سم ، ١/٥سم برقم ٨٦ منطق •

١٦ـ شرح الايساغوجي :

مجهول المؤلف ، وعليه حواش كثيرة ، يوجد برقم ٩٢ منطق •

١٧ـ شرح التهذيب :

الأصل للتفتازاني ، والشرح للمولى عصام الدين ، تاريخ نسخه في عاشر ذي الحجة عام ٩٦٠هـ في ٧٠ص ١٨س ، ١٩/٥سم ، ١١/٥سم ، ٢/٥سم ، برقم ٥٩ منطق •

١٨ـ شرح حكمة العين :

الأصل لزين الدين بن بكر بن عمر الكاتبي القزويني ، والشرح لشمس الدين محمد بن مبارك شاه البخاري ، ضمنه كثيرا من معلومات الشراح قبله لهـــذا الكتاب ، ومنهم قطب الشيرازي • بخط حسن بن محمدعلي الفارسي ، فرغ منه عام ١٢٢٠هـ في ١١٨ص ٢٠س ، ٢٤/١سم ، ١٥سم ، ٨سم ، برقم ١٣٣ كلام • وبضمنه رسالتان في الموضوع نفسه ، الاولى عربية ، والاخرى فارسية • وتوجد مخطوطة اخرى لهذا الشـرح برقم ١٣٨ في المكتبة نفسها •

١٩ـ شرح الشمسية :

الأصل لقطب الدين الشيرازي ، والشارح مجهول · نقص أوله وآخره وأكمل هذا النقص صاحب الحصون بخطه ، في ٣٧٦ص ١٥س ، ١٩/٥سم ، ١١/٥سم ، ٢/٥سم ، برقم ٥٩ منطق ، وخطه قديم من مخطوطات القرن التاسع ·

٢٠ـ شرح المطالع :

لقطب الدين الشيرازي ، أوله (الحمد لله فياض ذوارف العوارف ، وملهم حقايق المعارف) في ٣٢٢ص ٢٥س ، بخط خضر بن خواجه سلمان ، فرغ من كتابته أواخر جمادى الاولى صباح يوم الثلاثاء عام ٧٧٢هـ ، ٢٧سم ، ١٨/٩سم ، ٣/٤سم ، برقم ١٢ منطق · ويضمنه (الرسالة النيروزية) لابن سينا في ثلاث صفحات ·

ويوجد من شرح المطالع نسخة اخرى برقم ٢٩ منطق ـ ط ـ على الحجر بايران ·

٢١ـ منطق الفارابي :

تأليف أبي نصر محمد الشهير بالفارابي المتوفى ٣٣٩هـ ، بخط الحاج محمد بن فرج الله بن اسماعيل بن علي النقي التبريزي فرغ من كتابته يوم السبت ٢٤ جمادى الأخرة عام ١٣١٥هـ جيد الخط ، مليح الحروف · في ٢٣٦ص ١٧س ، ٢١/٩سم ، ١٧سم ، ١/٥سم ، برقم ٣٤ منطق ·

٢٢ـ منظومة في علم المنطق :

مجهولة الناظم ، بخط الحاج مصطفى بن محمد بورنجي زاده ، فرغ منه عام ١٠٩٥هـ يوجد ضمن مجموع برقم ٧٨ ، ١٩سم ، ٩/٥سم ·

٢٣ـ هداية الحكمة :

للشيخ أثيرالدين المفضل بن عمر الأبهري المتوفى في حدود (٦٦٠)هـ رتبه على ثلاثة أقسام (١) في المنطق (٢) في الطبيعيات (٣) في الالهيات · أوله : (الحمد لله حق حمده) ، بخط حسين بن قربان ، فرغ منه عام ١١٦٧هـ في ٦٧ص ١٧س ، برقم ٩٠ منطق ·

شرح هذا المتن جمع من أعلام المنطق وطبع أكثره على الحجر بايران منهم :

١ـ أحمد بن محمود الهروي الخزرباني ، شرحاً مبسطاً ما عدا المنطق ·
٢ـ مير حسين بن معين الدين الميبدي الحسيني ·
٣ـ شمس الدين محمد بن مبارك شاه البخاري الجنكي ·
٤ـ عبدالكريم بن عبدالنور بن منير الحلبي الحنفي المتوفى ٧٣٥هـ ·
٥ـ معين الدين أمين الدولة السالمي ·

٦ـ سعدالدين مسعود بن محمد القزويني ، شرحها شرحاً ممزوجاً بالأصل .
٧ـ فصيح الدين محمد النظامي المتوفى ٩١٩هـ .
٨ـ صلاح الدين بايزيد خان معلم السلطان .

ـ كتب الأنساب ـ

١ ـ أنساب النواصب :

باللغة الفارسية ، تأليف الشيخ علي بن داود الخادم الاسترابادي ، رتبه على ١٢ باباً ألفه عام ١٠٧٦هـ ، في ٧٣٤ص ١٥س ، ٢/٢١سم ، ٩/١٥سم ، ٢/٤سم ، برقم ١٤ أنساب ، وتوجد نسخة أخرى بخط محب علي كتبها بأصفهان ، فرغ منها ٢٣ جمادى الاولى ١٠٨٥هـ في عصرالمؤلف، وفيها مقابلة وضبط . وتوجد نسخة بمكتبة المرحوم السيد هاشم بحرالعلوم في النجف ، نأتي على وصفها عند ذكرنا لمكتبته .

٢ ـ بحر الأنساب :

مجهول المؤلف ، كفل البحث عن أنساب السادة من آدم الى أواخر القرن الرابع الهجري ، جاء نسخه معكوساً من اليسار الى اليمين . بخط المؤرخ السيد حسون البراقي ، وقد أضاف عليه من معلوماته فأوصله الى عصره ، في ٣٣١ص بالقطع الكبير . وطريقة كتابته مشجرة على طريقة كتب الأنساب القديمة ، ٤/٣٣سم ، ٣/٢٤سم ، ٩/٣سم ، برقم ٥ أنساب . وتوجد نسخة الأصل بمكتبة بحرالعلوم كتبت في القرن السادس الهجري شاهدتها عنده .

٣ ـ تحفة الأزهار ، وزلال الأنهار :

في أنساب أبناء الأئمة الأطهار ، تأليف النسابة الشهير السيد ضامن بن شدقم بن علي بن حسن النقيب بن علي النقيب بن حسن الشهيد ابن علي بن شدقم الحسيني الحزمي المدني من مشاهير رجال القرن الحادي عشر الهجري ، وهو حفيد السيد علي صاحب الشجرة وقد أزاد عليها من بعده وفي عصره ابنه حسن ، ثم جاء من بعدهما المؤلف ، فكتب هذا الكتاب في ثلاث مجلدات . يوجد الجزء الثاني برقم ١٣ ، في ٣٤٢ص ٢٣س ، ٦/٢٢سم ، ٢/١٦سم ، ٥/٢سم . أوله : (الحمد لله الذي لاند له فيباري، ولا ضد له فيجاري ، ولا شريك له فيداري ، بسط الأرض قرارا ، وأجرى فيها أنهارا ، وأخرج منها زرعا وثمارا ، وأنشأ ليلا ونهارا) نقص من آخره صفحة واحدة .

والجزء الثالث برقم ٦ أنساب ، في ٢٩٢ص ٢٥س بخط السيد حسون البراقي فرغ منهما صبيحة يوم الاربعاء ٢٣ جمادي الآخرة عام ١٣٢٦هـ ، ٥/٣٣سم ، ٢/٢٤سم ، ٦/٣سم ، والجزء الأول اشتمل على نسب الامام أبي محمد الحسن ، والثاني على نسب الامام الحسين (ع) وما تناسل منهما .

رتب المؤلف كتابه على أبواب ، وقسمها الى فصول ، ووزعهـا الى اصول وأيكات وأسباط ودوحات وغصون وقضب وفنون وفروع وأوراق وحبات واكمام وطلاع وأزهار وورود وقنوان وثمار وزهرات وأقطـاب وسلاقم وشجاعم وأشبال وفراهد وقساور وفداعم وصنادر وقرز ونوافل وسلايل وأحقاد وأشجار وأرهاط وشيع وعشاير وشعوب وقبايل وأفخاذ وأحياء وبطون وبيوت وأحزاب وفرق وطوائف وأفئدة وسياق وقدد وخاتمة ، وقل من أعلام المؤلفين في الأنساب من استعمل هذه العناوين بهذه السعة .

يوجد الجزء الأول بمكتبة العلامة الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا ابن الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ، وعليها كتب نسخة الفاضل السيد عبدالرزاق كمونـه ، وهي التي تتعلق بأنساب أولاد الامام الحسين من الباقر الى المهدي (ع) فرغ منه رابع جمادي الآخرة عام ١٣٥٥هـ وقطعة اخرى تتضمن نسب أولاد الحسين الأصغر بن الامام زين العابدين علي ، فرغ منها في أول شهر صفر عام ١٣٥٦هـ .

٤ ـ حدائق الألباب ، في معرفة الأنساب :

شجره أبو الحسن الشريف بن محمد طاهر بن عبدالحميد بن موسى ابن علي بن محمد بن معتوق بن عبدالحميـد الشهير بالفتوني العاملي النباطي المتوفى ١١٣٨هـ ، تضمن مشجرات الملوك والمشاهير والسادات ، وكان هذا الكتاب مجهول المؤلف فعثر عليـه الفتوني في كربلا وكان غير مرتب فعنى به وأخرجه من المسودة الاولى الى صورة لطيفة يرتاح لهـا الباحث . رتبه على جملتين (١) في آباء السبطين الحسن والحسين (ع) (٢) في أبنائهما . ورتب الجملة الاولى في ثلاث سلاسل .

السلسلة الاولى : تتضمن ذكر أولاد آدم الى ابراهيم ، وتقع في أربع شعب (١) كيومرث (٢) قابيل (٣) هابيل (٤) شيث .

السلسلة الثانيـة : تقـع في ثلاث شعب (١) مدين (٢) اسحاق (٣) اسماعيل .

السلسلة الثالثة : في ولد عبدالمطلب الى الحسنين ، وتقع في خمس شعب (١) المقوم (٢) الحارث (٣) العباس (٤) عبدالله والـد الرسـول الأعظم (ص) (٥) أبو طالب شيخ الأبطح .

الجملة الثانية : في أبناء الحسن والحسين (ع) وتقع في ثلاث سلاسل (١) في أولاد الحسن المجتبى ، وتقع في شعبتين (١) زيد بن الحسن (٢) الحسن المثنى .

الشعبة الثانية : في أولاد الحسين من ولده زين العابدين الى الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) .

الشعبة الثالثة : في أولاد الصادق ، وتقع في ست شعب ، سادسها في أولاد موسى الكاظم (ع) وتقع في ١٥ قبيلة ، خامس عشرها في أولاد

الامام علي بن موسى الرضا من ولده محمد الجواد الى الامام المهدي ٠

وتوسع في فروع هذه الشعب فكانت تتفرع الى قبائل ، وكل قبيلة الى أنسال ، وكل نسل الى عمائر ، وكل عمارة الى بطون ، وكل بطن الى أفخاذ ، وكل فخذ الى فصائل ، وكل فصيلة الى عشائر ، وكل عشيرة الى أرهط ، وكل رهط الى أقوام ، وكل قوم الى طوائف ، وكل طائفة الى فرق ، وكل فرقة الى ذراري ، وكل ذرية الى أحلاف ، وكل حلف الى أعقاب ، وكل عقب الى أصلاب ، وكل صلب الى أبناء ٠ في ١٦٠ص ٢٠س ، بخط المؤرخ السيد حسون البراقي ، فرغ من كتابته ليلة الجمعة تاسع ربيع الآخر عام ١٣١١هـ ، ٢٤سم ، ١٨/٢سم ، ١/٣سم ، برقم ١٠ أنساب ٠

وفي أول الكتاب ١٧ص في الموضوع نفسه لايعرف لها واضع أو جامع ٠ وفي آخره شجرة في آباء النبي لغير المؤلف في ٢٢ص ٠

وقد وضع استاذنا الكبير الشيخ آغا بزرگ الطهراني هذا الكتاب على شكل مشجرات فجاء في جريدة طويلة لطيفة الشكل والخط أسماها (شجرة السبطين وشرعة الشطين) ٠

ويوجد من الكتاب عدة نسخ في مكتبات نجفية اخرى نأتي على وصفها٠

٥ ـ سر السلسلة العلوية :

تأليف أبي نصر سهل بن عبدالله بن داود المهري البخاري المعروف بالنسابة ، من رجال القرن الرابع الهجري ، ذكره الخطيب في تاريخه وروى عن أبي الغنائم محمد بن علي العمري النسابه وغيره ٠ أوله : (الحمد لله الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى) بخط السيد حسون البراقي ، فرغ من كتابته يوم الاثنين ٢٧ رجب ١٣٢٤هـ في ١٥٤ص ١٤س ، ٢١/٤سم ، ١٧سم ، ١/٨سم ، برقم ١٦ أنساب ٠ وبضمنه كتاب تاريخ قم ٠ ط في المطبعة الحيدرية في النجف عام ١٣٨٤هـ ٠ توجد منه مخطوطة بتأريخ ٢٢ ذي القعدة عام ٩٢٧هـ بمكتبة الشيخ علي حفيد الهادي من آل كاشف الغطاء ٠

٦ ـ السيرة البراقية في الرد على النفحة العنبرية :

تأليف السيد حسون البراقي ، صحح فيه بعض الأبحاث الواردة في النفحة ، وعلق على بعض الفصول التي تعتبر في نظره ناقصة ٠ وذكر في آخره فصولا من تأريخ الكوفة مقتطفا ذلك من كتابه المستقل في (تأريخ الكوفة) وذكر بعدها فوائد مرتبة على حروف المعجم تتعلق في أسماء أصحاب النبي (ص) اقتطفها من رجال العلامة الكبير السيد محسن الأعرجي صاحب كتاب (المحصول) وذكر بعدها قطعة كبيرة من المنتظم لابن الجوزي ، ٣٣/٦سم ، ٢٠/٩سم ، ١/٩سم برقم ٧ أنساب ٠

٧ ــ علم النسب :

للنسابة الشهير السيد أحمدبن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة الأصغر المتوفى ٨٢٨هـ ، اختصره من كتابه الكبير (عمدة الطالب) نقص أوله ، بخط السيد حسون البراقي فرغ من كتابته في الساعة العاشرة من الليلة الثالثة لرمضان المبـــارك وقت السحر عام ١٣١٣هـ ، وقد غلط البراقي فنسبه الى استاذ المؤلف وهو السيد تاج الدين محمد الشهير بابن معية النسابة ، وسماه (سبك الذهب في علم النسب) في حين أنه ذكرذلك دون أن يعلم ودونه في صفحة ٢٤ من الكتاب قول المؤلف (قال شـيخي السيد تاج الدين بن معية في سبك الذهب) وفي ص٤٣ منه عند ذكـره لعنبة الأكبر قال ما لفظه : (فمن بني عنبة ، عنبة الأصغر بن علي بن معد ابن عنبة المذكور جد جامع هذا المختصر أحمد بن علي بن الحسين بن علي ابن مهنـــا بن عنبة الأصغر أحسن الله اليه) وفي كثير من الموارد يقول : (قال شيخنا تاج الدين في سبك الذهب) فهـذا صـريح بأن الكتاب ليس لابن معية ٠

يقع في ١٦٣ص ١٩س ، ٢٤/٣سم ، ١٨/٢سم ، برقم ٩ أنساب ، وبضمنه قطعة من كتاب (سر السلسلة العلوية) ٠ ولصاحب (سبك الذهب) كتب قيمة في النسب وغيره منها (١) معرفة الرجال في مجلدين ضخمين (٢) نهاية الطالب في أنساب آل أبي طالب في ١٢ مجلدا ضخما (٣) الثمرة الظاهرة من الشجرة الطاهرة في ٤ مجلدات مشجر (٤) الفلك المشحون في أنساب القبائل والبطون (٥) أخبار الامم أنجز منه ٢١ مجلدا (٦) الجذوة الزينبية (٧) تبديل الأعقاب (٨) كشف الالتباس في نسب بني العبـاس (٩) رسالة في علم الحساب (١٠) منهاج الأعمال ٠

٨ ــ كشف الأستار ، في أولاد خديجة من النبي المختار :

تأليف السيد حسون البراقي ، بخط المؤلف ، فرغ منه ليلة السبت ١٧ ذي الحجـــة ١٣٢٥هـ في ٦٦ص ١٨س ، ٢١/٢سم ، ١٥/٥سم ١/٢سم ، برقم ٢٢ متنوعة ، وبضمنه رسالة في تزويج ام كلثوم بالخليفة الفاروق في ١٣ص ٠ ويوجد أيضا بخط المؤلف برقم ٣٦ مجاميع ، في ٩٤ص بتأريخ يوم السبت ٢٢ ربيع الاول عام ١٣١٦هـ أقدم كتابة من الاولى ، وهو عام التأليف ٠ ويوجد بمكتبة المجمع العلمي العراقي ٠

٩ ــ المجدي :

تأليف أبي الحسن علي بن أبي الغنائم محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد الصوفي بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب ٠ هكذا ساق المؤلف في كتابه هذا ،

وترجم لنفسه فيه بأن قال : وكان أبي انتقل من البصرة عام ٤١٣هـ وقيل ٤٢٣هـ وسكن الموصل وأخذ إمرأة هاشمية من بيت قديم بالموصل له رئاسة ، وفيه سر يعرف ببيت أبي عيسى الهاشمي ٠

وكان المؤلف ممن عاصر الشريفين الرضي والمرتضى وشاهدهما مرارا وتعددت زيارته اليهما على ما يظهر من ترجمته لهما في كتابه هذا ٠ وهو من مشاهير النسابين فقد روى والده أبي الغنائم ، ويظهر من كتبه أنه عاش الى عام ٤٤٣هـ ٠ نقص أوله وآخره ، في ٢١٢ص ١٧س، ٣/٢٠سم ، ٥/١٥سم ، ٢سم برقم ١٨ أنساب ٠ ويوجد بمكتبة السيد عبد الرزاق كمونه ، فرغ من نسخه عام ١٣٥٦هـ على مخطوطة قديمة فيها تعليقات للسيد عبدالكريم بن طاووس الحلي في القرن السابع الهجري ٠

وللمؤلف مخطوطات أخرى في النسب منها كتاب المبسوط، والشافي، والمشجر ، فقد ذكر ذلك أحمد بن علي بن عنبة في كتابه (عمدة الطالب) عند ذكره لنسب المؤلف ، وعنده نسخة من (المجدي) ٠

١٠ ـ النسب :

ينسب لابي نصر سهل بن عبد الله البخاري صاحب كتاب (سر السلسلة) ٠ ونسبته الى بخاري غير صحيحة للاسباب التالية :

(١) ذكر أولاد علي بن الحسن بن زيد فقال : (وأحمد له عقب كثير أجمع على صحتهم العلماء الا البخاري) ٠

(٢) ذكر في ترجمة زيد بن الحسن بن زيد فقال : (وقال البخاري لايصح لظاهر هذا ولد) وبعده عدد أقوال جماعة من العلماء منهم السيد أبي الغنائم ٠

(٣) ذكر أولاد عبد الله الباهر فقال : (وأما شرف الدين هذا فلم يبق منه الا ولد واحد وهو السيد الاجل عزالدين يحيى وقتله خوارزم شاه تكش) في حين أن عزالدين استشهد في عام ٥٨٩هـ بالري ، وخوارزم شاه مات في رمضان عام ٥٩٦هـ والبخاري معروف عصره٠

(٤) ذكر في اخر الكتاب سكان بن علي بن زيد النسابة فقال : (كان نسابة هراة عام ٥١١هـ) ٠

(٥) رأيت مكتوبا في اخر النسخة (يعلم من المصنف أنه ألفه أيام الخليفة الناصر بالله العباسي المتوفى ٦٢٢هـ في وزارة ناصر بن مهدي ونقابة السيد شرف الدين محمد بن عزالدين يحيى) وشرف الدين هو الذي فوضت اليه النقابة عام ٥٩٢هـ وورد بغداد عام ٥٩٣هـ بعد قتل أبيه بالري ٠

(٦) رأيت مكتوبا فيها هذا كتاب (الاحساب والانساب) تأليف صاعد بن أحمد ٠ وقد ذكر في كشف الظنون ٠ والظاهر أنه ليس هو هذا ٠

(٧) كتبت فائدة على ظهر الكتاب ونصها : (أعلم ان البخاري المعروف عند أعلام النسب ليس هو أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري النسابه ، بل النسابه أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن الديباج بن العقيلي البخاري ، ومن أراد أن يتضح لديه الفرق فليمحص كتاب (سر السلسلة العلوية) يعرف الفرق بينهما ، ويظهر له بعد الزمن بين الرجلين

والبراقي السيد حسون الذي بخطه هذا الكتاب وجد نسخة بخط العلامة السيد صدر الدين العاملي الموسوي تنص على أن كتاب (النسب) هذا لابي نصر البخاري ، وتبعه المحقق الكبير الشيخ آغا بزرك فذكره في (الذريعة) ج٢ ص٣٧٧ المطبوع في النجف عام ١٣٥٦هـ ·

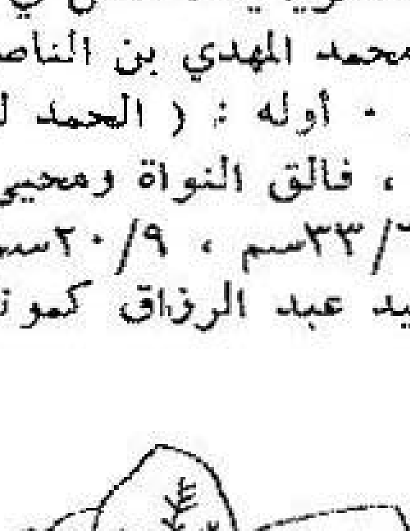
فرغ البراقي من كتابته ٢٣ شعبان ١٣٢٤هـ في النجف في ٢٥٠ص ١٧س ، ٢١/٣سم ، ١٧/١سم ، ١/٩سم ·

عنون المؤلف مباحثه بأن يبدأ الموضوع بلفظة (وأما) نقص من أوله، وفي خلاله بعض الصفحات ·

١١ ـ النفحة العنبرية ، في نسب خير البرية :

للنسابه الشهير أبي الفضل محمد الكاظم بن أبي الفتوح الاوسط بن أبي اليمن سليمان بن تاج الملة أحمد بن جعفر بن الحسين بن علي بن محمد بن هارون بن جعفر بن عبدالرحمن بن الحسين بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم العسكري بن موسى الثاني بن المرتضى ابراهيم الاصغر بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن الامام علي بن أبي طالب (ع) ·

والمؤلف من مشاهير أئمة الزيدية ، عاش في القرن التاسع الهجري ، ألفه للسلطان القائم بأمر الله محمد المهدي بن الناصر لدين الله بن أحمد بن المتوكل على الله علي المطهر · أوله : (الحمد لله الذي خلق الموجودات وكونها ، وفطر الصور ولونها ، فالق النواة ومحيي الرفاة) بخط السيد حسون البراقي في ٣٢٨ص ٣٣/٦سم ، ٢٠/٩سم ، ١/٩سم ، برقم ٧ أنساب · ويوجد بمكتبة السيد عبد الرزاق كمونه ، بخطه فرغ منه عام ١٣٥٦هـ في النجف ·



النصرُ لنا

عطا عبد الله العطار

بدمي الغـالي سـأحمي الوطنـا   وأُبيـدُ الغـادرينَ الجُبنَـا

وهتـافي في الوغـى النصـر لنـا

وَحدةُ العُرْبِ المنى والأملُ   فلهـا السـعيُ وفيهـا العمـلُ

وبهـا غاياتنـا تكتمـلُ   والشبابُ الحرُّ نادى معلنـا

بدمي الغـالي سـاحمي الوطنـا   وابيـد الغـادرين الجُبنـا

وهتـافي في الوغـى النصـر لنـا

نحـنُ اثخنّا اعادينـا جراحْ   عزمنا الايمانُ والدينُ الصُراحْ

بهمـا النصـر وللنصرِ سلاحْ   وشبابُ العرْبِ لبّى مؤمنـا

بدمي الغـالي سـاحمي الوطنـا   وابيـد الغـادرين الجُبنـا

وهتـافي في الوغـى النصـر لنـا

أزِفَ الوقـتُ لكي نتحـدا   ونضمّ الصف روحاً ويـدا

في طريق المجد نمضي صُعُدا   واخـو الاصلاح يدعـو معنـا

بدمي الغـالي سـاحمي الوطنـا   وابيـد الغـادرين الجُبنـا

وهتـافي في الوغـى النصـر لنـا

وعـلى صـوت دويّ المدفعِ   وهـديرِ الهاجـمِ المنـدفعِ

صوتُ جنـدي عـلا في مسمعي   يمـلأ الارجـاء يجتاح الدنى

بدمي الغـالي سـاحمي الوطنـا   وابيـد الغـادرين الجُبنـا

ونشيدي في الوغـى النصـر لنـا

حول الفن الحديث

من الثورات البنــاءة
حتى ظاهرة فن الهزيمة

عبد الرحمن مجيد الربيعي

التطور حتمية قاطعة في العمل الفني وهو خير وخصب لكن الركـــود الاعمى موت نهائي وحكم بقطع رأس الفن وجفافه ..

لكل مرحلة فنانوها ، بعضهم من تخلدوا كأشخاص أوجدوا اساليب ثائرة كانت غريبة على ما اعتاده ابناء عصرهم لكنهم تفهموا كنه الزمن والحدث الذي عاشوه فأوجدوه بالالوان وفق منظارهم ، وما كان عريقا في هذه الثورات قد بقي وأخذ مكانه في تأريخ الفن الانساني وفلسفته وما كان تقليدا وهروبا مات وانتهى مع صاحبه ، لكن المؤسف ان مقدمه قد انفق عمره في الجـــري وراء كذبة رعناء بلا جذور . (دافنشي) و (يوجين ديلاكروا) و (فان جوخ) و (بول جوجان) و (رينوار) و (بول سيزان) كانوا ثوارا حقيقيين ، لذلك بقيت أعمالهم شاهدا ، كان رينوار يصرخ :

(اكتشفت ان طريق المذهب التأثري غير مأمون ، يجعل الانسان دائما راضيا عن نفسه ، فهناك اختلاف كبير بين الاضواء في الطبيعـــة والاضواء في المرسم فبينما الاضواء في المرسم ثابتة لا تتغير تستخدم في كل غرض وهدف اذا بنا نجدها في العراء متغيرة من وقت لآخر) وكان هذا الادراك منطلقا له لتجربة أكثر انعتاقا ، ان تطوره له مبرر ، لقد اعتنق التأثرية زمنا ولكنهـــا لم تستوعبه فرفضها وقال ان طريق المذهب التأثري غير مأمون ..

وجوجان هو الآخر قد غير نظرته التأثرية للون والضوء فقال :

(ان بعض الالوان تعطينا احساسات غامضة وعلى ذلك فلا يمـــكن استخدامها استخداما منطقياً بل تضطر الى استخدامها بطريقة رمزية مبهمة) . فلجأ الى الرمزية والبدائية التي صبغت لوحاته في جزر المحيط الهـــادي ،



(رينوار)

فتاتان في ملابس سوداء

فتأثرت به بعد ذلك حركات فنية تقدمية كثيرة منها حركة (جماعة الانبياء) من ١٨٨٩ ـ الى ١٨٩٩ وعندما انضم اليهم بعد ذلك (موريس ديني) كان يصرح بقوله :

(تذكروا ان اللوحة قبل أن تصبح حصانا أو جسما عاريا أو شيئا آخر ، هي بطبيعتها مسطحة ويلزم أن تكون الالوان التي تغطيها على هيئة مسطحات وبطريقة تتبع نفس النظام) ٠

وكانت الحركات التطورية في الفن متسلسلة ومتلابسة بعضها يحمل البعض من صفات الآخر ، انها نسل تجربة انسانية واحدة ، فالنيوكلاسيكيون ١٧٤٨ـ١٨٢٥ والرومانتيون ١٧٩٨ـ١٨٦٢ والتأثريون (الانطباعيون) ١٨٦٣ الذين كانت مرحلتهم غنية لانطلاق محاولات كثيرة جانبية منها (التنقيط) Pointillisme الذي بدأ بها (جورج بيير سورا) وفيها توضع الالـــوان على شكل نقط صغيرة وفق الشكل المراد تلوينه ٠٠ و (الوحشيون) الـذين

تشبع بأسلوبهم الفن المعاصر انذاك على يد (ماتيس) ... ونماذج أخرى كثيرة من الإساليب والمعتقدات الفنية ، الا انها جميعها كانت محاولات معقولة لتنقية الفن وجعله مواكبا للعصر المادي الجديد مالثا كل الاتجاهات .. ولذلك فيمكن اخضاعه للنقد والمناقشة واطلاق الاحكام ، الا ان الفن لم يمر بتجربة ملوثة ضاع فيها الرأس والقدم مثل تجربته في أيامنا هذه ..

كانت المحاولات الاولى عند (سلفادور دالي) الاسباني و (بيكاسو) الاسباني الاصل والقاطن في فرنسا الان ، و (كاندنيسكي) و (هنري مور) في النحت .. أقول كانت المحاولات الانعتاقية عندهم لها مبرراتها فهم عاشوا تجربة الحربين التي اولدت القلق والخيبة في نفوس الناس والفنانين خاصة ، فظهرت اعمال فنية لم تخضع لتبرير ولا منطق وان المتتبع للحركات الموجودة الآن في أوربا وامريكا لا يسعه الا ان ينزل الرحمة على قلوب اولئك الاوائل ، كوفائيل وميخائيل انجيلو وذافنشي ..

ان التطور مقبول ولست رجعيا أقف ضده ولكن ان يكون موغلا في هذه الانهزامية فأنه يفقد رسالته كفن وهويته ويصبح مجرد لعب في اللون والخط.

ان الفن قبل هذا وذاك وجه انساني وحضاري ونحن نحكم على روعة الفن الاسلامي مثلا بالنسبة للآثار التي وجدت في سامراء مثلا او قبة الصخرة أو اضرحة الائمة في النجف والكاظميين يمكننا ان نرى الفن العربي والاسلامي وله صفاته الواضحة المميزة مربوطة حتى بالفترة الزمنية التي مر بها ، ولكن أي رثاء كبير ستقدمه لنا الاجيال القادمة عندما يرون هذا السخف المسطر والذي شئنا ان نسميه فنا !!

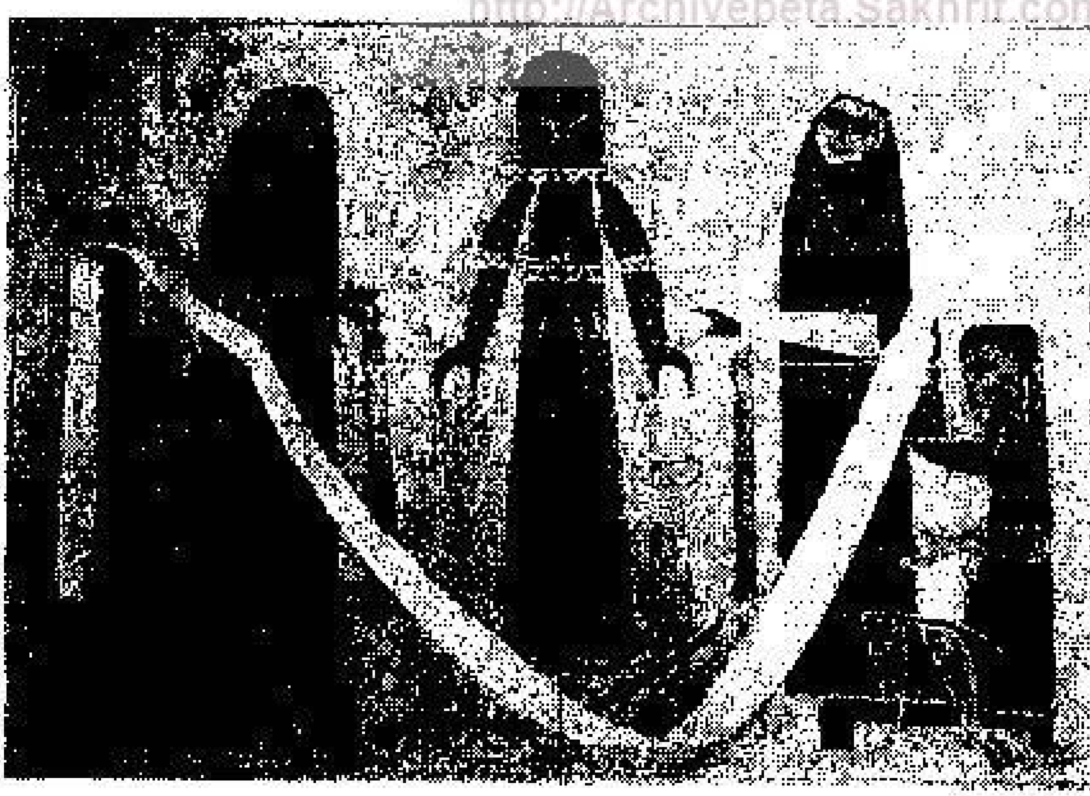
ان الوبال على رؤوس الفنانين الحقيقيين من جمهرة الفارغين الذين يحسبون على الفن ، يساعد على ذلك جمهور متأخر عن تطور الفنان وتقدمه ، وعندما بدأ بعض المجددين في انجاز بعض الاعمال التجريدية رأى المتربصون الذين فشلوا عن الانجاب ان هذا الطريق سهل فبدأوا يرسمون لوحات ما انزل الله بها من سلطان ونرى حتى كبار الفنانين الذين ابدعوا هذه الظاهرة قد كشفوا عن الجانب المضحك في هذا الموضوع وها هو بيكاسو يقول :

(... أما الاغنياء والمترفون اولئك العواطلية ، فيتبعون كل ناعق ويجرون وراء كل طارق مستغرب ويوثرون الفاضح الشاذ .. وانا منذ الحركة التكعيبية وبعدها أخذت في ارضاء هذا الفريق من الناس ومن على شاكلتهم من النقاد وذلك بكل ما يطرأ على ذهني ويطرق رأسي من الاعيب وأعاجيب وكلما استغلق فني عليهم زادوا بي كلفا واعجابا حتى لاحقتني شهرة حثيثة بينما اتسلى بتلك الالاعيب المعقدة والاحاجي الملغزة والارابسكات .. وهذا مني اعتراف مرير أشد ايلاما مما يبدو لاول وهلة ولكنه اعتراف صادر عن طوية صادقة) .

* * *



بابلوبيكاسو ـ طبيعة صامتة بها كعكة
أحد المظاهر التكعيبية (١٩٢٤)



(قماش) لفرج عبو ـ وفيها يحافظ الفنان على
الملامح الشعبية لشخصياته

ولاحاول هنا أن استعرض البعض من المدارس الفنية الراهنة والتي ادرجها تحت اسم (فن الهزيمة) والظاهرة الوحيدة التي تجمعها هـي (الغرابة) ففي مفهومهم انك تستطيع ان تقدم فنا عظيما كلما أوغلت في الغرابة كلما جئت بشيء يضع الآخرين في حيرة ، أما ان يكون ما تقدمه ذا رسالـة وذا صوت واضح فهذا لم يدر بخلدهم ، وهذا النوع من اللعب لا يمكن ان يؤدي الى نتيجة سيظل يدور في هذا المدار الفارغ وسينتهي حتما بعـد أن يكل اللاعبون •

ان هؤلاء الذين يرفضون كل جذر وكل قيم جمالية وانسانية ثابتـة تألفها الناس لا يمكنهم الا يرتجفوا من حمى مرضهم المسكين هذا وعندمـا تصل القضية الى هذا الحد فأننا نشطب ما قدموه ونرميه في البحر • فهناك جمـاعة في أمريكا يسمون أنفسهم بجماعة (البوب ارت) أو (الشعبيين) ويتزعمهم (راشمبرك) وهؤلاء يلجأون في بعض اعمالهم الى لصق اشياء جاهزة في اللوحة فمثلا اذا كان في الصورة منفضة سيجائر فالفنان يأتي بمنفضـة حقيقية ويلصقها في اللوحة ولا داعي لرسمها ، واحدهم مثلا يدق مسمارا في وسط اللوحة المعلقة ويربط هذا المسمار بخيط ينتهي في الجدار المقابل حيث يعلق في رأسه قلم أو قدح مثلا ، ماذا يعني هذا ؟ أي جانب فني فيه ، انني اوفر للمشاهد الوقت في التفكير الضائع واقول له : ان هذا لا شـيء يا صديقي ، انه عبث لا طائل منه ، انه مصيبة الانسانية في عصـرنا ، الانسانية المهانة في أوربا أمام تضخم رأس المال وسيطرته على الطبقات الدنيا والفنانون لاهون بهذه الخرافات ، ويرضي غرورهم اقبال بعض الجهات في شراء أعمالهم ليقتلوا فيهم باغتيال الروح الطيبة والانسانية ••

وهناك مثلا جماعة (الحركيين) وهؤلاء يعتمدون في أعمالهم على ابـراز الحركة التي تأتي نتيجة وضع لون بجانب آخر ، وهذه الحركة اتقبلها مبدئيا ولكنها نوع من (الدزاين) أي الزخرفة التي تصلح كنماذج للزينة فقط ولعلها أكثر مرونة لاخراج أعمال ذات هدف وسمات •

أما جماعة (الميكانيكيين) مثلا وهؤلاء ظهروا في امريكا أيضا ولا يمكنني أن أدعوهم رسامين لانهم يأتون ببرادة الحديد ويضعونها في آلات خاصـة وعندما تدور هذه الآلات تخرج اشكالا يتمتع بها الناظر في وقتها وتنتهي ••

ان هناك قضايا غريبة أخرى فأحد الفنانين مثلا كان يأتي بامرأة عارية ويلطخ جسدها بالالوان ثم يضع قماشة كبيرة على الارض ويتركها تتقلب فوقها ثم بعد ذلك يضع على بعض أقسام جسدها الوانا أخرى وفي النهاية يظهر عنده ما يسمى (لوحة حديثة) •• أهكذا الفن ؟!

* * *

ان هؤلاء الفنانين وأمثالهم قد خلقوا وسط الفجيعة الحضارية التـي تطويهم اليوم وهم بحاجة لوقت طويل لاعادة الثقة الى نفوسهم والعـودة الى الخط الانساني الايجابي البناء •• وان الوضع الذي يعيشه الفنـان قاس

روحيا ومدمر ومثل هذا يقع على الادباء أيضا فنرى (ت٠س٠اليوت) مثـــلا يرفض واقعه ويقول ان خلاص الانسان في الكنيسة ، وتلك سيمون دي بوفوار كمفكرة في مجتمع رأسمالي تقول : (ان المثقف اليميني لا يستطيع ان ينتج أدبا جيدا لانه ربط نفسه بالقوى المنهارة والميتة في المجتمع) ٠ وأحب هنا أن أتساءل : هل أثرت هذه الحركات في نفس الفنان العراقي ؟

في الحقيقة ان الفنان العراقي قد تأثر بصورة واخرى في الفــن الاوربي نتيجة تتلمذه على أيدي فنانين اوربيين ، لكنه لم ينخرط وراءهم كليا عـدا بعض الاسماء ٠

ان تفهم طبيعة الموقف القومي والبيئي لدى الفنان العراقي هي التــي أوقفته من مسايرة اللعبة هذه ، ولكني أخاف ان يسلك بعض الشـــبان الصاعدين هذا الدرب الذي يقود الى مهاو من الصعوبة انتشال من يســقط فيها ، والذي يساعده على تفهم الطبيعة المرحلية التي تمر بها أمته هي الثقافة النظرية في الفن حتى يفهم ما يصنعه بذكاء وخبرة لا بتقليد اعمى يفقـــده أصولـــه ٠٠

والذي يلاحظ اعمال الفنانين العراقيين يحس بأنها اعمال رصينة ممتلئة لها وجهها الواضح والامثلة كثيرة في أعمال : محمد غني واسماعيل التـرك واسماعيل الشيخلي وفرج عبو وسعد الطائي والمرحوم جواد سليم ، والقافلة الصاعدة من الشباب الاذكياء الذين تنمو اعمالهم بابداع واتقان ٠٠٠

* * *

ختاما أقول : اننا في وضع متأزم وان فننا يجب ان يكون فنا بناءا ملتزما قضيته حتى يسمع صوت الاشتراكية ولا يمكن للفنان ان يبقى في صومعته بل عليه ان ينزل الى الارض ويدس جسده بين اجساد الاخرين ويشاركهم تطلعهم ومسيرتهم ٠



البند والشعر الحر

مصطفى جمال الدين

في العدد الثالث من مجلة (الاقلام) بحثان يتصلان بالبند والشعر الحر ، اولهما عن (التفعيلة في الشعر العربي) للدكتور حسين نصار ، وثانيهما عن (البند في الادب العراقي) للاستاذ عبدالرزاق الهلالي ، وقد اعتمد كل من الباحثين الجليلين على كتاب الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة (قضايا الشعر المعاصر) في مقدار الصلة بين البند والشعر الحر ، وان كان هدف كل منهما يختلف عن هدف صاحبه .

فقد كانت مهمة الدكتور نصار هي تنبيه القائلين بان الشعر الحر يقوم على اسس شبيهة بتلك التي يقوم عليها البند من الشعر العراقي (كذا) باعتباره الفن الوحيد الذي يشترك مع الشعر الحر في قيامه على أساس التفعيلة ، في حين يرى الدكتور نصار : ان هناك فنونا شعرية أخرى قامت على الاسس نفسها ، ولكن النقاد تجاهلوها » ثم يضرب لذلك أمثلة من (الكان وكان) و (القوما) من الفنون الشعبية البغدادية التي تختلف اطوال اشطرها في عدد التفعيلات .

والحقيقة ان كلا من (الكان وكان) والقوما لا يشبهان الشعر الحر أو البند ، لانهما – وان تغير عدد التفعيلات فيهما بين شطر وآخر الا انهما التزما بنظام مطرد ، سواء في الوزن أو القافية ، فاذا كان الشطر الاول من اربع تفعيلات والثاني من ثلاثة – مثلا – فان كل شطر اول وثان كذلك . وهذا شيء وجد في بعض الموشحات الاندلسية أيضا ، ولكن الامر ليس كذلك في الشعر الحر والبند ، لانهما لم يلتزما بمثل هذا النظام ، فقد كان من ابرز ملامحهما الحرية في عدد التفعيلات والقوافي ، دون الالتزام بنظام تجري عليه القصيدة بين شطر وآخر غير الالتزام بالتفعيلة التي قد تتكرر مرتين أو ثلاثا أو أكثر دون تنظيم .

اما الاستاذ عبدالرزاق الهلالي فقد كان بحثه دراسة مختصرة عن البند ، وعرضا موجزا لبعض نماذجه ، ولكن الذي يعنيني منه ، هو اعتماده في دراسته على رأي السيدة نازك الملائكة من التفريق بين عروض البند

وعروض الشعر الحر ، حيث جعلت البند يتألف من بحرين متداخلين هما (الرمل) و (الهزج) ، اما الشعر الحر فهو من وزن واحد ، وقد أخذ الاستاذ الباحث هذا الرأي دون ان يكلف نفسه مناقشته ·

كما كنت اطلعت ــ بحكم مهمتي ــ على كتاب (فن التقطيع الشعري) للدكتور صفاء خلوصي فوجدته قد عرض وجهة نظر السيدة الملائكة في وزن البند الى جانب الرأي المشهور القائل بأنه جار على وزن الهزج وحده ، دون ان يناقش احد الرأيين !!

وحيث ان لي محاولات سابقة في بحث هذا الموضوع كانت اولاها عن (الشعر الحر : تاريخه وتطوره)(١) سنة ١٩٥٦ فقد اوضحت فيها الصلة بين الشعر الحر والبند ، وكانت الثانية حين صدر كتاب قضايا الشعر المعاصر ، فاستندت الى مجلة النجف التي تصدرها (كلية الفقه) نقد الكتاب المذكور ، وكانت لي مع المؤلفة وقفات طويلة حول عروض الشعر الحر وعروض البند · لذلك فقد رأيت ان اعقب على هذا الموضوع ، لا لاصحح خطأ وقع فيه الاخوان الذين كتبوا عنه ، وانما لاضع بين ايديهم معلومات توفرت عليها في دراسة طويلة لعروض هذين الفنين ، واترك لهم بعد ذلك ، وللاستاذة صاحبة الرأي وللقارىء الكريم مسألة قبولها او رفضها ، ما دام قصدي وقصدهم خدمة الادب العربي وتراثه ·

خلاصة رأي السيدة نازك الملائكة :

ترتأي السيدة نازك ان عروض البند يجب ان يتألف من وزنين متداخلين ــ الهزج والرمل ــ فيبدأ الشاعر بأشطر رملية (فاعلاتن فاعلاتن) غير متساوية الطول ، على ان لا يختمها الا بالضرب (فاعلاتان) لان الجزء الاكبر منها (علاتان) مساوية في وزنها لتفعيلة الهزج (مفاعيل) وبهذا الضرب يمهد للانتقال للبحر الثاني (الهزج) فيستمر في تفعيلاته (مفاعيلن مفاعيلن) على ان لا يختمها الا بالضرب (فعولن) الذي يمهد له العودة الى الرمل · وهكذا من الرمل الى الهزج ، ومن الهزج الى الرمل حتى ينتهي البند · اما اذا استمر الشاعر في قصيدته على وزن واحد ــ كأن يكون الرمل مثلا ــ فهو شعر حر وليس بندا · وهذا هو الفارق الوحيد بين الفنين الشعريين القائمين على أساس التفعيلة ·

وترى المؤلفة : ان الشعر الحر أسهل من البند في خطته لانه يقوم على بحر واحد ، مقتصرا على تشكيلة واحدة منه لا يتخطاها ، شأنه شأن الشعر العربي في اسلوب الشطرين ، فلا يستطيع الشاعر الحر ان يجمع بين التشكيلتين التاليتين :

مفاعيلن مفاعيلن
مفاعيلن فعولن

اما في البند فان هاتين التشكيلتين تجتمعان للتمهيد للانتقال الى البحر الآخر ، وليس ذلك مستساغا فحسب بل هو مطلوب في البند ·

وقد طبقت الشاعرة هذه الخطة التي اكتشفتها لعروض البند على بنـد ابن الخلفة الحلي المشهور : (ايها اللائم في الحب ، دع اللوم عـن الصب) ·

واذا كان لـكل اكتشاف سبب ، فان السبب الذي دعاها لاكتشاف هذه المجاهل العروضية في البند هو انها وجدت جماعة ممن تعرضوا للبند زعموا انه لا يتألف الا من بحر الهزج وحده ، بزيادة سبب خفيف في أوله :

أي يها اللائـ م في الحب دع اللوم عن الصب

مفاعيـلُ مفاعيـلُ مفاعيـلُ مفاعيـلُ

فقالت : (لسنا نعرف في الشعر حرفا الا وهو داخل في وزن الشطر أو البيت ، فبأي حق نفرد سببا خفيفا فلا نزنه) ـ ١٧٠ ـ لذلك فانهـا قطعت البند المذكور ، على أساس عدم الزيادة فيه فكانت النتيجة انه من الرمل ، لما بينهما من تشابه ـ فاننا لو ازدنا أي بيت من الهزج سببا خفيفا لانقلب الى رمل ولو انقصنا بيت الرمل سببا خفيفا لانقلب الى هزج ـ ولابد انها استمرت ، وان لم توضح ذلك ـ مع تدفق التفعيلة (فاعلاتن) فلم تقف على نهاية للشطر الاول الا بعد ثمانية عشرة تفعيلة ، لذلك جعلت خاصية الاولى ـ ص ١٧٧ ـ (انه شعر ذو اشطر غير متساوية الطول وكلما كان تنوع الاطوال اوضح كان البند اكثر موسيقية واصالة) ، حتى اذا وصلت الى شطر ينتهي بالضرب (فاعلاتان) رأت البند ينقلب الى هزج ، فاكتشفت السر واصدرت حكمها على ان كل بند يجب ان يجمع بين البحرين المتشابهين ·

ولابد ان تكون الناقدة الفاضلة قد استنتجت هذه الخطة العروضية الطريفة من استقرائها لـكل أو أغلب النماذج البندية الموجودة بين ايدينا ، كما فعل الخليل بن أحمد حين استفرغ وسعه في قراءة الشعر العربي حتى استقام له ان يضع هذه القواعد الثابتة لعلم العروض ·

ولـكن الذي آسف له ان مؤلفة قضايا الشعر المعاصر ـ مع احترامي لموضوعية اكثر ما قرأته من نقدها ـ اما ان تكون غير جادة في دراستها لعروض البند ، واما انها لم تستطع الوقوف على مجموعة كافية من البنود ، والا فلو انها أخذت بالصبر والاناة على تتبع تجارب البند الدقيقة لغيرت هذا الرأي جملة وتفصيلا وذلك للملاحظات التالية :

١ ـ البند لم يقتصر على الهزج :

فليس صحيحا ما اعتمدته المؤلفة من الرأي المشهور بان البند يتألف من الهزج وحده ، لانه ما دام يعتمد على (التفعيلة) المتكررة أساسا له ،

فيمكن ان يجري من البحور ذات التفعيلة المتكررة ، وهو في ذلك كالشعر الحر الا ان الموجود ، بين ايدينا منه ــ وذلك راجع الى ما بين عصري البند والشعر الحر من فروق ــ ثلاثة أنواع فقط :

آ ــ نوع من الرمل الصافي ، الذي لم تخالطه تفعيلات الهزج ، ويوجد منه مائة وخمسون بندا (للسيد علي باليل) في الجزء الثالث من (انيس الخاطر) للشيخ يوسف البحراني ــ وقد طبع مرتين ــ وعشرون بندا في (معادن الجواهر ج ٣) للسيد محسن الامين ، وقسم منها في مجموعة (البنود) للاستاذ عبدالكريم الدجيلي ، وهي مطبوعة ايضا وهذا نموذج منها :

يا مناخ السعد والعز جمالا
ومحيط المجد والفخر رحالا
سرت كالشمس وما الشمس لولاها مثالا
انها سوف تلاقي دون علياك زوالا
جمعت فيك صفات اعجزت ، قبل ، منالا
بعضها جود غياث يخجل الغيث انهمالا
وكمال ، علم البدر كمالا
وجمال بهر العالم بهرا(٢)

وقد أشار السيد علي باليل الى البحر الذي اختاره لبنوده فقال :

قد انارت كلماتي
فيه كالشهب وزينت بها في كل (بند)
(فاعلاتن) ست مرات فما فوق حوالي
برزت من حجل الفكر تجلى
كشموس بزغت في (رمل) الابحر من نظم ابن باليل علي
فاخطب الافكار ــ ان كنت لها كفوا ــ وأهد السمع مهرا(٣)

والسيد علي باليل هذا أقدم بكثير من ابن الخلفة ، فقد توفي الاخير سنة ١٢٤٧هـ ، اما باليل فلم استطع العثور ــ رغم التتبع ــ على سنة وفاته ، الا ان بنوده هذه ، قد ذكرها مؤلف (انيس الخاطر) المتوفى سنة ١١٨٦ وطبيعي أن يكون شاعر هذه البنود أقدم من هذا التاريخ .

(ب) ــ وهناك نوع من الهزج الصافي الذي لم تخالطه تفعيلات الرمل ، وقد نظم فيه الكثيرون امثال السيد نصرالله الحائري (١١٥٦) وهو أقدم من ابن الخلفة . والشيخ عبدالحسين صادق والسيد محمد القزويني وغيرهم ممن توجد بنودهم في مجموعة الاستاذ الدجيلي ، أو في دواوين بعضهم المطبوعة كالسيد الحائري ، وهذا انموذج من بنده الموجود في الديوان :

سلاما ما شذى الزهر وقد باكره القطر
ولا العود على الجمر

ولا نغمته المطربة النفس
ولا العقد من الدر
ولا جيد مها الانس
ولا زهر نجوم الافق قد فارقها البدر
ولا وشي الطواويس ولا الخمر ٠٠ الى آخر البند

(جـ) ـ وهناك نوع ثالث يتذبذب بين الرمل والهزج ـ وهذا هو الذي وقفت عليه السيدة الملائكة وحسبته هو البند دون سواه ـ والحقيقة ان تذبذب هذا النوع بين الوزنين واضطرابه العروضي ناشيء من :

١ ـ التشابه بين تفعيلتي الهزج والرمل بحيث يمكن ، نتيجة لتدفق التفعيلة الواحدة ، ان يسرح الشاعر ـ وهو لا يدري ـ من مفاعيلن الى فاعلاتن ، لما بينهما من تقارب سبقت الاشارة اليه ٠

٢ ـ ان اكثر هؤلاء الذين تذبذبت بنودهم بين الوزنين ، هم قليلو الممارسة لفنون الشعر ، ويعوزهم الاحساس المرهف بموسيقاه ، بل لعل بعضهم ـ كابن الخلفة ـ مثلا ، كان من شعراء الشعر الشعبي ، ثم نظم الفصيح على السليقة ، ولهذا وقع في جملة أخطاء نحوية وعروضية كقوله (فلو كنت ترى الحاجبي الزج) ٠

٣ ـ يضاف الى ذلك ان الفترة التي نشأ فيها البند ، فترة خمود الحركة الادبية ، واغلب النصوص التي وصلت الينا منه ، نقلت على ألسنة جماعة من الرواة الاميين أو القليلي الخبرة بفنون الادب ، فهم قد يزيدون وقد ينقصون وهم لا يشعرون بانهم يتحرفون فيما رووه من نصوص ٠

وهذه الاسباب ـ مجتمعة أو متفرقة ـ هي التي أدت الى هذا الخلط بين بعض نماذج البند ، كما يوجد اليوم ما تنعاه المؤلفة نفسها على الشعراء المعاصرين من خلط التشكيلات المختلفة للبحر الواحد ، في قصيدة واحدة ٠

من ذلك يظهر ان اعتماد السيدة المؤلفة على قول العروضيين الذين تعرضوا للبند : انه لا يكون الا من الهزج وحده ، يعوزه الكثير من الدقة ، في مثل هذا البحث التأسيسي لعروض جديد !!

٢ ـ زيادة السبب الخفيف :

قلت ان السيدة الملائكة اعتمدت على رأي من يقول بزيادة سبب خفيف في أول البند ، ووجدت بعض النماذج ومنها بند ابن الخلفة المذكور وفيه هذه الزيادة ، فانكرتها ، مدعية بان الشعر العربي لم يعرف هذه الزيادة ، ومن أجل ذلك اكتشفت خطتها لعروض البند ، وسوف يكون نقاشنا معها من عدة جهات :

١ ـ ان هذه الزيادة الموجودة في بعض البنود ليست شرطا ـ كما ذكرت ـ وان اصبحت (تقليدا) شايعا ذلك لان كثيرا من النماذج البندية

ليست فيها زيادة ، فهناك البنود الرملية لعلي باليل التي سبقت الاشارة اليها .. وبين يدي الآن من بنود (الهزج) سبعون بندا في مجموعة الاستاذ الدجيلي ، منها أربعة وثلاثون بزيادة سبب ، وستة وثلاثون بلا زيادة . ومن جملة بنود الهزج هذه بند لابن الخلفة نفسه يفتتحه من دون زيادة سبب خفيف :

أيا مرتقيا سرج جواد من جياد الخيل طماح
رباعيا من الضمر في غرته النجم اذا لاح

على ان هناك من يروي بنده المشهور ـ كاليعقوبي في البابليات ٥٢/٣ ـ على الصورة التي اثبتها الاستاذ الهلالي بلا زيادة سبب :

ألا يا ايها اللائم في الحب
دع اللوم عن الصب

٢ ـ القول بان الشعر العربي لم يعرف هذه الزيادة في وزن الشطر أو البيت ، قول يعوزه القصد ، فقد نص العروضيون على (علة) من علل الزيادة تسمى (الخزم) ـ وهي زيادة ما دون خمسة احرف في صدر البيت ـ ولكنها جارية مجرى الزحاف في عدم اللزوم ، قال في (ميزان الشاعر ٣٩) : وقد وقع الخزم في شعر العرب ندورا وقيل كثيرا ، ويجوز استعماله للمولدين وقيل لا يجوز » ثم يضرب له امثلة .

ومن أمثلته في زيادة السبب قول الشاعر من الكامل :

(يا) مطر بن ناجية بن سامة انني أجفى وتغلق دوني الابواب

ومن اشهر امثلته ما ينسب للامام علي عليه السلام من الهزج :

(اشدد) حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت اذا حل بناديكا

وقد علق عليه المبرد في (الكامل) ـ ١٣٨/٢ ـ بقوله : (والشعر انما يصح بان تحذف اشدد ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به في الوزن ، ويحذفون من الوزن علما بان المخاطب يعلم ما يزيدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد ، فاظهره ولم يعتد به » .

٣ ـ واذا كان العروضيون قد نصوا على جواز الخزم ، وعلى وجوده في شعر العرب ـ قليلا كان أم كثيرا ـ فقد سهل علينا مناقشة الخطة المفترضة لعروض البند وذلك :

(آ) ـ لاننا اذا تمشينا مع فكرة المؤلفة واردنا تقطيع أي بند ، تعذر علينا الوقوف فيه على شطر متعارف الطول ، وهذا المثال من بند ابن الخلفة على فرض انه يبدأ بالرمل (فاعلاتن فاعلاتن) :

ايهـا الـــلا   نم في الحب   ب دع اللو   م عن الصب   ب فلو كـن   ت ترى الحا   جبي الـزج
ج فويق ال   اعيـن الدعـ   ج او الخد   د الشـقيقي   ي او الريـ   ـق الرحيقي   ي او القـد
د الرشـيقي   ي الذي قـد   شـابه الغصـ   ـن اعتـدالا   وانعطافـــا

وقد بلغ طول هذا الشطر تسعة عشرة تفعيلة حتى وصل الى كلمة تصلح للوقوف هي (انعطافا) واكثر منه طولا (الشطر !!) الذي يليه · ولـكننا لو استثنينا الخزم ، وهو هنا سبب خفيف ، ومشينا على تفاعيل الهزج (مفاعيلن مفاعيلن) لاستطعنا الوقوف على أكثر من شطر :

(أي)	يهـــا اللائـ	م في الحـــب	
	دع اللـــوم	عـــن الصب	
	فلـــو كنـت	ترى الحـاجـ	ـبي الزج
	فـــويق الاعـ	ـين الدعـــج	
	او الخـــدالـ	ـشقيقـــــي	
	او الريـق الـ	ـرحيقـــــي	
	او القـــد الـ	ـرشيقـــــي	
	الذي قـد شا	به الغصن اعـ	تدالا وانـ عطافا

ومن الطبيعي ان يكون هذا التقطيع اقرب الى روح الشعر وموسيقاه ·

(ب) ــ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه اذا جاز ان يتجاوز الشطر الواحد هذا المقدار من التفعيلات دون توقف فان الخطة المذكورة تتهـدم تلقائيا ، وتصبح القطعة التي ادعي ان الشاعر تنقل فيها بين البحرين على خطة مرسومة ، انما هي من بحر واحد فقط هو الهزج ·

فالسيدة الملائكة اختارت القطعة التالية من بند ابن الخلفة ، وقسمتها الى اشطر مع الاشارة الى عدد تفعيلاتها :

فكم قد هذب الحب بليدا   ٣
فغدا في مسلك الاداب والفضل رشيدا   ٤
صه فما بالك اصبحت غليظ الطبع لا تعرف شوقا   ٥
لا ولا تظهر توقا   ٢
لا ولا شمت بلحظيك سنا البرق اللموعي الذي اومض من جانب اطلال خليط عنك قد بان   ٩
وقد عرس في سفح ربى البان   ٣

فوجدت ــ وهي على حق ــ ان الشاعر بدأ بالهزج ولـكنه ختم الشطر الاول بالضرب (فعولن) لينتقل الى الرمل في الاشطر التي تليه حتى وصل الى الشـطر الخامس فختمه بالضرب (فاعلاتان) ليرجع الى الهزج مرة اخـرى ·

ولـكن ــ مع افتراض ان يطول الشطر الواحد هذا الطول الثابي كما تقدم ــ فان هاتين التفعيلتين الناشزتين (فعولن ، وفاعلاتن) تندكان في

طول الشطر وتتحولان الى تفعيلتين عاديتين من تفعيلات الهزج (مفاعيلن مفاعيلن). ولا يكون حينئذ موضوع للخطة المذكورة ، لان الابيات جرت حسب التقطيع الجديد على وزن الهزج وحده هكذا :

وكم قد هد	ذب الحسبي	بليسدا فـ	ـسقدا في مسـ	ـسلسك الادا	ب والفضـــل	رشيدا صـه
فما بسال	ك اصبحت	غليظ الطب	ع لا تعسر	ف شوقا لا	ولا تقطـــهـ	ـس توقا لا
ولا شـــمت	بلحظيـــك	سنا البرقا	ـسلموعي الـ	لـذي اوهـ	ض من جاذ	ب اطـــلال
خليط عـن	ك قــد بان	وقــد عـر	س في سفح	ربى البان		

٣ ـ مناقشة الخطة المفترضة لعروض البند :

هذا على اننا لو تجاوزنا كل الملاحظات السابقة ، وافترضنا سلامة ما توصلت اليه الناقدة الفاضلة من عروض البند ، فأن هذه الخطة المفترضة ـ في نفسها ـ لا تسلم لها حتى في القسم الثالث من البنود التي قلنا بانها تتذبذب بين بحري الرمل والهزج ، وهذا أكبر دليل على انها ليست (خطة عروضية) وانما هي اضطراب نشأ عن عدم وعي لمسؤولية العروض ٠

وتعالوا معي ندرس مقدار تثبت الشاعرة الناقدة من خطتها المحكمة ٠

تقول المؤلفة انه يجب على شاعر البند ان يبدأ بالرمل في عدة اشطر ، ولا ينتقل الى الهزج حتى يهيأ للانتقال بالضرب (فاعلاتان) ، وبعد ان يستمر في الهزج في عدة اشطر ، لا يعود الى الرمل الا بتهيأة العودة اليه بالضرب (فعولن) وهكذا ٠

ومن الطبيعي أن تكون هذه القاعدة التي وضعتها السيدة الملائكة للبند مطردة في البنود كلها ، أو البنود المضطربة التي وقفت عليها ـ على الاقل ـ ولكن حتى هذا القليل لم يخضع للقاعدة العتيدة ، فان شاعر البند قد ينتقل من الرمل الى الهزج بدون (فاعلاتان) ومن الهزج الى الرمل بدون (فعولن) ، وقد توجد هاتان التفعيلتان ولا يتحول الشاعر الى الوزن الآخر ، فاين قانونية ما ذكرته الشاعرة ؟؟

(آ) ـ فمن النوع الاول ـ الانتقال الى الوزن الآخر بدون تهيأة ـ قول ابن الخلفة نفسه في نفس البند الذي أجرت عليه التجربة ، وهو مستمر في الهزج :

ومرتج بردفين
عليها ركبا من ناصع البلور ساقين
وكعبين اديمين
صيغ فيهن من الفضة أقدام

وقد انتقل في الشطر الرابع الى الرمل دون توطئة (بفعولن) كما هو المعروض ٠ ومثله قوله في بنده الآخر (الرحلة الى بغداد) وقد انتقل في الشطر الثالث الى الرمل دون تهيأة :

وقف وقفة مبهوت
على دجلة وانظر قبة خضراء قد حل بها النعمان ذو القدر
فتحاماها وسلم

ومنه قول عبدالغفار الاخرس ، وقد انتقل من الرمل الى الهزج دون توطئة ب (فاعلاتان) :

ولقد طالت عليه حسراتي بعدما كانت قصارا
فهل يرجع ما فات وهيهات وهيهات

وكذلك قولــه :

اشبهت من وضح الصبح ضياء وبهاء!
وصفت حتى حكت ودي لسلمان صفاء!
كريم الاب والجـد

(ب) ـ ومن أمثلة النوع الثاني ـ عدم الانتقال الى الوزن الآخر مع وجود الضرب المفروض ـ قول ابن الخلفة ، وهو يستمر في الهزج ، مع وجود (فعولن) في آخر البيت الثالث :

فان جئت الى سوق الكمالات
باهليه المكتنى هو في (سوق الجديد) الشاهق المرشد من دون دلالات
حقيق ذاك ان يوصف في سوق (عكاظ)
بما قد حاز من كل فتى أمضى من السيف

وكذلك استمراره في الهزج مع وجود (فعولن) في آخر البيت الاول :

فان قال فلم يترك لذي قول (مقالا)
وان قلت فلن تترك من الخوف انتقالا

واستمر في الرمل مع وجود (فاعلاتان) في آخر الشطر الاول :

ما ابن عباد ـ وان جاد ـ وما في الشعر حسان
ما جريري المعاني
ما بديعي الزمان
ما أبو الطيب ، والطائي ، والصابي ، وقيس ، وابن هاني

كذلك فان عبدالغفار الاخرس ، لم ينتقل من الهزج مع وجود (فعولن) في قولــه :

وقد أورثني حبك من طرفك سقما وانكسارا
وقد أجج من وجدي سنا نور محياك ـ وايم الله ـ نارا

وفي قولــه :

وهل لي غيرك اليوم ملاذ حين لا القى ملاذا
اذا ما ضامني الضيم عياذا

وبعد فاظن ان في هذه الشواهد ـ وأمثالها كثير ـ ما يكفي لاقناع السيدة الملائكة بان الخطة المذكورة ليست خطة بمقدار ما هي تشويش واضطراب ٠

يؤيد ذلك ان هذا الضرب (فعولن) ورد بين ضروب كثير من بنود الهزج الصافي حتى عند الشعراء المرهفين أمثال الشيخ عبدالحسين صادق ، والسيد القزويني ، وليس الا من باب الجمع بين تشكيلات البحر المختلفة في قصيدة واحدة ، وهو شائع حتى في الشعر الحر ، وحتى عند السيدة الملائكة نفسها وبكثرة(٤) ٠

٤ ـ الخلط بين الاوزان في الشعر الحر :

ثم ان هذا الخلط بين وزنين ليس من خصائص البنود المضطربة فحسب ، بل قد وقع في الشعر الحر أيضا كالذي فعلته الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها (السكون المسحور)(٥) حين مزجت بين المتدارك والرمل ، وكالذي صنعه كاظم جواد في قصيدته (الشمس تشرق من المغرب)(٦) اذ تنقل الشاعر فيها أكثر من أربع مرات ، بين بحرين من نفس دائرة المجتلب هما الهزج والرجز ، وهذا نموذج منها :

ألم تلمح لواء الجبهة الحمراء خفاقا يحييك
ألم تسمع أجل انشودة التاريخ في المعبر والغاب
وفي الآفاق صوب الهيكل المصدوع حرى تطرق الباب
سنقتص سنقتص سنقتص
أتسمعين ضجة الرفاق من بعيد
دفاقة الاصداء كالينابيع الغزار
والريح في الابعاد تقفو خطوة الصدى
والنسر يرخي الجنح في ظهيرة الذرى

فهو في الاشطر الاربعة الاولى من هذه القطعة جار على الهزج (مفاعيلن مفاعيل) ولكنه خرج عنها في الاربعة التالية الى تفاعيل من الرجز المضطرب في تشكيلاته (مستفعلن مستفعلن) ٠

وهناك أمثلة أخرى وقفت عند بعضها السيدة الملائكة نفسها ، كقصيدة نذير عظمة من الهزج المخلوط بالرمل ، وقالت عنه ـ بناء على سلامة القاعدة التي وضعتها للبند ـ (من المؤسف ان ناظم هذا الشعر لا يدري انه يكتب بندا لا شعرا حرا ص١٧٩)

والواقع انها غالت كثيرا في اعطاء الاهمية لهذه الخطة المفترضة للبند ، فهي لم تكتف بعرضها كنظرية قابلة للنقد ، بل اعتبرتها قانونا ترجع اليه كل شعر حر اضطربت تفعيلاته ، والحقيقة ان قلة ارهاف الحس الموسيقي

عند بعض الشعراء يجعلهم يخلطون بين بعض الاوزان المتشابهة ، أو بعض التشكيلات المختلفة للبحر الواحد ، لا فرق في ذلك بين شعراء البند وشعراء الشعر الحر •

البند والشعر الحر

والخلاصة :ـ ان كلا من البند والشعر الحر جار على اساس التفعيلة الواحدة التي قد تتكرر في اشطره مرة أو مرتين أو أكثر حسب حاجة الشاعر ، وانهما في الواقع مصطلحين لفن واحد هو فن الالتزام باساس التفعيلة ، في مقابل الشطر المتحد الطول في الارجوزة ، أو الشطرين في البيت ، أو الدور في الموشحات • وقد سمي هذا الفن الواحد مرة (بالبند) وأخرى بالشعر المنطلق ، وثالثة بالشعر الحر •

وان هذه المحاولة من السيدة الملائكة للتفريق بينهما ، من ناحية القالب العروضي ، اعتمادا على بعض الانحرافات العروضية في بعض تجارب البند ، انما هي مغالطة لا تستند على أساس منطقي سليم ، لان الواقع لايخلو من أحد أمرين ، أما أن تكون هذه الاضطرابات ليست هي الخطة الاساسية لعروض البند ، فيكون البند هو الشعر الحر بنفسه ، وأما ان تكون هي البند ولا بند سواها ، فتكون بنود باليل الحسيني والسيد الحائري وامثالهما من البنود الصافية ـ هزجية أو رملية ـ شعرا حرا خالصا ، واذن فكل ماحدث من ضجة حول حركة الشعر وانها حركة جديدة نشأت على يد السيدة الملائكة ، أو بدر السياب ، أو خليل شيبوب ، زوبعة لا واقع لها •

وكلا هذين الواقعين لا يرضي السيدة المؤلفة فيما اعتقد ، وان ارضى تاريخ الادب الحديث •

نعم هناك فرق واحد بين الشعر الحر والبند ـ بالاضافة الى فروق المضامين بينهما ـ هو ان البند اقتصر في تجاربه على بحري الرمل والهزج وترك لوليده الشعر الحر ان يكتب فيهما وفي البحور الستة الاخرى ذات التفعيلات الواحدة •

---

(١) مجلة النجف ع ١ و٢ س ١

(٢) معادن الجواهر ٣/٥٨٦

(٣) أنيس الخاطر ٣/٢٤١

(٤) براجع مقال (رأي في الشعر الحر : حول قضايا الشعر المعاصر) مجلة النجف ٨ و٩ السنة الخامسة لصاحب المقال •

(٥) الآداب السنة الاولى

(٦) العدد الشعري من الآداب السنة الثالثة

النتاج الجديد

في الاشتراكية

كتاب للدكتور نوري الحافظ

بقلم الدكتور : جميل سعيد

بحث وضعه الصديق الاستاذ الدكتور نوري الحافظ مدير التعليم العام في وزارة التربية ، وبين انه : « دراسة متواضعة لموضوع شائك ، اعدت لمجلة المعرفة الغراء ، وبطلب منها ؛ وهي المجلة المرموقة التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق الخالدة » •

وقد نشرها فصولا في المجلة ثم رأى ضمها بكتيب صغير طبعته مطبعة المعارف ببغداد • وبين أنه حاول ان يتجرد من نزعته الخاصة في الميل الى الاشتراكية او الميل عليها ، ووعد القارىء بانه سيعرض اراء المؤيدين وآراء المعارضين عرضا هادئا ، يقف منه موقف القاضي من خصمين يدلي كل منهما بحجته ، بأوضح ما يستطيع وبأقوى ما يستطيع • قال في مقدمته : « ولا أراني بحاجة لان اؤكد مرة اخرى ، على الرغم من آرائي الخاصة بأن هذه الدراسة علمية بحتة ، توخيت من ورائها البحث العلمي الرصين والدراسة الموضوعية الهادئة ، ليتبصر القارىء العربي بما لهذه الفلسفة من مميزات وما عليها من مآخذ وانتقادات ليصبح الحكم العادل والمقرر الامين ، دون ان تفرض عليه الآراء والمعتقدات فرضا •• »

والكتاب ، كتب فصولا متفرقة كما أشار اليها الكاتب ، وكتب في فترات غير متقاربة • ومعلوم ان الموضوع يكتب لينشر فصولا متفرقة غيره يكتب ليكون مجموعا في كتاب وان الكاتب في الكتاب يسلسل بحثه بحيث يجعل كل فصل منه مستندا او معتمدا على الفصل السابق له أو الفصول السابقة • والامر يكون على غير هذه الحالة حين يكتب لينشر فصولا ؛ ان الواجب في كل فصل منها أن يكون مستقلا بنفسه عن الفصول السابقة له ، وان ارتبط بغيره فيكون ارتباطه بقدر •

ويبدو لي ان الصديق الكاتب ، بعد ان قرأ فصوله مجموعة في كتاب ، واستمع الى حجج الفريقين التي أوردها ، يبدو لي انه خشي أن يقف بعض الناس منه موقف ابن قتيبة من الجاحظ رحمهما الله . اورد الجاحظ حجج المسلمين وحجج النصارى ، وجعل منهما خصمين متناظرين، وحاول ان يكون حكما عدلا بينهما ، ولكن ابن قتيبة اتهمه ، ورآه : « يذكر حجج النصارى على المسلمين بأقوى مما يذكر الرد عليهم .. »

أقول كأنه خشي ان يقف منه بعض قرائه ، موقف ابن قتيبة من الجاحظ ، فرأى ازالة لما عسى يكون من لبس ان يحدد موقفه من الطرفين المتخاصمين او المتناظرين في بحثه ، فقال : « اعود لاحدد رأيي في هذا الصدد : وهو انني في الواقع اؤمن بعدالة الفلسفة الاشتراكية الاقتصادية والاجتماعية ، وأعتقد انها الملاذ الحصين الذي سيقينا غلواء الفلسفات الثورية الوافدة ، وشرورها ، وستحمينا من الفورات والانتفاضات الداخلية بسبب التناقض الاجتماعي الموروث » قال هذا ، وما فطن الى انه ـ بقوله هذا ـ افسد جانب الحياد الذي وعد قراءه بالتزامه في بحثه .

أما آراء الكتاب فاني لا أود أن أفيض في الحديث عنها ولا أن الخص حجج الرأسماليين وحجج الاشتراكيين ، لاني أود أن يعود القارىء بنفسه الى الكتاب من ناحية ، ولاني لا ارى التلخيص في هذا الامر يغني غناء الاصل .

ولا يفوتني ان أقول ان الكتاب اعجبني بأسلوبه العلمي الواضح ، الذي سهلت عبارته . وكنت اود لو خلا من بعض اخطاء لغوية او نحوية وقعت فيه . وما اشك ان السرعة هي التي قادت اليها ، من هذه الهنات السريعة عبارته الطريفة : « .. واذا فتقوية هذه الروابط ودعم ذلك الاتصال حتى يصبحان متلازمان متماسكان .. » وكنت أود لو جعلهما متلازمين متماسكين » .

وبعد ، فالكتاب كتب فصولا متفرقة ، جمعت في كتيب ، واني لارجو ان يجد هذا الكتيب التشجيع من قرائنا في عهدنا الاشتراكي ، الذي ارجو ان يظل زاهرا ، كما أرجو أن يجد صديقنا الدكتور نوري الوقت الذي يمكنه من اعادة طبعه من جديد ، فيلائم بين فصوله ويوسعها ويجعلها تترابط بحيث يشد بعضها ازر بعض ، وهذا ما نرجوه له في القريب ان شاء الله .

شعر المخضرمين
وأثر الاسلام فيه

تأليف : الاستاذ يحيى الجبوري

بقلم : ثابت الراوي

لقد تناول هذا الكتاب الجامعي عصرا مهما من العصور الاسلامية ، ذلك هو عصر صدر الاسلام . ولا يخفى ما لهذا العصر من مكانة مقدسة في نفوس العرب والمسلمين وما له من اهمية كبيرة في التاريخ والادب وحياة المسلمين ، واذا كان ظاهر البحث هو دراسة الشعر ، ففي الحقيقة ان الكتاب قد عني عناية كبيرة بالاحداث التاريخية وظروف العصر وطبيعة اهله ولذلك فهو مرجع تاريخي الى كونه مرجعا ادبيا .

والمخضرمون مجموعة كبيرة من الشعراء عاشت في الجاهلية وادركت الاسلام وكان للاسلام فيهم اثر كبير ، واذا كان القليلون من شعراء المخضرمين معروفين مشهورين ، فان الكثرة الكاثرة لم يعرفوا ولم يعرف شعرهم الا من خلال هذه الدراسة ، ولعل المؤلف اراد بدراسته هذه الواسعة الشاملة ان تكون سجلا لشعر الفترة وشعرائها ، فاذا كنا نعرف من شعراء العصر حسان بن ثابت وكعب بن زهير والحطيئة ولبيدا ، فان اكثر شعراء المدينة وكل شعراء مكة والطائف واليهود وكذلك أكثر شعراء البادية في هذا العصر في حكم المجهولين ، وأكثر هؤلاء الشعراء له شعر جيد وله أثر عظيم في حياة المسلمين .

الكتاب ضخم كبير فقد جاوزت صفحاته الاربعمائة وخمسين صفحة غير المقدمات وقد تصدر الكتاب تقديم جليل القيمة للاستاذ الكبير الدكتور طه الحاجري استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة الاسكندرية ، حيث تكلم عن تاريخ الادب ومكانته في الدراسات الجامعية وتطور دراسة هذا الضرب من التاليف ، ثم عرض لعصر المخضرمين وأشار الى المشاكل التي تعترض الدارس والعبء الثقيل الذي يكابده من يتعرض لهذه الدراسة ، ومكانة الكتاب هذا في الدراسات العلمية وفي تاريخ الادب ، ثم تحدث عن الاستاذ يحيى

الجبوري مؤلف الكتاب فذكر بعضا من شمائله المعروفة من التواضع والطموح ، وشخصيته العلمية ومكانته بين الباحثين • ومن غير شك ان الاستاذ الجبوري من الشباب المثقف المتطلع والمنتج الدؤوب ، فقد اخرج قبل هذا كتابين نفيسين : الاول دراسته عن الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة العامري والثاني كتاب (الاسلام والشعر) هذا غير مقالاته الموزونة في المجلات العلمية والادبية •

واريد بعد هذا ان اقول كلمة سريعة في الكتاب ، وقبل ان امضي اود ان اذكر ان ليس هناك من اثر مهما بلغ من الجودة والاتقان يعجب الناس جميعا ، وليس هناك كتاب بلغ الكمال خلا كتاب الله جل شأنه ، وعليه فلا بد من أختلاف وجهات النظر وتضارب الاذواق ، ولذلك سأقف عند بعض الامور التي ارى فيها رأيا آخر •

لقد درس المؤلف عصر المخضرمين وطبيعة ذلك العصر وقارن بين حياة العرب في الجاهلية والاسلام ، ولاحظ المثل والتعاليم الجاهلية وقارنها بمثل وتعاليم الاسلام مستفيدا من اوجه الشبه أو الخلاف ، وما أثر في نفوس العرب آنذاك وركز أهتمامه على دراسة الحجاز ومجتمع مكة بصورة خاصة باعتباره المجتمع الذي ظهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجتمع المؤمنين الاوائل ، وكذلك بيئة اعداء الاسلام من قريش الذين ناصبوا المسلمين العداء طيلة السنوات الاولى من عمر الدعوة الاسلامية حتى الفتح • والحقيقة ان دراسة العصر كانت وافية بالغرض وقد اعطت فكرة واضحة عن العصر وطبيعته وقد أستغرقت من الكتاب ستا وخمسين صفحة ، والذى آخذه على المؤلف ان كل عنايته كانت متجهة الى مجتمع الحجاز في الوقت الذى لم يولى المجتمعات الاخرى في نجد واليمن والعراق كبير عناية •

لقد قسم المؤلف الكتاب الى تمهيد درس فيه العصر وظروف الشعر فيه والى أربعة أبواب ولواحق ، ففي الباب الاول درس شعر المسلمين : شعر الانصار في المدينة وشعر المهاجرين الى الحبشة أو الى المدينة من القرشيين وكذلك شعر النساء المسلمات اللواتي قلن الشعر في شتى المناسبات الاسلامية ، وفي هذا الباب يظهر أثر الاسلام في شعر الشعراء أبرز منه عند الشعراء الآخرين ، وشعراء المدينة هم الذين وقفوا يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه ويمثلون الدعوة الاسلامية أصدق تمثيل ووقفوا يناقضون شعراء المشركين ، وقد ترجم المؤلف لأبرز شعراء المسلمين وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وقد أهتم بدراسة الجانب الاسلامي من شعر هؤلاء ، والحقيقة انني أرى ان المؤلف الفاضل لو خصص جهدا اكثر لشعراء المسلمين فألقى الضوء على حياتهم قبل الاسلام ايضا ، واذا كان حسان بن ثابت من الشعراء الكبار المعروفين فأن الشاعرين الآخرين لم يعرفا لدى جمهور الادباء والمتأدبين ،

ولاسيما وان أهم شعر العصر الاسلامي يتركز عند هؤلاء الشعراء ، أما شعر النساء المسلمات فقد كنت أوثر لو درسه مع شعر النساء المشركات ووضع فصلا قائما بذاته ذلك هو شعر النساء بصرف النظر عن كونهن مسلمات او مشركات .

وحين تناول الاستاذ الجبوري موضوع الباب الثاني ، درس فيه ثلاث بيئات في كل منها مجموعة من الشعراء ، وسمى هذا الباب (شعر المعارضة في مكة والطائف والقرى اليهودية) وشعر هذا الباب كله جديد على ذهن القارىء ، فاذا استثنينا شعر امية بن ابي الصلت في الطائف والذي عرف بالدين والتوحيد في العصر الجاهلي ، وشعر ابي محجن الثقفي الذي له ديوان مطبوع وأشتهر بشرب الخمر ، فان مجموعة كبيرة من الشعراء الذين تجهل أمرهم عرض الاستاذ المؤلف حياتهم وشعرهم وبين موقفهم من الاسلام ومن اولئك عبدالله بن الزبعري وضرار بن الخطاب وابو سفيان بن الحارث والحارث بن هشام ومن اليهود كعب بن الاشرف وسماك اليهودي واوس بن دنى القرظي وغيرهم كثير . هذا فضلا عن شاعرات مكة المشركات اللواتي شاركن في الحروب ضد المسلمين وقلن الشعر في تحريض الجنود ودفع المقاتلين الى القتال . ولقد حرص المؤلف أن يعرف بالشعراء الذين لم تعرف حياتهم أو شعرهم ويهدى الى مصادر دراستهم وهو أذ يفعل هذا يمهد الطريق ويرسم الدرب للدارسين والباحثين . وقد وقفت في هذا الباب عند الفصل الذي كتبه عن اليهود وشعرهم ومواقفهم من الاسلام والمسلمين ، وقفت معجبا لبراعة المؤلف في تحليل نفسية اخبارهم وتصوير ما كانوا عليه من خبث وخداع ، هذا مع تمسك المؤلف بالنهج العلمي الذي لا يفسده الحماس فقد ساق كل حججه واستنبط كل آرائه من روح ذلك العصر وسند كل رأى الى دليل واضح ونص صريح ، ولا يترك فصلا من الفصول أو بابا من الابواب الا بعد أن يشبعه بحثا ويوفيه حقه ويجيب على ما يثار أو قد يثار من تساؤل .

وحين فرغ من دراسة ادب المدن والقرى العربية وموقفها من الاسلام ومدى تأثر الشعر بالدين الاسلامي ، فانه ينتقل الى بيئة أخرى غير متحضرة تلك هي بيئة الاعراب في البادية . وقد استقصى المؤلف كل شعر البادية ثم أستخرج منه ما كان للاسلام فيه من أثر ، والظاهر ان شعر البادية برز في الحياة الاسلامية بعد القضاء على المشركين في مكة ونصر الله المسلمين بالفتح ، فجاءت وفود القبائل العربية لتعلن ولاءها ، فمنها من يسلم ويحسن اسلامه ومنها من يقيم على الكفر والنفاق ، وقد تناول هنا عددا كبيرا من شعراء البادية منهم من كان اثر الاسلام في شعرهم كبيرا واضحا ومنهم من كان الاثر عندهم ضعيفا خفيفا وقد عرفنا من شعراء البادية في هذا العصر العباس بن مرداس وكعب بن زهير والنابغة الجعدي ولبيد العامري وبجير بن زهير وجزء بن ضرار وعبدة بن الطبيب وغيرهم .

لقد كانت العناية متجهة في الابواب الثلاثة الاولى الى دراسة بينات الشعر الاسلامي ومدى ظهور أثر الاسلام فيها ، أما في الباب الرابع فأنه درس تطور حركة الشعر الاسلامي ومواكبتها للمعارك والاحداث الاسلامية في عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين وقد سماه المؤلف (شعر المخضرمين ومبلغ تصويره للاحداث الاسلامية) ولعل القسم الخاص بالمعارك الاسلامية في بدر واحد والخندق ، كان من أبرع ما كتبه الاستاذ الجبوري حيث صور الصراع بين المسلمين والمشركين واستنطق الشعر في تصويره لتلك المعارك وقارن ذلك بما نزل من آيات الله الكريمة في تلك المعارك ، وبين مدى افادة الشعراء من القرآن الكريم في وصف احوال المسلمين وأحوال المشركين ، كما رصد تطور الشعر الاسلامي منذ الهجرة حتى معركة حنين ، واذا ما وقفنا عند شعر الرثاء الذي قيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك القارىء الا ان يلزم الحزن وتنحدر من عينيه الدموع من شجى ذلك الشعر ، ولا أدري لماذا لم يرض المؤلف عن ذلك الشعر ووصفه بأنه ضعيف بارد لم يقم بالمهمة المطلوبة ، في الوقت الذي أحس ان الحزن العميق واللوعة الشديدة تأخذ بخناق حسان وكعب بن مالك وعبدالله بن انيس .

وفي عهد الخلفاء الراشدين يدرس المؤلف الشعر في عصر كل خليفة ويرصد ما فيها من أحداث وكيف مثلها الشعر وصورها الشعراء ، وتتضح في هذا الفصل ظاهرتان جديدتان : الاولى تصوير الشعر لحركة الردة ولنفسية المرتدين ، والثانية حركة الفتوح الاسلامية كما وصفها الشعر حيث جلا صورتها وحكى أحداثها . وقد استطاع الشعر في هذه الفترة أن يدل على الاحداث التاريخية ويرصدها بدقة وتفصيل ، ويستطيع المؤرخ لهذا العصر ان يستدل من خلال الشعر على كثير من جوانب الحياة في عصر الراشدين تلك الجوانب التي كثيراً ما يغفل عنها مدونو التاريخ ورواة الاخبار .

لقد جهد المؤلف ان يبلغ الكمال في كتابه هذا فقد عمل فهارس علمية وافية للاعلام والآيات والاحاديث والاماكن والاقوام والاشعار والموضوعات والكتب ولاشك ان الجهد الذي بذل في سبيل اخراج الكتاب بصورته العلمية والفنية لا يقل عن الجهد الذي بذل في تأليفه ، وقد أصبحت الفهارس المفصلة في الكتب العلمية والجامعية ضرورة لابد منها .

وان هذه الدراسة الدقيقة باسلوبها الجميل وبنتائجها الجديدة وبسعتها وضخامتها وعمقها قد سدت فراغا ملحوظا في دراسة الادب العربي وفي عصر النبوة بالذات فأسأل الله العلي القدير ان يوفق الاستاذ ابا الفرات ويسدد خطاه على ما ينفق من جهد صادق في سبيل خدمة التراث العربي المجيد .

سنابل راعوث

شعر : شفيق معلوف ـ ٣٤٦ صفحة ـ منشورات مجلة شعر ـ بيروت

عرض وتحليل
ماجد صالح السامرائي

شفيق معلوف ، واحد من كوكبةشعراء حاولوا تطويرالقصيدة العربية تطويرا يناسب روح العصر ، فأخرجوها مما كانت تدور فيه من أغراض تقليدية ، وأطر قديمة ، ونفحوا فيها الشعر ، استطاع ان يجدد في مضامينه الشعرية ، وفي ادائه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فخرج بشعره من جمود السلفية والاتباع ، مستبدلا الصور النقلية المباشرة بصور تعيش في احساسنا ، في وجداننا ، ونحسها في اعماقنا ·· نشعر بها بشكل مجسد·· ولعل أهم ما يميز شعره عن شعر أخوانه من شعراء العربية المعاصرين ، مادته التصويرية ، التي هي مقياس شاعريته اذا أردنا قياسها ·

و (سنابل راعوث) واحد من بين عدد كبير من الدواوين التي صدر لهذا الشاعر في فترات متعاقبة ·

يضم هذا الديوان قصائد مختارة من شعره مما ضمته دواوينه السابقة ··· وان لم يكن ما ضمه هذا الديوان من أرق شعره وأصفاه ، فانه من أعذبه ··· ففي كلماته طاقة تتفجر ، وزخم دافيء ، ونغم رقيق شجي ، وموسيقى هادئة تتوزع برتابة ··· انه يبعث عن تأمل عميق ، ورهافة في الحس لا تداني ·

وشعر هذا الديوان ، ليس من ذلك النوع (الاكاديمي) الذي يحمل الصور الجامدة ، ويعني بالفخامة والديباجة والتزويق اللفظي والمحسنات البديعية ، أو ترين عليه (السلفية) بما تحمله من جمود وانغلاق وافق محدود ، وروح صاخبة مجلجلة ··· كما انه ليس شعرا حديثا مرسلا يغرق في الرموز والاشارات ، ويهتم بالتلميح اكثر من الابانة ·

انه تأمل عميق ، وصور بارعة رائعة ، ومشاعر نقية صافية ، وأخيلة شفافة رقيقة ، وأحاسيس غضة كالورد ···

فجل قصائد الديوان تعيش في أجواء مألوفة ·· في عالمنا ·· ولكنها تستمد غناها الشعري من لمحات موحية ، في لفظ رشيق ، وكلمات ناعمة طرية ، وصور مكثفة ··· الصورة في شعره ذكية بارعة ، لا تحدها أبعاد ، ولا يحصرها شكل محدود ·· فشعره التصويري يتماوج بشكل خطوط تبدو للعيان ، ولكنها ليست خطوطا هلامية ، انما يرفدها الانسجام ، وتكتنفها عناصر الفن الاصيل الرائع ، والجمال البديع ، ويوشحها الخيال الجميل الذي لا يبتعد عن عالمنا ·

ولشفيق موهبة خارقة تتعمق الاشياء ، وتنفذ الى جوهرها ··· وهو بعد ذلك ذو حاسة مرهفة ، وخيال مجنح ، ومخيلة خصبة ··· في شعره أفكار وصور تحمل معها طابع الطرافة والروعة ، وفيها رؤيا عميقة وقوية مؤثرة ·

فمن قصيدة (زهرة في صخرة) قوله :

حلمت بزهرتها القديمة صخرة	حنت الى عهد التراب الفائت
فتفتقت آمالها عن زهرة	بيضاء لم تك غير حلم نابت
ينشق عنها الصخر وهي كأنها	حسي تململ في ذراعي مائت
أنا لست الا ومضة الذكرى على	تقطيبة الصخر الكئيب الصامت

وليس أدل على ما ذهبنا اليه من هذه الصور البارعة ···

وفي قصيدة (الشاعر) تصوير فني، وصورحية تنطق بجمال بارع·· وأغلب الظن ان الابيات التي تأتي هي في وصف شقيقه المرحوم (فوزي) رغم ان القصيدة مهداة للشاعر القروي · وفيها يقول :

تالله كم شاعر أخو حرق	يغص بالدمع وهو يبتسم
اذا رأى الشمس وهي غاربة	أدرك كيف الآمال تختتم
شم على الزهرة الاسى ووعى	ما قالت الكأس وهي تنحطم

وفي قصيدة « الراعي » تصوير دقيق لما يحتبس في نفس ذلك الراعي من مشاعر ، وما يداخله من أحاسيس ، وقد خانته حبيبته لتتمرغ في أحضان سواه ·· فيقول :-

أين التي أترعت فمي قبلا	وهي على ساعدي تضطرب
قبلتها البكر من فمي سرقت	وقلبها من يدي مغتصب
فهل تراها بعد الذي وهبت	أبقت لغيري في الحب ما تهب ؟

وبعد ان يميل الى نايه ، يسقيه من جرح قلبه ، وينفخ فيه آهات صدره :

كأنما الجرح جرح مهجته	كان على نايه له ثقب
فالناي لا يأتلي على فمه	يعب من قلبه وينتحب ···

ان نفس هذا الشاعر تواقة الى الجمال ، تتعشق فيه المفاتن ، وتهفو الى السحر حيث يكمن ، والروعة حيث توجد ··· في شعره دفء وحرارة ، وهمس وبوح ، وخيال جامح مبدع ·· وللشاعر ريشة فنانة تعطي لكل صورة لونها وظلالها ·

ففي قصيدة « ساعي البريد » نغم عذب جميل ، وعبارة صافية رقيقة شفافة ·· يصور فيها خلجات نفس ، وأحاسيس قلب ، وحنين أم شفها الوجد مشتاقة الى فلذة كبدها :

بـدا فهـز عقـود الغيـد مقدمـه هز النسيم لحبــات العناقيد
كم قبلة من فم العشاق يحملهــا الى يديه ويهديهــا الى الغيــد

* * *

يا ساعيا بابتســامات توزعهــا على الشفـاه بـلا من وتـرديد
كم وجه أم عجوز ان برزت لـه لم تبـق من أثـر فيـه لتجعيـد
تلقى اليها كتابا ان يصب يدهـا شدته باليـد بين النحر والجيـد
كأن كـل غـلاف منـك ملتحف لأبن الى صدر تلك الام مردود

وأخيرا ٠٠ هذا التبرير لسبب هجرته ، في قصيدته ٠٠ « في ذمة الزمان » :

بلـد تأنف الصــوادح فيــــه أن يساكن في الخراب الغرابا ٠٠٠

* * *

هذا هو شفيق معلوف في شعره ، روح متجددة طالعة ، ونفس نزاعة الى الحياة وما فيها من مسرات ، ونفس شرقي عربي لم تبدل منه طبيعة الغرب وبيئته الصخابة التى عاش فيها الشاعر ، فظل الهدوء والانسيابية ، والنغمة التى تنساب بدفء من أهم مميزات شعره الذى تلتقى عنده الاصالة، ويكمن فيه الابداع وتوءسره نغمة ظلت مشدود للشرق ٠٠ بهدوئه وصفائه ، وبروحه الطالعة ٠٠

فى الديوان روءيا معمقة ، وتجارب حية أصيلة ، تخطى بها حدود الكلاسيكية التى ظلت أمدا طويلا تنشد الى القصيدة العربيـة ، تغرقهـا برتابة وتبلد ، فتنسرب فى تجريدية وضحـالة ٠٠٠ أما شفيـق ، فانه استطاع ان يتخطى هذه العقبات ، وينطلق بمدرسة جديدة رغم محافظته على الاصل ، وقد كان نصيب شعره من التجديد كبيرا ، فجدد في المعاني ، وفى تحشيد الصور الحسية ٠٠ فكانت صورا حية نامية استطاع الشاعر أن يبنى بها جو قصائده وعالمها ٠٠٠ فانه ولا شك شاعر التعبير التصويرى، « شاعر الهمس والبوح ، شاعر البث والوشوشات »٠

وقد قال عنه الشاعر المرحوم (الياس ابو شبكة) : « للشاعر شفيق معلوف أطر وأشفقة مربوطة الاطراف بأسلاك سحرية »٠

ولست أجد ما أختتم به حديثى هذا ، الا قول أديبة البرازيل «انجال عون شليطا » التي قالت :

« ان شفيق معلوف هو كبرياء الشعر العربى فى المهجر ، وفى كـل قطر ترتفع فيه راية الادب ٠»

مخطوطة نادرة

لكتاب قديم في منازل «مكـــة»

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عثرت في المكتبة الرضوية بمدينة «مشهد» الايرانية عـلى مخطوط نفيس قيم يعنى بالحديث عن مكة المكرمة والطرق الموصلة اليها من جهـة المدينة المنورة والكوفة والبصرة وسائر الحواضر الاسلامية المشهورة يومذاك؛ مع تتبع بالغ ووصف دقيق لما تضمنته تلك الطرق من بواد وقفار؛ وبرك وآبار؛ وأبنية وقصور؛ وأميال وآثار؛ وزروع وعلامات بزيد، بحيث لـم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها. وبهذا كان الكتاب مثيرا للاعجاب جالبا للاهتمام قمينا بالبحث والدراسة والنشر.

وأهم ما يبعث على الأسف عند مطالعة هذه النسخة نقصانها من أولها بمقدار لا نستطيع تحديده؛ وان كان نزرا يسيرا على الأكثر، ولكنه ـ على قلته المحتملة ـ أفقدنا اسم هذا العالم الجغرافي المحقق فبقي مجهولا خلال هذه الأعوام المتمادية التي مرت على الكتاب وهو ناقص مبتور.

ثم أشكل الامر ثانية بواسطة المجلد الذي قدم وأخر بعض الاوراق أثناء التجليد فتداخل فيه الحديث عن هذا المكان بالحديث عن ذاك؛ فالتبست بعض مطالبه على أكثر مطالعيه.

والنسخة التي نحن بصددها قديمة النسخ كثيرة التصحيف والتحريف قليلة النقط، تتألف من ١١٦ ورقة بحجم ٢٣ × ١٨ سم، ورقمها العام في المكتبة ٥٧٥١، والواقف لها علامة عصره الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، وفي أولها ختم باسم «حسن بن علي بن عبد العالي» مؤرخ سنة ٩٥٧ هـ.

أما آخر الكتاب فتام، وجاء في ختامه ما نصه:

«تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه، والحمد لله حق حمـــده، وصلواته على خير خلقه سـيدنا محمـــد النبي وعترته الطاهرين وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

ثم ورد في ذيل الصفحة الاخيرة ما لفظه :

« من عواري الزمن على يد أضعف عباد الله .... في تاريخ غرة محرم الحرام سنة ٨٩٩ » وقد اعتدت يد جاهلة على هذا التملك فحكت اسم المالك فلم نعرفه .

وبالنظر الى أهمية موضوع الكتاب ونفاسة معلوماته فقد بذلت جهدا كبيرا في سبيل معرفة مؤلفه وفي تنظيم أوراقه حسب تسلسلها الواقعي ، فانكشف الغطاء ، واتضحت الحقيقة ، والحمد لله رب العالمين .

★

ان اول حقيقة تسوقنا اليها روايات الكتاب ان مؤلفه من رجال القرن الثالث الهجري ؛ لان كل الرواة الذين يروي عنهم المؤلف هم من أعلام هذا القرن ومشاهيره ، ونذكر في ادناه طائفة منهم على سبيل التمثيل :

١ ـ أحمد بن اسماعيل السهمي المدني ، ابو حذافة ، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٩هـ .

٢ ـ أحمد بن عبدالجبار العطاردي الكوفي ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٢هـ .

٣ ـ أحمد بن منصور بن سيار الرمادي ، ابو بكر ، المتوفى ببغداد سنة ٢٦٥هـ .

٤ ـ جعفر بن محمد بن شاكر الصايغ ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٩هـ .

٥ ـ الحرث بن محمد بن أبي اسامة التميمي البغدادي ، أبو محمد ، المتوفى ببغداد سنة ٢٨٢هـ .

٦ ـ الحسن بن مكرم بن حسان ، أبو علي ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٤هـ .

٧ ـ عبدالله بن عمرو بن عبدالرحمن بن بشر بن هلال ، أبو محمد الأنصاري الوراق البلخي ، المعروف بابن أبي سعد ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٤هـ . ويعبر عنه المؤلف تارة ب « عبدالله بن عمرو » وتارة ب « عبدالله بن أبي سعد » وأخرى ب « أبي محمد الوراق » .

٨ ـ عبدالملك بن محمد الرقاشي البصري ، ابو قلابة ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٦هـ .

٩ ـ محمد بن الجهم بن هارون السمري الكاتب النحوي ، أبو عبدالله ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٧هـ .

١٠ـ محمد بن خلف بن عبدالسلام الأعور المروزي ، أبو عبدالله ، المتوفى ببغداد سنة ٢٨١هـ .

١١ـ محمد بن عبدالله بن المبارك المخرمي الحافظ ، أبو جعفر ، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٤هـ .

١٢ـ محمد بن عبدالملك بن زنجويه البغدادي ، أبو بكر ، المتوفى ببغداد سنة ٢٥٨هـ .

١٣ـ محمد بن علي بن حمزة العلوي ، المتوفى سنة ٢٨٧هـ .

١٤ ـ محمد بن يزيد المبرد الثمالي ، المتوفى ببغداد سنة ٢٨٥هـ .

١٥ـ يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبدالله العلوي ، ابو الحسين ، المتوفى سنة ٢٧٧هـ(١) .

وهكذا يتضح من معرفة حال المذكورين في أعلاه ان الراوي عنهم من رجال المائة الثالثة بلا شك ، وانه ممن سكن بغداد فترة غير قصيرة ، استطاع خلالها أن يحضر مجالس عدد كبير من المحدثين والرواة فيتحدث معهم ويروي عنهم .

أما تعيين اسم المؤلف فقد بقي عندي مجهولا الى حين ، وعلى الرغم من ان صديقي الباحث الدكتور حسين علي محفوظ قد افترضه ابن الكوفي (٢٥٤ـ٣٤٨هـ) ورجح نسبة المخطوط اليه(٢) ، فاني لم أقتنع بذلك بل كنت قاطعا بأنه غيره ، لان مؤلف المخطوط يروي عن أشخاص لم يكن باستطاعة ابن الكوفي الرواية عنهم مشافهة كمحمد بن عبدالله المخرمي المتوفى سنة ولادة ابن الكوفي ٢٥٤هـ ومحمد بن عبدالملك بن زنجويه المتوفى سنة ٢٥٨هـ أي بعد ولادة ابن الكوفي بأربعة أعوام وأحمد بن اسماعيل السهمي المتوفى بعد ولادة ابن الكوفي بخمسة أعوام ٢٥٩هـ .

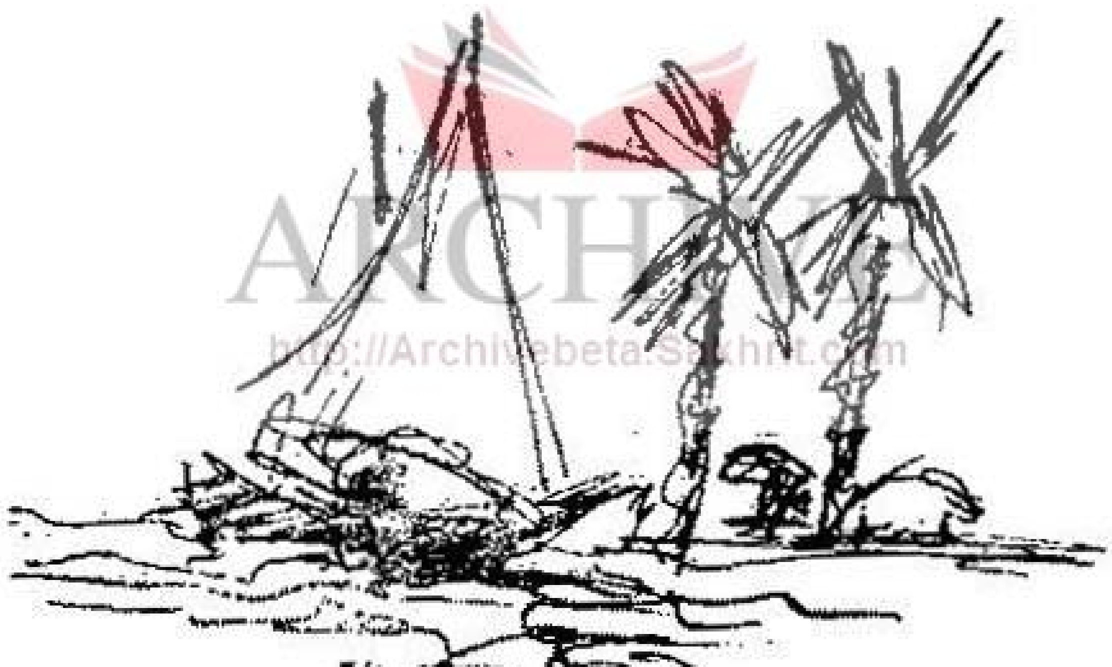
ثم اطلعت في أثناء كتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » للسمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ على نقول عن كتاب ـ لم يسمه ـ يعنى بذكر منازل مكة والطرق الموصلة اليها والمناسك التي ينتفع بها الحاج ، وذكر السمهودي ان هذا الكتاب تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد الأسدي(٣) ، كما ذكر ان هذا المؤلف من المتقدمين(٤) ، ويؤخذ من كلامه انه كان في المائة الثالثة(٥) . فرجح في ظني أن يكون هذا الأسدي ضالتي المنشودة وأن يكون المخطوط ـ موضوع البحث ـ هو كتابه الذي ينقل عنه السمهودي .

وبعد القيام بمقارنة النصوص التي وردت في « وفاء الوفا » منقولة عن كتاب الأسدي(٦) بما تضمنه المخطوط كانت النتيجة المؤكدة ان هذا المخطوط للأسدي ، وانه هو كتابه الذي كان يقطع كثير من الباحثين بفقدانه وضياعه .

والمستفاد من الكتب العربية الباحثة في الشؤون البلدانية ـ على كثرتها ووفرتها وفي طليعتها معجم البلدان ـ ان كتاب الأسدي كان نادر النسخة على مر القرون فلم يره هؤلاء المؤلفون ولم يطلعوا عليه ، ولذلك لم يذكروه ولم يشيروا اليه ، بل ربما يخيل لي ان النسخة التي وقف عليها السمهودي ونقل عنها هي بعينها هذه النسخة الفريدة الباقية الى اليوم ، من دون أن يكون لها ـ في الأمس واليوم ـ أخت ثانية في الدنيا مطلقا .

كذلك يستفاد من المصادر الضخمة الكثيرة التي عنيت بالتاريخ والتراجم ان أبا عبد الله الأسدي رجل مجهول الحال خامل الذكر غير معروف لأحد، ولذلك لم يذكر ولم يترجم على الرغم من علمه وفضله وسعة اطلاعه وغزارة معلوماته ٠

وعلى أي حال ، فهذا هو الأسدي وكتابه على وجه القطع واليقين ، وأرجو أن أوفق في الأعداد القادمة الى نشر النصوص التي وردت في مخطوطنا هذا وورد مثلها في نقول السمهودي عنه لتتجلى الحقيقة أكثر وأكثر ، فالى اللقاء ان شاء الله ٠



(١) إعتمدنا في ضبط أسماء هؤلاء الرواة وتعيين تواريخ وفاتهم على انباه الرواة وتاريخ بغداد وشذرات الذهب واللباب ووفاء الوفا ٠

(٢) مجلة كلية الآداب العراقية : ٣/١٩ ـ بغداد ١٩٦١م ـ ٠

(٣) وفاء الوفا : ١/٦٨ ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ـ ١٣٢٦هـ ـ

(٤) وفاء الوفا : ٢/٥٤ و٢٩٨ ٠

(٥) نفس المصدر : ٢/١٦٤ ٠

(٦) ساعدني كثيرا على ذلك مقال الدكتور صالح احمد العلي « المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي : ١١/١١٨ـ١٥٧ ٠

اسرار عطلتي (1)

My Holiday Secrets

للكاتب الانكليزى

جودفري ون

ترجمه وعلق عليه

الدكتور جميل سعيد

احسست احساسا غريبا وانا احدق في حارس الصحراء المحير . ترى اي رسالة سيوحيها ابو الهول اليك ؟!

جودفرى ون Godfrey Winn كاتب انكليزي شهير باحاديثه في التلفزيون ، وفي الاذاعة . وهو من اشهر كتاب المجلات في موضوعاته الممتعة . وهو يكتب تباعا في مجلة المرأة "Woman" الانكليزية . ويكتب عادة عما يراه ويتأثر به .

وقد قرأت مقاله هذا عن رحلة كانت له في مصر وعن استمتاعه برحلته هذه . وقد رأيت الكاتب مسحورا بابى الهول ، حتى لقد هممت ان اغير عنوان المقال فاجعله : « قال لى أبو الهول » لانه نسب نصائحه في مقاله هذا الى ابى الهول وجعلها اسرارا اوحى بها ابو الهول اليه .

لقد أحب الكاتب مصر وأهل مصر ، بحديثه هذا ، ومن ذا الذي يعيش في مصر ولا يحبها ؟

انني انقل لقراء مجلة الاقلام حديثه مترجما ، واعتذر للقارىء بأن اقول انني طرحت عبارات قليلة منه ، لانني رأيتها لا تهم القارىء العربي كثيرا ، وقد يكون بهاشيء للقراء الانكليز الذي كتب هذا المقال بهم .

يهمنا ان نسمع ما يقوله هؤلاء الغربيون عن بلدنا ، انهم ينظرون

---

(1) عن مجلة « المرأة » الانكليزية .

للامور غير النظرة التي ننظرها نحن · وقد نعيش مع الشيء سنين طويلة فنألفه ويصبح جزء من حياتنا لا ننتبه اليه ، حتى اذا رأوه ونبهونا انتبهنا وتعجبنا كيف بقينا ننظر هذا الامر كل هذه المدة من غير أن نراه على النحو الذي نبهونا اليه · واذكر بالمناسبة توضيحا لهذا ، ما حدثنا به استاذنا المرحوم أحمد أمين ، صاحب كتب فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام » ·

قال : قال لي احد المستشرقين : « امركم عجب ايها العرب ! تقولون ثلاثة اقلام ، وتقولون مائة قلم ، والف قلم · تجعلون لفظة « الاقلام » مجموعة مع العدد ثلاثة » ثم تجعلونها مفردة مع المائة ومع الالف ، وهم اضعاف مضاعفة لهذا العدد ؟ قال ـ يرحمه الله ـ : تحيرت لسوآله وقلت له على عجل ، وكأنني ظفرت بالجواب : « لقد اعتبر العرب « المائة » وحدة ، واعتبروا « الالف » وحدة ايضا ، ومن هنا جعلوا المعدود معهما مفردا ولم يجعلوهما جمعا · قال ؛ فرد علي الرجل هو يقول : « وماذا تفعلون في معدود الاعداد بين العشرة والعشرين ؟ » قال ـ رحمه الله ـ فسكت ·

اني انقل لقراء مجلة الاقلام حديث هذا الكاتب عن مصر ، وعن استمتاعه بالعطلة فيها ، ويسرني ان يشير الى معاملة العرب الحسنة لزوارهم من السياح · ان العراق قليل زواره للسياحة ، ومع هذا فبودي ان يطلع المعنيون بالسياحة على مقال الكاتب هذا ، وعساهم يستمتعون به ويستفيدون منه » ·

●

أأنت في اوج انفعالك تخطط لرحلة في عطلتك ؟! حالما اين ستكون في هذا الوقت ، او ذاك ، ربما في الاسبوع المقبل ، أو في الشهر المقبل ؟ أتراك تعد الايام الى أن تقفل في خاتمتها باب دارك وراءك ، وتطير بعدها على اجنحة الصباح الى حيث الزرقه ؟ انني لاتمنى ـ من صميم قلبي ـ ان توفق الى ذلك ؛ توفق الى رؤية السماء الزرقاء الصافية ، والى حرارة الشمس المشرقة · وارجو الا تحوم في سمائك سحابة واحدة من سحب الخيبة · هذا ما نعمت به في عطلتي التي بكرت بها هذا العام ، تلك العطلة التي اصر طبيبي على ان اترك لها كل ما بقي من جدول اعمالي ، وان اخف مسرعا اليها ·

اتستطيع ان تحزر ما فعلته ؟ لقد رحت ابحث عن شيء كنت ابدا في شوق لان ابصره ، على حقيقته ، اراه فأسرح بصري فيه ، واحدثه · انه ابو الهول !

وأي رسالة يمليها هذا العملاق الغريب ! انه يبدو جد بعيد عنك ، وهو مع ذلك يوحي اليك بما يملؤك مهابة وجلالا · انه يوحي اليك بما

يذكرك بأنه صارع الاعاصير وقهر الاحداث . وتراه ابدا في جدول جار من زائريه الذين اختلفت اسبابهم في المجييء اليه .

هذه زيارتي لابي الهول ، انها رحلة في عطلة ، بل هي حج ، قطعته بوعد لنفسي ، وقد بررت به آخر الامر وحققته .

في امسيتي الاولى في القاهرة ، فتحت شبابيك غرفتي في الفندق المطل على النيل ، ـ وليس بيننا من فاصل وبينه الا طريق المارة ـ وخطوت الى الشرفة ، فشعرت ان اتعاب رحلتي الطويلة كلها قد انزاحت عني ساعة مسني نسيم المساء العليل .

كان علي ان اسرع راجعا الى غرفتي ؛ لأهيىء نفسي للتجوال ، والاطلاع على معالم المدينة صباحا . وهممت ان افعل ، ولكن شعورا غريبا استحوذ علي . الم يكن هذا القمر ، هو القمر البدر الذي كان يرسل اشعته فتفضض سطح النيل الواسع العريض ، يرسلها الى حيث كانت كليوباترا ـ في يوم من الايام ـ يختال بها شراع مركبها فيه ؟ هذه هي الساعة التي كان علي ان اكون فيها على موعد . اما واني اشعر اني لم اعد « انطونيو » فعلي ان اخف مسرعا الى خارج المدينة ، الى حيث ارسل بصري محدقا بذلك الجبار الذي يحرس الصحراء . ان حاله في صورته ، حالة « موناليزا » في صورتها المشهورة في متحف « اللوفر » . تلك الصورة التي توحي برسالة خاصة الى كل ناظر اليها . كذلك شان ابي الهول .

يا للجبار ! انه منتصب هناك وسط رمال الزمن . انه ابدا في تغير وتبدل . ومع ذلك فهو هو في خلوده .

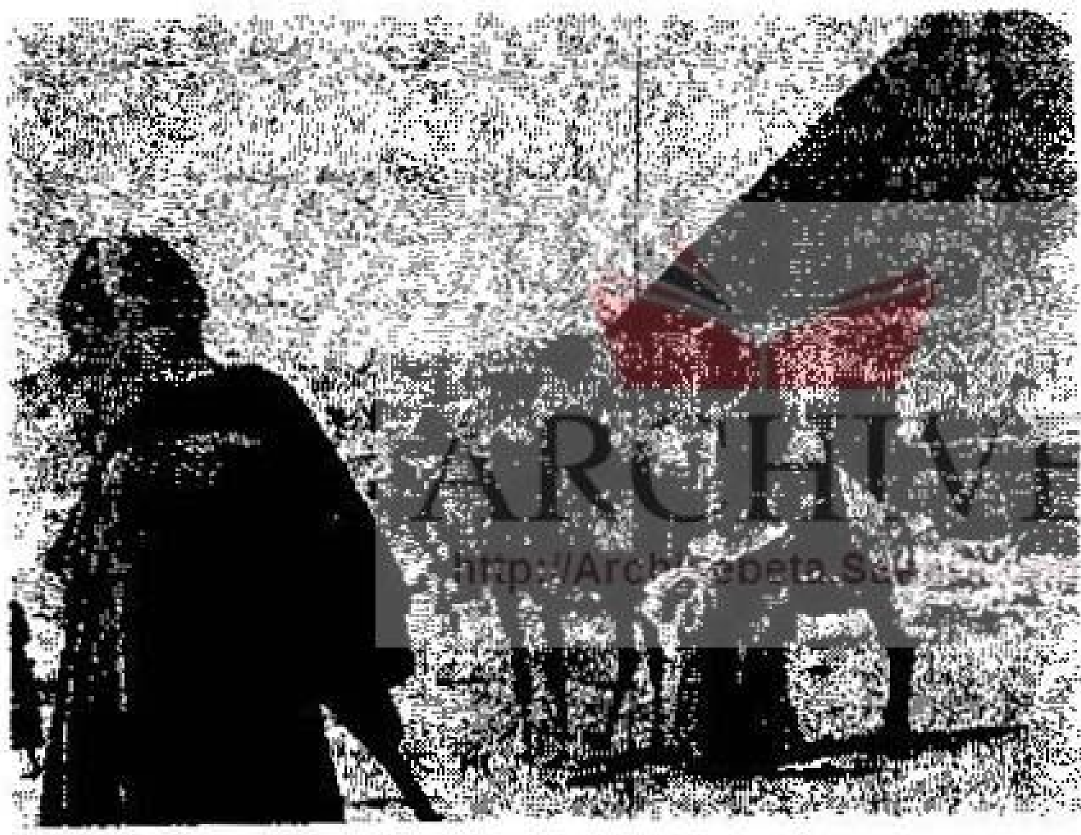
حدث لي في تلك الامسية ، ما كان فاتحة خير في عطلتي هذه ، وهو فاتحة خير لأي انسان في أية عطلة ، كائنا ما كان شكله وشكلها . ذلك انني نسيت شخصيتي ، وبدا لي انني لم اعد معروفا لاحد . ان شأني في هذا شأن ذرات رمال الصحراء التي اطؤها بقدمي .

انت تدري اننا نفسد متعة العطلة احيانا ، او اننا ـ على الاقل ـ نضيع الكثير من فائدتها ، حين نحاول ان نحشو أو نحشر الكثير من الامور والمشاهد فيها ، أو حين نسير بها مسرعين بخطى واسعة سريعة .

كم لنا في اعمالنا من مضايقات عقلية ، تنفث السم في اجسامنا ، وقد نظل في غفلة عنها ، حتى نكون في عطلة بعيدين عن بلدنا ؛ حيث لا توقظنا الساعة الدقاقة في أول الصباح .

لقد بدا لي ان ابا الهول يسر الي في اول امسية جمعتني به ، قائلا : « خذ راحتك وتمدد بهدوء ، وعلى مهل . ثم انس نفسك . ان كل ما في الكون يفني نفسه بنفسه آخر الامر . وما دام كل ما يحدث للانسان يكون سبيلا لتجربته وخبرته ، أو سبيلا لسعادته . متع نفسك الان اذا ، بما تجده من تجارب جديدة في عطلتك . وكن راضيا بكل ما ياتيك به يومك . لا تلتفت الى ورائك ، وتأسف على ما فات ، ولا تنظر بعيدا الى المستقبل





البعيد • خذ راحتك في لحظتك هذه • وتذكر ـ بعد هذا كله ـ ان اهميتك ليست بالكبيرة اذا ما قورنت بما يحيطك من الدنيا » •

ترى أي رسالة يحملها ابو الهول اليك ؟ • انك ـ بعد هذا كله ـ قد تكون شخصا كبير الاهمية بالقياس الي • نعم انا اؤكد وابين ما اقوله • نعم ، ان أمي هي مثلي الذي أحذوه في هذا • لقد تعهدتنا أمى ، انا وأخي الاكبر ، ونحن طفلان • ونشاتنا وحدها • ولقد كافحت في سبيلنا ، وعملت من اجلنا ، وعلمتنا الا نتوقع الكثير من الحياة ، وان نعطى اكثر مما نأخذه ونحتفظ به ، والا ندع طموحنا يستحوذ على صحتنا ويفسدها • يا لحسرتي عليها ! انها لم تنتفع بنصيحتها هذه • انها لم تغلق بابها يوما من الايام وتستمتع بعطلة • وبعد ان فرغت من مشاكل حياتها الكبيرة ،

دعت صغار الامور تتسلط عليها • وانحدرت بالنيل الى « نوبيا » بلاد النوبة ، وكنت أحس ان انسجامي واستمتاعي بالعطلة ينمو ويتزايد ، وشعرت كأنني استبدل بنفسي المتعبة نفسا اخرى مستريحة •

أي متشائم كنت ! كنت سريع الغضب مع الناس كلهم • ولكم خرجت عن طوري مع الدنيا • يا لاصدقائي ! ولما تحملوه مني !

اتراك ترتاب في اهمية العطلة !؟ •• لقد اراحتني عطلتي هذه وعلمتني درسا لا أنساه ما حييت • ان الفضائل والخصال الحميدة ، كالحرص على العمل ، ونكران الذات ، وضبط النفس • هذه الفضائل كثيرا ما حولها التعب فينا الى مضايقات يتحملها غيرنا • وحينذاك لا تصبح هذه الفضائل فضائل ، وانما تصبح اثقالا على الآخرين •

لقد تعلمت — بعطلتي — ان اضحك مرة اخرى ، والا انظر الى ساعتي • وان زورقا يشق طريقه الى أعالي النيل ، كان هو الوسيلة المثالية الى هذا ، حتى لاستطيع ان اقول : انني لا اعرف احسن منه واسطة في تغيير نمط حياتي • وسواء اكنت مسافرا وحدك ، كما هي حالتي ، أم كنت محاطا بأطفالك وعائلتك ، ام كنت فردا في فرقة رباعية ، كفرقة اولئك الفتيات اللواتي سأحدثك بعض حديثهن الان • سواء أكنت هذا أم ذاك أم ذلك ، فان في العطلة المجال الذي تنال فيه راحتك كاملة •

كان اصحابي في العطلة هذه ، اربع فتيات • كن كلهن في نحو العشرين من اعمارهن ، وكن غاية في الجاذبية والسحر ! بنفوسهن المرحة ، وملابسهن الجميلة • تشارك الاربعة في شقة يسكنها في « جيلسيا » وكان لهن اصدقاء تعرفن عليهم حين كن مضيفات بالطائرة التي تقلع من جيتوك Gatuick • لقد اشربن حب السفر ، واولعن بالتنقل • ولقد عزمن ان يصلن الى « معبد ابن سمبل » قبل أن تغمره مياه السد الجديد باسوان ••

ولأكون امينا معك ، اقول : لقد اسقط في يدي ، بل شعرت ان قلبي قد سقط ، حين سمعتهن — في القارب معي — يتحدثن باللغة الانكليزية • يالي ! لقد هربت من مواطني رجالا ونساء ، وها انا ذا اجد نفسي قد وقعت في المصيدة أيضا • على انني ما لبثت ان تبينت ان مخاوفي لا أساس لها ، وقد ظهر لي هذا من اللحظة الاولى ، لحظة قدمن انفسهن ، ليتعرفن علي ، وكن يتشمسن على ظهر السفينة • وسألنني ان اقف امام آلة تصويرهن ، وما لبثت ان رأيتني مسحورا ببساطتهن وجمالهن ، وبطيب خلقهن ، ومعاملتهن لكل من يلقينه ويتصلن به •

لقد سحرن ربان السفينة ، فأخذهن مسحورا يطوف بهن اسوان •

تذكره هذا ! تذكره ان كلا منا ، ولا سيما في العطلة ، يكون سفيرا لبلده ، بل سفيرا لكل اقليم او كل ناحية منه ••• وقد تبقى في بلدك في هذا الصيف فتجد جموع الزائرين لبلدك أو قريتك يتدفقون من القارة الاوربية أو من امريكا •

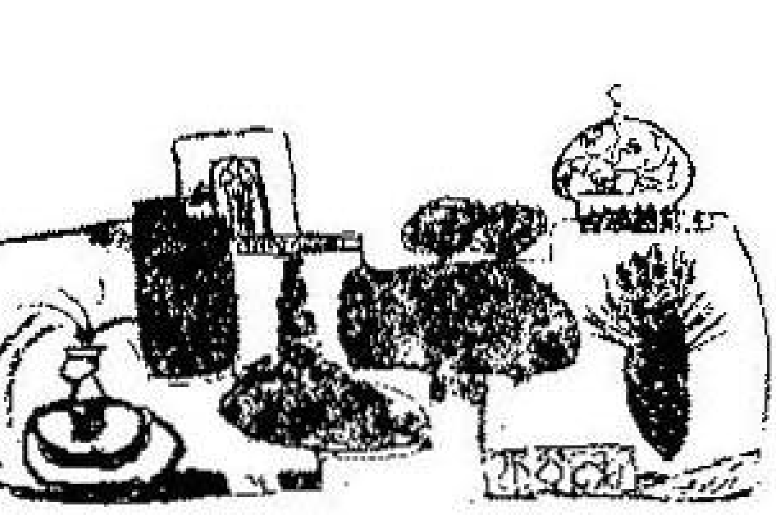
ان الدليل الشاب الذي طاف بنا سد اسوان الجديد الهائل العظيم ، كان يجيد اللغة الانكليزية • وقد جاورته فتبين لي انه قضى شهرا في « كمبرج » • وقلت له : هل استمتعت بزيارتك هناك ؟ فرد علي قائلا : « ما اجمل الريف الانكليزي ، وما اجمل خضرته ! ولقد احببت النهر أيضا ، واحببت مباني الجامعة • ومع اني نعمت بصحبة اصدقاء من زملائي الطلبة من فرنسيين وايطاليين وهولنديين ، الا اني لم يتهيأ لي التعرف على احد من الانكليز • يبدو انهم جد خجولين ! »

قلت :خجولون ! ام كسالى متهاونون ؟! اسمعت قصة الانكليزيات الاربع اللواتي تحدثن الي عن اول ليلة كانت لهن في القاهرة ؟ لقد اندفعن ـ كما اندفعت انا ـ يطفن في المدينة يتفرجن عليها • وعدن في منتصف الليل الى حيث يسكن ، وهن يكدن يحصين كل فلس في جيوبهن ، وقد حسبن حسابه • وشعرن ان سائق سيارة الاجرة يقفو اثرهن في مدخل البيت ، لقد انقبضت نفوسهن حين شعرن بهذا • أتراه يريد منهن غير زيادة في « البخشيش » ؟!

يا لدهشتهن ! لقد مد الرجل يده بقطعتين من النقود يعيدهما اليهن ، وهو يقول : « خطأ ، اعطيتموني اكثر مما ينبغي ! » قال هذا بالفرنسية ، وهو لا يجيدها •

اربعة قروش !؟ نعم ! واي اثر طيب كان للقروش الاربعة هذه ! لقد باع الفتيات انفسهن بعد هذا لمصر ، لا لتماثيلها القديمة القديمة ، ولا لجمال نيلها ، ولا لشمسها الدافئة المشرقة ، ولكن لالتفاتة من سائق من سواق سيارات الاجرة • وما احسبه ـ حين فعل هذا ـ كان يعلم ان مسلكه الكريم هذا سيذكر لملايين من الناس ، يحدثون به مواطنيهم ، في بلد آخر كانت له ـ يوما ما ـ روابط صداقة مع بلده •

ما انا الا صائغ يقص القصص الحقيقية • وما أصدق ابا الهول حين ذكرني بقلة اهميتي او جدواي في هذا العالم • ومع هذا فما اكبر اهميتنا ، اهمية كل منا ، ولاسيما في أيام العطلة •



طفولة الحيوان (١)

جعفر الخياط

عالم الحيوان عالم طريف ممتع ، ومن أمتع ما فيه النظر الى صغار الحيوان وهي تلهو وتلعب • فحتى الذين يكرهون الكلاب والقطط من الناس يجدون من الصعب عليهم مقاومة استلطاف الجراء والقطط الصغيرة (الادراص ، جمع درص) بشكلها النظيف ومنظرها الجذاب • وقد يكون السبب في ذلك غريزة الابوة المغروسة في كل منا حتى عندما نكون في مقتبل العمر وأول معرفتنا بالحياة ، او أننا ما نزال ميالين الى اللعب برغم تقدمنا في السن • وسواء أكان السبب هذا أ ذاك فان مشاهدة الحيوان في طفولته لا تفتأ تعد شيئا مفيدا ومسليا في الوقت نفسه •

ونحن لا نستطيع التحدث عن سلوك الحيوان وأحواله من دون ان نبادر في الحال الى التفكير بالغريزة ، وتفسير الظواهر البارزة فيه بتعابيرها ومصطلحاتها • ولا غرو فان الغريزة لها دخل كبير فيما يقوم به الحيوان أو يعمد الى عمله • على أننا لابد من ان نعلم في الوقت نفسه ان صغار الحيوان — مع ما يبدو من تأثير الغريزة فيها — تتلقى شيئا غير يسير من التدريب والتعليم ، او اكتشاف الخبرة ، لتكون معدة لمعركة الحياة • وبعض هذه الخبرة تكتسبه عن طريق التدريب الذي تتلقاه على أيدي الابوين اللذين يبدو انهما يقومان بتدريب صغارهما بدافع من الغريزة أيضا • ويحصل البعض الآخر منها بنتيجة عمليات التجربة والخطأ التي تمر بها فتتلقى دروسا نافعة بواسطتها ، وسرعان ما تستحيل تلك الدروس الى شيء ذي طابع غريزي • وليست هذه الانواع من الخبرة سوى غرائز موقتة ، أو أفعال منعكسة بتعبير أصح •

على ان الخبرات التي يكتسبها الحيوان في أول أدوار حياته لا نستطيع رسم حدود واضحة بين أشكال السلوك التي تؤول اليها ، لانها يتداخل بعضها ببعض فيصعب ارجاع كل منها الى الغريزة أو الافعال المنعكسة او التعلم والتدريب •

وقبل ان نبدأ بالاشارة الى عناية الحيوان بصغاره وتربيتها في بادىء الامر ، لابد من ان نورد شيئا عن طباعه وأحواله لتوضيح ما نريد ان نتوصل اليه من النهاية • فللمحار صغار مثل سائر الحيوانات ، وهو يضع في خلال السنة الاولى من حياته ما يقرب من خمسمائة مليون بيضه تستطيع كل منها ان تنمو فتستحيل الى محار صغير من جديد • على ان هذا العدد الهائل من البيض يتلف كله في بحر السنة التالية ، لان عددا كبيرا منه تلتهمه الحيوانات الاخرى فتتغذى عليه ، ويقضي الموت على القسم الاعظم مما يبقى منه لاسباب وعوامل شتى ولا تظل على قيد الحياة سوى بيضة واحدة أو بيضتين فقط • فمن طبيعة المحار أنه يضع بيضه في عرض البحر ، وعلى البيض هناك ان يتكفل بنفسه ويغالب الظروف والاحوال للتشبث بالبقاء • على ان بعضه يؤكل في أول أدواره ، وينقلب ما يتبقى منه الى يرقات حية • وقد تؤكل اليرقات وهي في دورها هذا ، أو قد تموت لاسباب طبيعية مختلفة • وينمو البعض منها فيتقدم في النمو ، وقد تتعرض في أدوار نموها هذه أيضا الى الموت بمختلف العوامل الطبيعية أو الى افتراس الحيوانات الاخرى لها كذلك • ويلاحظ من هذا ان المحارة الام غير معدة بطبيعتها للعناية بصغارها ، فكلما قل استعداد الام الحيوانية للعناية بالصغار ازداد عدد ما تضعه من البيض في كل مرة ، وبذلك يزداد الاحتمال في بقاء البعض منه لتكوين حيوانات جديدة يتخلد بها الجنس برغم ما تتعرض اليه من أخطار وعوارض •

وتختلف الحالة اختلافا تاما في القرود • فأن أنثى الحيوانات هذه (الدحية) لا تضع الا صغيرا واحدا في السنة ، واذا كان لابد لجنس القرود الذي ينتمي اليه ذلك القرد الطفل من ان يبقى ويخلد فمن الضروري ان ينال ذلك الطفل أقصى ما يمكن من العناية والاهتمام •

على ان عالم الحيوان المترامي الاطراف يلاحظ فيه التدرج بجميع أنواعه ، والتفاوت باختلاف درجاته في هذا الشأن • اذ يضع بلح البحر الساحلي mussel ما يقرب من خمسة وعشرين مليون بيضة في كل مرة ، ويضع نجم البحر مليونين فقط • وتضع حيوانات أخرى بيضها بمئات الالوف ، أو بعشراتها ، أو أنها يمكن ان تضع ألف بيضة فقط او مائة حتى نصل الى الارنب الذي تلد انثاه عشرة صغار في كل مرة ، وطائر السمنة ببيضاته الاربع ، وأخيرا الى القرد الذي لا تلد انثاه الا طفلا واحدا أو توأمين في الحالات الشاذة • ولذلك تزداد الحاجة الى عناية الام بصغارها كلما قل عدد الصغار في الولادة • على أننا يمكن ان نقول بوجه عام اننا كلما ارتقينا في سلم الارتقاء الحيواني نجد ان الحيوانات يقل عدد صغارها في الولادة وتزداد عناية الابوين بها • غير ان ذلك لا يمكن ان يعتبر شيئا باتا من جميع الوجوه بأي حال من الاحوال • فأن بعض الذباب مثلا تضع انثاه بيضة واحدة فقط في كل مرة ، لكنها تبذل عناية خاصة في وضع

تلك البيضة الوحيدة في موضع تتيسر لها فيه أحسن الفرص الملائمة للبقاء والتفريخ • وهناك نوع من الدود الالفي millipede يبني فوق البيض الذي يضعه بيتا متاسبا من الطين ، ثم تنام الانثى ملتفة حول البيت الطيني ذاك حتى يتنفس بيضها وتخرج صغارها منه • اما السلحفاة فتقصد الساحل وتضع بيضها في حفرة بين الرمال ، ثم تغطيه بشيء من الرمل فتتركه لشأنه ، وعلى الصغار حينما تخرج من البيض في الوقت المناسب ان تتكفل بنفسها وتشق طريقها في الحياة من دون معين • ومع هذا كله فان عناية الابوين ، التي يلعب فيها التدريب والتعليم دورا مهما في حياة الصغار ، يمكن ان تلاحظ على الدوام تقريبا في الطيور والحيوانات اللبونة ، وفي الاخيرة على الاخص •

ولعل خير طريقة للتعرف الاكمل على عناية الحيوان بصغاره والحدب عليها في التنشئة هي طريقة البحث في الاستحضارات التي يتخذها قبل الولادة ، وفي شؤون الاطعام ، والعناية العامة ، والتدريب والتعليم •

فان أول علامة تدل على ان انثى الارنب (العكرشة) توشك ان تضع صغارها هي قيامها بنتف فروها من صدرها بأنيابها وتكويمه بشكل منفوش في زوايا مخبأها أو جحرها ، وهو عمل في غاية الغرابة والطرافة بطبيعة الحال • فليس الارنب من الحيوانات الذكية جدا ، وبالنظر لما نعرفه بالنسبة للاشياء الاخرى عنها يمكننا ان نقول غير مخطئين أن الانثى لا تعلم بانها تحمل في بطنها صغارا توشك ان تضعهم في أيام قلائل • وبوسعنا ان نقول كذلك من دون تناقض انها ليست على علم بان الصغار الذي سيولدون يجب ان يعنى بتدفئتهم • لانها لا تعلل الاشياء كما يعللها الانسان الذي تراكمت عنده الخبرة والتجربة في شؤون الحياة على مدى القرون • لكنها تدرك بالفطرة أنها حينما تكون في مثل هذا الوضع لابد من ان تفعل فعلتها هذه ، وكأن الخلقة الحكيمة تسوقها الى ما فيه صالح نسلها وصغارها • ولو لم نفعل اناث الارانب مثل هذا الفعل للمحافظة على الصغار خلال الحقب والاعصر الطويلة لما تخلد جنسها الى يومنا هذا ، ولأنقرض كما انقرضت من قبله الوف الاجناس من النبات والحيوان في معترك الحياة القاسي • على ان اللغز المحير في هذا الشأن ، هو ما يلاحظ من تعاقب الاعمال التي تقوم بها انثى الارنب بكل دقة وانتظام ، استجابة لما يحصل ويقع في جسمها ومخها بوجه عام • فما الايعازات التي تتلقاها الانثى في مخها من أجسام الصغار الراقدين بين أحشائها ، فتدفعها الى القيام بمثل هذه الاعمال يا ترى ؟ ان الجواب عن مثل هذا السؤال لا يمكن ان يتم الا بالحدس والتخمين في الوقت الحاضر •

والملحوظ ان هذا يحدث في جميع الحيوانات الاخرى كذلك ، فهو يحصل في الطيور التي تبني العش لافراخ ستخرج من بيض لم يحن أوان وضعه بعد ، ومن دون ان تشعر بوجوده أيضا • ومع هذا فانها تجد

نفسها مدفوعة بحماسة فائقة الى القيام بسلسلة من الاعمال المتعاقبة التي تؤمن في النهاية انجاب الافراخ على الوجه الاكمل · فهي تختار بقعة من الارض يتوفر فيها النوع المناسب من الطعام لهم بكمية كافية ، وتنتقي الموضع الملائم لبناء العش فيه ، وتنشيء العش بتفصيلاته ومرافقه ، وتفعل كل ذلك وغيره من أجل شيء لا تكون هي على أي مقدار من العلم به ·

ولما كان الحصول على الطعام من النوع المطلوب هو على درجة غير يسيرة من الاهمية في حياة الحيوان ، فاننا لابد من ان نتوقع ظهور علامات مبكرة يستدل منها على وجود غريزة هادية عند الحيوانات أو تدريب خاص يتولاه الابوان لتأمين الاطعام الصحيح · اذ يبدو من مراقبة الكثير من الحيوانات أنها على مقدار من العلم الغريزي يؤهلها لتمييز المأكولات الصالحة لها · لكن المؤسف هو ان البحث العلمي لم يتوصل الى معلومات كثيرة في هذا الشأن · على اننا لابد من ان نورد هنا مثلا واضحا نستدل به على أشياء كثيرة تهدينا الى أقرب ما يمكن من الحقيقة والواقع · فأننا كثيرا ما نشاهد في الصيف الفراشات البيض الكبيرة تمرق في الجو بطريقتها المعهودة وهي ترفرف بأجنحتها الطويلة على غير انتظام هنا وهناك في أنحاء الحدائق · وقد تحط على مختلف النباتات لتمتص الرحيق من أزهارها · غير ان الملاحظ فيها أنها لا تقصد الا نبات الملفوف « اللهانة » بالذات حينما تريد وضع البيض في المكان المناسب له ·

فأن يرقة(١) فراشة الملفوف البيضاء هذه لا تأكل حينما تفقس من البيضة الا أوراق الملفوف والنباتات التي تنتمي الى فصيلته · وحينما يتم نموها تستحيل الى عذراء(٢) ، وتنبعث عنها فيما بعد الحشرة الكاملة أو الفراشة · ويعني هذا بتعبير آخر ان اليرقة المذكورة تقتات على الاوراق الخضر لنبات خاص بعينه ، وحينما يتم نضجها فتستحيل في مراحل مختلفة حتى تصبح فراشة كاملة تبدأ بأخذ قوتها من الرحيق · ومع ان الحشرة حينما تمر في أدوار الاستحالة المختلفة يطرأ عليها تغير كبير في جسمها وشكلها فأن شيئا ما يبقى في باطنها فيشعرها (أو يذكرها) حينما تبلغ وتستعد لوضع البيض بأنها يجب ان تضعه فوق أوراق الملفوف لا غير ، والا فتكون اليرقات الجديدة مهددة بالموت جوعا · وتنطوي هذه الحالة بالتأكيد على وجود غريزة خاصة ترشد الفراشة الى انتقاء المأكول المطلوب لنسلها · وقد لوحظ في هذا الشأن ان اليرقة عند أول خروجها من البيضة لو أخذت من فوق ورقة الملفوف ووضعت في مكان آخر فأنها سرعان ما تجد طريقها الى نبات آخر من نباتات الملفوف ثانية ·

اما في الحيوانات العليا فليس من الممكن التثبت من نقاط مثل هذه على وجه التأكيد · وهناك من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد بان الحيوان التام في نموه لابد من ان يتناول أحسن ما يناسبه من العلف · فقد دلت التجارب على ان أحسن أنواع العلف من ناحية التحليل الكيميائي هي التي

يعمد الى تناولها مثل هذا الحيوان • ومع هذا يبدو ان الغريزة تلعب دورا غير مهم في اطعام الحيوانات اللبونة والطيور ، وان الام في كثير من الحيوانات العليا هذه لابد من ان تعلم صغارها ماذا يأكلون وأين يجدون طعامهم المطلوب • فتأخذ الدجاجة مثلا مجموعة أفراخها الى الخارج وتقوقي لهم بشدة حينما تجد اللقط أو العلف اللازم لهم • ثم تعمد الى التقاط قطع العلف فترميها بين أيديهم وكأنها تشعرهم بذلك ان مثل هذا العلف صالح للاكل • واذا ما بدا لها ان الافراخ لم تستجب الى ما فعلت تبادر الى التقاط قطع العلف من جديد فتمسكها بين منقاريها ثم ترميها مرة أخرى ، وكأنها تري الافراخ بذلك لاي شيء يؤخذ العلف ، ولاي غرض تستعمل المناقير •

وتقود أم القنافذ صغارها الى الحقل ، وحينما تجد الطعام المناسب لهم تشير عليهم بحركات خاصة واضحة بان يبادروا الى أكله • وعندما يحل وقت الفطام ، واستبدال الحليب باللحم لجراء الثعالب (يقال لولد الثعلب الهجرس) ، تخرج الثعالة الى الخارج فتجد الطعام المناسب لجرائها • وهناك في هذه الحالة وما يشبهها دلالة واضحة على ان الام تعلم صغارها ماذا يأكلون ، وأين يجدون الاكل المناسب لهم وكيف • وما لا تعلمهم أياه يتجنبونه • وقد تعول الحيوانات لدرجة ما على الغريزة في هذا الشأن ، فتتجنب صغار الحيوان بعض الاشياء وتتحاشاها لانها لا تستسيغ رائحتها أو طعمها • ومما يلاحظ في بعض الحالات ان صغار الكثير من الحيوانات تتعلم بالتجربة والخبرة ، كما هي الحالة في بعض أفراخ الدجاج التي تحاول أكل بعض الحشرات فتخرجها من فمها حينما تعجز عن ازدرادها • ولا تكتفي هذه الافراخ بذلك فقط بل تقضي وقتا طويلا أيضا في تنظيف مناقيرها لتتخلص من جميع آثار الحشرة التي تتورط في محاولة أكلها •

ولا يخفى ان جميع ما أتينا على ذكره من الحالات والامثلة حتى الآن لا يشير الا الى الدور الذي تلعبه الام في تربية الصغار وتنشئتهم • أما الاب فيكون دوره مقتصرا في الاعم الاغلب على مساعدة الام بوجه عام ، وفي عدد كبير من الحالات ولاسيما بالنسبة للحيوانات اللبونة لا يقوم الاب بأكثر من الدفاع عن الام وصغارها وحمايتهم من الاعداء ، وقد يقوم كذلك بايجاد الطعام اللازم لهم • وليست – هنا – قاعدة ثابتة تتم بموجبها هذه الواجبات الابوية ، وانما هناك اتجاه عام يعتوره الكثير من الشذوذ والاستثناء • فأن الام بوجه عام تأخذ على عاتقها مسؤولية العناية بالصغار مع شيء من المعونة التي يقدمها الاب • على ان الباحث في هذه الناحية من عالم الحيوان يجد شيئا كثيرا من التدرج والتفاوت في هذا الشأن كذلك • فهو يجد من ناحية ان اسماك الزقزوق Stickleleack وحيوانات فرس البحر يتولى الذكر فيها تربية الصغار والعناية بهم من أول دور من أدوار حياتهم حتى يكون بوسعهم الاعتماد على انفسهم في معترك الحياة • بينما يجد من الطرف الثاني السنور الذي لا يكتفي بعدم الاسهام في تربية نسله من صغار القطط فقط بل يعمد

في كثير من الاحيان الى افتراسهم بحيث يترتب على القطة الام الدفاع عن صغارها لا ضد الاعداء الطبيعيين فقط بل ضد العدو غير الطبيعي أيضا ، وهو الاب ٠

ويلاحظ من هذا كله ان العناية والاخلاص اللذين تبديهما الام في معظم الحيوانات العليا تجاه صغارها لا يقلان بأي حال من الاحوال عما تبديه الام من بني الانسان ٠ فهي عند الحاجة تحرم نفسها من جميع الاشياء تقريبا بسببهم ، كالطعام والراحة والسلامة أو الامان ٠ ولا تستكثر أي نوع من أنواع التضحية من أجلهم مهما عظم شأنها ، وتستهين بأي عدو من الاعداء مهما تعاظمت قوته في سبيل الدفاع عنهم ٠ وكأنها في سلوكها هذا تعلم تمام العلم ان المستقبل للصغار قبل غيرهم ، وان الصغار في الحقيقة حلقات متتالية في سلسلة الحياة غير المنظورة ، يجب المحافظة عليها من أي عبث أو تجاوز اذا كان لابد للسلسلة من ان تبقى صحيحة غير منقطعة ٠ وليس هناك ما يمكن ان يكون أكثر وضوحا للتدليل على الرغبة الجامحة عند الام في الدفاع عن صغارها من انثى الزباب[١] التي تنبري للدفاع عن صغيرها ضد القط المهاجم ٠ فالزباب يصغر حجمه حتى عن حجم جرذي البيوت ، ومع هذا فأن ما تظهره الزبابة من الشجاعة والصراخ والتكشير وما أشبه من المظاهر كثيرا ما يؤدي الى تراجع السنور المفترس عن بغيته ، وهو الذي بوسعه ان يسلبها الحياة بضربة واحدة من براثنه القوية ٠

ومن الممكن ان يستشف هذا الشعور القوي بالمسؤولية من السهولة التي تقبل بها اناث الكثير من الحيوانات ، بمحض ارادتها أحيانا ، تبني صغار غيرها حتى ولو كانت تنتمي الى أنواع غريبة عن نوعها ٠ والمثل المألوف لذلك هو تبني الدجاجة لصغار البط ، وهو واحد من أمثلة كثيرة أخرى ٠

ولا ينحصر التدليل على نداء الامومة في التضحيات الكبيرة التي تقدمها اناث الحيوان فقط ٠ فقد يكون أكثر وضوحا في الاعمال الصغيرة التي تصدر منها تجاه الصغار ، والعناء غير المتناهي الذي يمكن ان تتحمله من أجلها ٠ اذ يلاحظ بين اناث اللبائن اللحس الدائم الذي تقوم به للمحافظة على نظافتهم ، وهو عمل يقول عنه بعض العلماء أنه يؤدي الى تحسين صحتهم أيضا بالنظر لما ينطوي عليه من التعاطف الروحي ٠ وتزداد فائدة هذا اللمس حينما يباشر فوق البطن لانه يساعد على سير عملية الهضم بوجه أكمل ٠ ومن الاعمال الطفيفة المهمة بعين الوقت أيضا ما تقوم به النعجة لحماية حملها في الايام الحارة ، فهي تقف من جهة الشمس مدة طويلة من الزمن حتى يستظل بظلها ابنها الحمل ٠ ولا ريب في ان صدور مثل هذا العمل الحكيم من حيوان غير معروف بالذكاء كالنعجة ليدل على الكثير مما يبرهن على الامومة الحقة وندائها القوي ٠ ويمكن ان يضاف الى ذلك ما تفعله القطة الام التي تعمد الى التفتيش عن مكان مريح لصغارها حينما تشعر ، لسبب أو آخر ، بان المكان الذي يوجدون فيه لا يؤمن راحتهم ٠ وكذلك ما تفعله

الدجاجة حينما ترى خيال الصقر مرسوما على الارض بجنبها ، فانها سرعان ما تقوقي بخشية وفزع داعية أفراخها الى الاحتماء بها على عجل • وتفعل الشيء نفسه حينما يلعلع هدير الرعد بين الغيوم •

وتنطوي هذه الاشياء كلها على ان الحيوانات لها لغتها الخاصة بها ، برغم عجزها عن التكلم • فان أفراخ الدجاج مثلا يميزون الاختلاف الموجود بين القرق المطمئن الذي يصدر من أمهم الدجاجة وهي تلفت نظرهم الى التقاط الحب وغيره من أنواع الطعام ، وقرقها المشحون بالفزع الذي يأتي بهم اليها بعيدا عن الخطر الداهم •

وتقوم الحيوانات بنقل هذه الاشياء من فرد الى آخر في بعض الاحيان بصدور علامات أو حركات خاصة منهم ، كما تفعل القنفذة حينما ترفع برثنها الى أعلا لتشير الى صغارها بالوقوف في حالة الخطر الداهم •

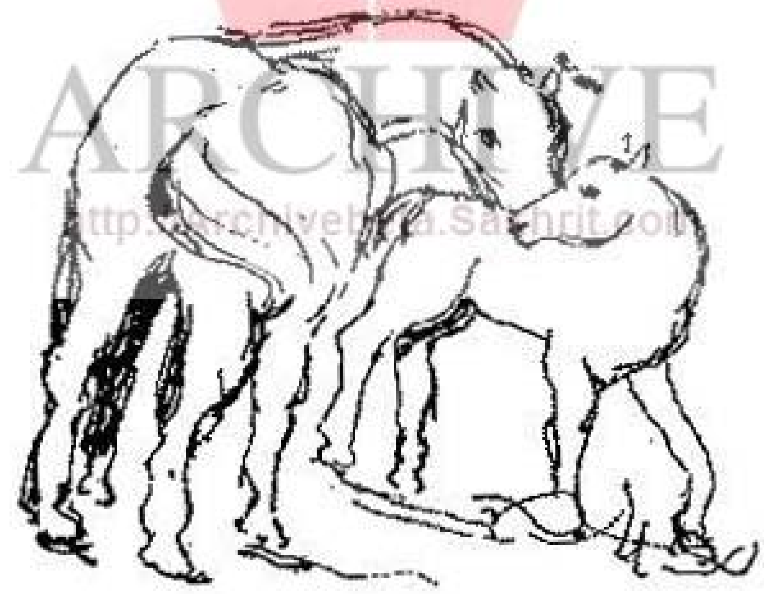
وتسير عملية التدريب والتعلم عند الحيوان خلال أيام طفولته كلها • اذ يبدو من البحث والملاحظة ان الحيوان كلما ازداد ذكاؤه قلت سرعة نموه ، وبذلك تطول المدة التي يتمرس خلالها بشؤون العيش والحياة • فان دجاج الهند البري يضع بيضه في أكوام البقايا النباتية المتفسخة ، ثم يغطيه ويترك للحرارة المنبعثة من التفسخ أمر حضنه وتفقيسه • وعلى الفراخ ان يتكفلوا بأنفسهم منذ اللحظة التي يخرجون فيها الى هذه الدنيا الصاخبة ، ولذلك فأن جميع ما يفعلونه لابد من ان تسيطر عليه الغريزة بأحكامها • لكننا نجد من جهة أخرى ان القرد الصغير يكون نموه ببطء ملحوظ ، فيتيسر له بهذه الطريقة الوقت الكافي لتعلم الكثير من الاشياء قبل ان يصل الى العمر الذي يتحتم عليه فيه ان يداري نفسه بنفسه •

اما تعليم الحيوان وتدريبه فلا يعتمدان على الغريزة ، ولا حتى على الخبرة والمران • فالحقيقة ان الغرض من التدريب والتعليم هو تقليل الحاجة عند صغار الحيوان الى الخبرة المؤذية وتهيأة الفرص الكافية للاستفادة من الخبرات الصالحة • لان الحيوان كالانسان يتعلم معظم ما يحتاج اليه بالتقليد ، وبهذه الطريقة يكون تدريب الابوين لصغارهما قائما على قدم وساق في جميع الاوقات • فان الفأرة التي تقود صغارها (دراصها) من مخبأها الى الشمس في الخارج ، وتتوقف خلسة في المدخل للتأكد من عدم وجود خطر عليها وعلى صغارها ، انما يعد عملها تدريبا منها لهم • لانهم يقلدونها من دون شعور فيفعلون مثلما فعلت حينما يخرجون في المرة الثانية • وان انثى الارنب التي تقفز الى حجرها حينما ندنو منها انما تقوم بعملها هذا ، وهي لا تشعر ، بتعليم صغارها على المبادرة الى الاختفاء تحت الارض عند أول علمهم بدنو الخطر •

وهناك ما يدل على ان كيفية تعلم الحيوان لا تقتصر على ما يتم بالتقليد فقط ، بل ان كثيرا من تعليم الصغار يتم بطريقة مقصودة أيضا • فالملحوظ ان الكلبة تعلم جراءها على النهش والمصارعة ، حتى اذا ما تجاوزوا الحد

المطلوب من الخشونة في هذا الصراع التجريبي تربت ببرثنها عليهم بصلابة مترفقة • اذ يندر ان تعمد الحيوانات الى تأديب صغارها بمقدار يؤذيهم ، لـكنها كثيرا ما تستعمل الشـدة لتريهم بأن بعض الاشياء لا تتم بمثـل ما يفعلونها •

وكثيرا ما تشاهد الطيور وهي تعلم صغارها على الطيران تعليما قاصدا • فيشجع الابوان أفراخهما على القفز والنط على نفس الغصن الذي تقف عليه أولا ، وذلك بأغرائهم بالطعام ووضع شيء منه في المكان الذي تدعوهم الام للقفز اليه • وبعد ان يتزودوا بشيء من الثقة بهذه الطريقة ، يأخذ الابوان بتشجيعهم على القفز بين الاغصان والفروع الصغيرة وتخطي الفراغ الموجود بينها ، ثم يزيدا في المسافة التي يتم قفزها بالتدريج ويغريانهم طول الوقت بالطعام المصحوب بالزقزقة والمناغاة المفرحة على سبيل التشجيع • ومع ما يبدو من أسهام الذكر في هذه العملية كلها فأن عبء التدريب والتعليم يقع معظمه على الانثى وحدها • فسبحان الخلاق العظيم •



(١) ملخصة عن كتاب
Animals and their Behaviour, by Maurice Burton, 1950.

(٢) Caterpillar ، وقد أطلق عليها مجمع اللغة العربية في القاهرة كلمة اليسروع•

(٣) Chaysalis ، وقد سماها مجمع اللغة العربية النقفة •

(٤) Shrew ، زباب على وزن سحاب (واحدته زبابة) • جاء في معجم الحيوان للفريق أمين معلوف ان الزباب حيوان من آكلة الحشرات شبيه بالفأر في الظاهر ولكنه ليس من الفأر ولا من رتبته ، فالفأر من رتبة القوارض والزباب من رتبة آكلات الحشرات •

المنصفات في الشعر الجاهلي (١)

نوري حمودي القيسي

لم يكن جانب الحرب في شعر الفرسان هو الجانب الغالب ، ولم تكن أصوات الرماح ، وقعقعة السيوف ، هي الأصداء المتجاوبة في قصائدهم ، وانما كان الجانب الخلقي في حياتهم لا يقل عن ذلك الجانب وضوحا وتمييزا ، لأن البطولة الحربية ، كانت تقترن بالبطولة الخلقية عند هؤلاء الفرسان في كثير من الأحيان ، فالكرم والايثار والنجدة والوفاء بالعهد ، والحفاظ عليه ، والحلم ورحابة الصدر ، وحماية الجار ، والدفاع عن المرأة ، والذود عن المستجير • كل هذه المعاني كانت تتألق في قصائدهم ، الى جانب الجرأة والاقدام ، والصبر على النائبات ، والثبات في المعركة ، وخوض غمار الحرب ، والشجاعة فيها •

فعنترة فارس في حروبه ، لأنه يبلي فيها بلاء محمودا ، وهو لايخوض الحرب من أجل الغنيمة والأسلاب ، وهو فارس في خلقه ، لأنه عفيف في سلوكه ، لا ينظر الى جارته اذا غاب بعلها ، وربيعة بن مكدم (حامي الظعينة) بطل في أفعاله ، لأنه دافع عن الظعينة دفاع المستميت • والدفاع عن الظعينة ، يعني الدفاع عن المرأة التي كلف بحمايتها وسط صحراء لا ترحم ، ومن هنا كان هذا اللقب من ألقاب الفخر والاعتزاز لدى الفرسان • وبطل في مروءته لأن صفاتها متمثلة عنده • ومثلهما دريد بن الصمة وعامر بن الطفيل وعروة بن الورد وحاتم الطائي وكعب بن مامة الأيادي ، وغيرهم من فرسان الجاهلية الذين كانوا أبطالا في حروبهم وأخلاقهم ، وفرسانا في معاركهم ومثلهم العليا وسلوكهم الانساني الذي رفعهم الى المرتبة السامية في عالم القيم النبيلة •

وطبيعي أن يدفعهم هذا الخلق الى أن يكونوا منصفين ، حتى مع خصومهم ؛ لأن الفطرة العربية السليمة ، تملي على صاحبها ذلك ، على الرغم من كل الاعتبارات التي كانت تحيط بالمجتمع العربي آنذاك ، وعلى الرغم من كل القيم المتعارف عليها في خضم ذلك الوسط القبلي المتزمت •

فالفارس الجاهلي يعترف بقوة خصمه ، ويشهد له بالثبات في المعركة ، والصبر على مصائبها ، واحتمال عواقبها ، ويبدي اعجابه

ـ في بعض الأحيان ـ ، فالقتل اذا وقع يقع بين القبيلتين ، والسباع اذا شبعت شبعت من فرسان القبيلتين ، والنساء اذا بكين فهن نساء الطرفين ، وهكذا كانت المعارك سجالا ، يقهر الفارس خصمه ، ويقهره الخصم ، ويهزم عدوه أو يهزمه عدوه ، وحتى في مواضع الهجاء ، الذي يمثل ظاهرة السخط والسخرية ، فان هجاء الفرسان يأخذ طابع الانصاف في بعض الأحيان ، فتبدو القصائد معتدلة ، لامبالغة فيها ، يذكر فيها الشاعر ماوقع له ، وما وقع لخصومه ، وهو لا يذم الخصم بما ليس فيه ، ولا يجرده من صفات الفروسية الحقة • لأن في ذلك عيبا على الفارس ، ومنقصة يأنف منها•

وقد عرف الأدب العربي مجموعة من القصائد ، حملت هذه المفاهيم ، وأطلق عليها (منصفات أشعار العرب) ، لأن قائلي هذه القصائد ـ كما ذكر المؤرخون ـ انصفوا أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم في امحاض الاخاء• ويروى أن أول من أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة حيث قال(٢) :

كأنا غدوة وبني أبينا ... بجوف عنيزة رحيا مدير

ومنصفات أشعار العرب ثلاثة ، أولها قصيدة عامر بن معشر(٣) بن اسحم ابن عدي بن شيبان ، وقال الأصمعي هو المفضل النكري(٤) وقيل انما سمي مفضلا لهذه القصيدة (٥) •

وقد صدر القصيدة بالحنين الى قوم سليمى الذين رحلوا وخلوه لأحزانه وأشواقه • وقد ساق في ذلك وصفا لها ولحديثها ، ثم أبدى اعجابه بأعدائهم بني حيي وأنصفهم انصافا ظاهرا ، ووصف تلك الحرب التي دارت بينهم • وذكر كذلك « بني عمرو بن عوف » وانصفهم كذلك ، فقد أخذ القتل من قبيله وقبيلهم(٦) •

ألم تر أن جيرتنا استقلوا ... فنيتنا ونيتهم فريق(٧)
فدمعي لؤلؤ سلس عراه ... يخر على المهاوي ما يليق(٨)
عدت ما رمت اذا شحطت سليمى ... وانت لذكرها طرب مشوق
فودعها وان كانت أناة ... مبتلة لها خلق أنيق(٩)
فانك لو رأيت غداة جئنا ... ببطن أثال ضاحية نسوق(١٠)
هم صبروا وصبرهم تليد ... على الغراء اذ بلغ المضيق(١١)
وهم دفعوا المنية فاستقلت ... دراكا بعد ما كادت تحيق
تلاقينا بغبية ذي طريف ... وبعضهم على بعض حنيق(١٢)
فجازوا عارضا بردا وجئنا ... كسيل العرض ضاق به الطريق(١٣)
مشينا شطرهم ومشوا الينا ... وقلنا اليوم ما تقضى الحقوق(١٤)
رمينا في وجوههم برشق ... تغص به الحناجر والحلوق(١٥)
كأن النبل بينهم جراد ... تكفيه شامية خريق(١٦)

★ ★ ★

وكم من سيد منا ومنهم ... بذي الطرفاء منطقه شهيق(١٧)
بكل مجالة غادرت خرقا ... من الفتيان مبسمه رقيق(١٨)
فاشبعنا السباع واشبعوها ... فراحت كلها تنق يفوق(١٩)
تركنا العرج عاكفة عليهم ... وللغربان من شبع نغيق(٢٠)
فأبكينا نساءهم وابكوا ... نساء ما يسوغ لهن ريق
يجاوبن النياح بكل فجر ... فقد صحلت من النوح الحلوق(٢١)
قتلنا الحارث الوضحاح منهم ... فخر كأن لمته العذوق(٢٢)
اصابته رماح بني حيي ... فخر كأنه سيف دلوق(٢٣)
وقد قتلوا به منا غلاما ... كريما لم توشبه العروق(٢٤)

والقصيدة أطول مما ذكرنا ، وقد اكتفينا بالأبيات التي انصف الشاعر فيها خصومه ٠

أما المنصفة الثانية فهي لعبد الشارق بن عبد العزى الجهني(٢٥) ، ويفتتحها بالدعاء (لردينة) ـ المرأة التي افتتح القصيدة بذكرها ـ لفخامة موقعها منه ، وجلالة محلها من قلبه ، ثم يتوصل من ذلك الى اقتصاص الحال التي أراد شرحها ، ثم تحدث عن توجه قومه نحو اعدائهم ، وفرحهم بهذه الملاقاة ، وحرصهم على القتال ، وتشوقهم للنزاع ، حتى عد قربهم بشارة ، والالتقاء معهم غنيمة ٠ ثم تحدث عن توجيه الخصوم لفارس يندس في اثناء خيلهم ، ليعرف أسرارهم ، ويقف على عددهم وعدتهم ، فيرجع اليهم بواضح الاحوال والاخبار ، ولكن قومه ـ على عادات الفرسان ـ يخلون سبيل هذا الفارس ، ولم يحاولوا احتباسه ٠

ويتحدث الشاعر عن سرعة اقبال الخصوم ، ويصف كثرتهم وتعجلهم بقطعة من السحاب ، تراكم فيها البرد ، ويصف كثرة قومه واتيانهم على كل ما يعترض في طريقهم ، بالسيل الذي لا يبقي ولا يذر ، لا ينقادون لمن يريد ضبطهم ، ولا يطاوعون من يريد اذلالهم ، ثم يتطرق الى المعركة ، فيذكر مللهم من الطراد والرماء ، بافناء النبال ، وتعطيل القسي لانقطاع الاوتار ، ومشي بعضهم الى بعض طلبا للاشتفاء ، حتى بلغوا عناية ذلك ٠ ثم يصف حملة قومه على خصومهم بأنها منكرة ، فاصابوا منهم ثلاثة ، وقتل الشاعر قينا ـ وهو رجل مشهور فيهم بالبأس والشدة ـ ٠

ولكن الخصوم حملوا على قومه حملة ، فاصابوا منهم مثل ما اصابوا فآبوا بالرماح مكسرات وآب قومه بالسيوف منحنيات ٠

ألا حييت عنا ياردينا ... نحييها وان كرمت علينا
ردينة لو رأيت غداة جئنا ... على اضماتنا وقد احتوينا
فأرسلنا ابا عمرو ربيئا ... فقال الا انعموا بالقوم عينا
ودسوا فارسا منهم عشاء ... فلم تغدر بفارسهم لدينا
فجاءوا عارضا بردا وجئنا ... كمثل السيف نركب وازعينا

فنادوا يا لبهثة اذ رأونا ... فقلنا احسني ضربا جهينا
سمعنا دعوة عن ظهر غيب ... فجلنا جولة ثم ارعوينا
فلما أن تواقفنا قليلا ... انخنا للكلاكل فارتمينا
فلما لم ندع قوسا وسهما ... مشينا نحوهم ومشوا الينا
تلألؤ مزنة برقت لاخرى ... اذا حجلوا بأسياف ردينا
شددنا شدة فقتلت منهم ... ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا ... بأرجل مثلهم ورموا جوينا
وكان أخي جوين ذا حفاظ ... وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسرات ... وأبنا بالسيوف قد انحنينا
فباتوا بالصعيد لهم أحاح ... ولو خفت لنا الكلمى سرينا(٢٦)

والمنصفة الثالثة للعباس بن مرداس(٢٧) ، وقد بدأ قصيدته بذكر الاطلال والحبيبة ، وانتقل بعد الى وصف الحرب ، فقد سار قومه الى الأعداء في جمع كثيف ، يمتطون الابل ويقودون الخيل ، في رحلة طويلة ، قضوا فيها تسعا وعشرين ليلة ، وصبحوا أعداءهم على حين غرة ، هم في الحديد واعداؤهم في غفلة عنهم ، ينحرون الابل ويقطعونها ، ولكنهم عندما رأوهم ، أدوا للحرب حقها ، وقاوموا اعنف مقاومة ، في استبسال رائع . ثم فخر بشجاعته التي شهد له بها الكثير ، وفخر كذلك بشجعان قومه وشدة طعنهم للأعداء الذين حمتهم دروعهم من الهلاك ، وأن قومه قتلوا بكريم منهم ستة من أعدائهم .

لاسماء رسم اصبح اليوم دارسا ... واقفر منها رحرحان فراكسا(٢٨)
فجنبي عسيب لا أرى غير ماثل ... خلاء من الآثار الا الرواسما
فدعها ولكن هل أتاها مقادنا ... لاعدائنا نزجي الثقال الكوانسا(٢٩)
بجمع يريد ابني صخار كليهما ... وآل زبيد مخطئا وملامسا
على قلص نعلو بها كل سبسب ... تخال به الحرباء اشمط جالسا
سمونا لهم تسعا وعشرين ليلة ... نجوب من الاعراض قفرا بسابسا
فبتنا قعودا في الحديد واصبحوا ... على الركبات يجردون الانافسا
فلم أر مثل الحي حيا مصبحا ... ولا مثلنا لما التقينا فوارسا
أكر وأحمى للحقيقة منهم ... واضرب منا بالسيوف القوانسا
وأحصننا منهم فما يبلغوننا ... فوارس منا يحبسون المحابسا
اذا ما شددنا شدة نصبوا لها ... صدور المذاكي والرماح المداعسا
اذا الخيل جالت عن صريع نكرها ... عليهم فما يرجعن الا عوابسا
نطاعن عن احسابنا برماحنا ... ونضربهم ضرب المذيد الخوامسا
وكنت أمام القوم أول ضارب ... وطاعنت اذ كان الطعان تخالسا
فكان شهودي معبد ومخارق ... وبشر وما استشهدت الا الاكايسا

* * *

ولو مات منهم من جرحنا لاضبحت ... ضباع بأكتاف الاراك عرائسا
ولكنهم في الفارسي فلا ترى ... من القوم الا في المضاعف لابسا
فان يقتلوا منا كريما فاننا ... أبانا بـه قتلى تذل المعاطسا
قتلنا به في ملتقى الخيل خمسة ... وقاتله زدنا مع الليل سادسا
وكنا اذا ما الحرب شبت نشبها ... ونضرب فيها الابلخ المتقاعسا
فأبنا وابقى طعننا من رماحنا ... مطارد خطي وحمرا مداعسا
وجرداً كأن الاسد فوق متونها ... من القوم مرؤوسا وآخر رائسا

على اننا لا نستطيع أن نقول ان هذه القصائد وحدها هي المنصفات ، وانما نستطيع ان نضيف اليها قصائد اخرى تحمل الطابع نفسه ، وتتسم بالميزات عينها ، فقد اعتبر البغدادي(٣٠) قول الفضل بن العباس (رضي الله عنهما) في ابي لهب ، من التناصف في الاخاء :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وان نكف الأذى عنكم وتؤذونا

ويمكننا ان نضيف الى قائمة الشعراء المتقدمين مجموعة اخرى من الشعراء ، فعمرو بن كلثوم يذكر في بعض أبيات معلقته خصمه وينصفه بقوله : (٣١)

كأن سيوفنا فينا وفيهم ... مخاريق بايدي لاعبينا
كأن ثيابنا منا ومنهم ... خضبن بارجوان أو طلينا

والطفيل الغنوي يرثي فرسان قومه ، ويذكر وقعتهم بطيء ، وكيف لقيتهم فزارة فقتلتهم ، فادركتهم غني واستنقذتهم فيقول (٣٢) :

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم ... وبالموثق المكلوب منا مكلب
وبالنعثم المأخوذ مثل زهائه ... وبالسبي سبي والمحارب محرب

ومالك بن حطان ينشد وهو في المعركة قبل ان يموت (٣٣) :

لعمري لقد أقدمت مقدم حارد ... ولكن اقران الظهور مقاتل(٣٤)

ثم يقول :

وما ذنبنا أنا لقينا قبيلة ... اذا واكلت فرساننا لا تواكل
يساقوننا كأسا من الموت مرة ... وعرد عنا المفرقون الحناكل(٣٥)
فما بين من هاب المنية منكم ... ولا بيننا الا ليال قلائل

ويتحدث عوف بن الاحوص (٣٦) عن الحرب التي كانت بين قبيلته وبين كنانه وبكر وقريش ، ويعترف في هذه الأبيات بشدة بأس كنانه وقريش ، وبراعتهم في الحرب فيقول :

أتيحت لنا بكر وتحت لوائها ... كتائب يرضاها العزيز المفاخر
وجاءت قريش حافلين بجمعهم ... وكان لهم في أول الدهر ناصر
وكانت قريش لو ظهرنا عليهم ... شفاء لما في الصدر، والبغض ظاهر

حبت دونهم بكر فلم نستطعهم ... كأنهم بالمشرفية سامر
وكانت قريش يفلق الصخر حدها ... اذا أوهن الناس الجدود العواثر

ومثلها قصيدة عامر بن الطفيل ، التي ذكر فيها يومان من أيام العرب (المشقر وفيف الريح) ، وأشار في نهايتها الى كثرة الأحلاف الذين جمعهم بنو الحرث ، ولكن ذلك لم يستل من قومه شجاعتهم ، وقوة جلادهم(٣٧) فيقول :

أقسول لنفس لا يجاد بمثلها : ... اقلي المراح انني غير مقصر
فلو كان جمع مثلنا لم نبالهم ... ولكن اتتنا أسرة ذات مفخر
فجاؤوا بفرسان العريضة كلها ... واكلب طرا في لباس السنور

وربما تكون هناك قصائد اخرى تتفق وهذه الافكار ، حاول فيها الشعراء الاعتراف ببطولة الخصوم ، وشهدوا لهم بالثبات والجلد ، والحرب والشجاعة ، والاقدام والجرأة عند التحام المعارك ، يمكن اضافتها الى تلك القصائد .

ان هذا الانصاف ، وهذا الاعتراف ، لم يكن من باب التفاخر والتعالي ، أو التوصل الى اثبات شجاعة الفارس ، وانما هي تقدير لمفهومها ، واعجاب بهذه الصفة المحببة الى نفوسهم ، والتي دفعتهم الى الايمان بكل سبب يتصل بها . فهم يدركون ان الموت يكمن لهم في رأس كل ثنية ، وعند كل ثغر ، ولكن ذلك لم يقعد بهم عن السير ، ولم يمنعهم من الاستمرار في الطريق الذي رسموه لهم .

ومن هنا وجدنا هذا الفيض الزاخر من شعر الحرب ، وكل ما يتفرع منه من جوانب خلقية وحربية ، اتصف بها أدبنا الجاهلي .

ان دراسة هذا الجانب الخلقي في شعر الحرب ، يوضح خطا عريضا في الأدب العربي ، يحمل المثل العليا التي تفتقر اليها كثير من آداب الامم ، وبالتالي فهو جانب رفيع يستحق الاستقصاء والتتبع لاستكمال لوازمه وابتناء هيكله العام .

---

(١) وتضبط احيانا (منصفات) كأن القصيدة جعلت نصفين ، بين القائل وعدوه . ويذكر البغدادي (صاحب الخزانة جـ٣ ص ٥٢٠) فيقول : قال الطبرسي في شرحه أبيات العباس من باب المنصفات ، وهو من باب التناصف .

(٢) الاصمعيات تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ص ١٧٤ .

(٣) الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين للخالديين جـ١ ص ١٤٩ تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ١٩٥٨ .

(٤) الاصمعيات : تحقيق عبدالسلام هارون واحمد محمد شاكر ص ٢٣٠ .

(٥) ابن سلام طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٢ (تحقيق محمود محمد شاكر) .

(٦) الاصمعيات ص ٢٣١ .

(٧) استقل القوم : ذهبوا وارتحلوا ، النية : الوجه الذي ينويه المسافر .

(٨) العرى : جمع عروة ، وهي طوق القلادة ، المهاوي : جمع مهوى ، وهو موضع الهوي ،

يليق : يحتبس ويثبت .
(٩) الاناة : المباركة الحظية . المبتلة : التامة الخلق .
(١٠) بطن اثال : موضع ، ضاحية : أي علانية وجهارا .
(١١) التليد : اراد به القديم ، واصله المال القديم . العزاء : الشدة .
(١٢) الغيبة : الهبطة من الارض ، وظريف ، فصغر : موضع بالبحرين كان لهم فيه وقعة .
(١٣) عارضا ، أي كالعارض ، وهو السحاب يعترض في افق السماء . والبرد : ذو القر والبرد . العرض ، بكسر العين : الوادى .
(١٤) ما تقضى الحقوق ، أي قضاء الحقوق .
(١٥) الرشق : الرمي بالسهام .
(١٦) تكفئه : تقلبه ، وسهل الهمزة . شامية : ريح تهب من الشام . الخريق : الباردة الشديدة الهبوب .
(١٧) ذو الطرفاء : موضع .
(١٨) الخرق ، بالكسر : الكريم المتخرق في الكرم ، ومن الفتيان : الظريف في سماحة ونجدة .
(١٩) الثئق : الممتلىء . فاق يفوق فؤوقا وفواقا : أخذه البهر .
(٢٠) العرج : الضباع .
(٢١) صحلت : بحت .
(٢٢) العذوق : جمع عذق ، وهو بكسر العين : العرجون بما فيه من الشماريخ .
(٢٣) الدلوق بفتح الدال المهملة : السلس الخروج من غمده يخرج من غير سل ، وهو أجود السيوف واخلصها .
(٢٤) التأشيب من الاشب ، وهو الخلط .
(٢٥) شاعر جاهلي قال في المبهج : الشارق اسم صنم لهم ، ولذلك قالوا : عبدالشارق كقولهم عبدالعزى ، وكلاهما صنم . ومثله عبد يغوث وعبدود ونحو ذلك . وأما العزى فهو صنم ، وهو تأنيث الاعز » .
(٢٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون ـ القسم الاول ص ٤٤٢ .
(٢٧) من الشعراء المخضرمين ، أسلم قبل فتح مكة بيسير ، له حديث مشهور مع الرسول (ص) . وام العباس هي الخنساء الشاعرة .
(٢٨) الاصمعيات ص ٢٣٧ .
(٢٩) حذفت ثلاثة أبيات لانها تكرار لوصف الديار .
(٣٠) خزانة الادب جـ٣ ص٥٢١ .
(٣١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابي بكر محمد بن القاسم الانبارى ص٢٩٦
(٣٢) شعر طفيل بن عوف الغنوي ـ كرنكو ـ ١٩٢٧ ص ٢٤ .
(٣٣) النقائض : ليدن ـ ١٩٠٥ . القسم الاول ص ٣٢ .
(٣٤) الاقران : الاعوان والواحد قرن . الظهر : الناصر .
(٣٥) الحناكل : القصار الانعال ، وعرد : فر .
(٣٦) المفضليات ـ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون جـ٢ ص١٦٤ وفي هامشها كلام للانباري ينسب فيه الأبيات الى خداش بن زهير ، وهو خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . شاعر فارس مشهور ، من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية ، وله بلاء في أيام الافجرة بين قريش وقيس .
(٣٧) المفضليات جـ٢ ص١٦٢ .

وفاة « اليوت »

فى خلال بضعة شهور قليلة خسر الشعر الانكليزى ـ بل الشعر في العالم ـ اكبر شخصيتين فى هذا المضمار هما الشاعرة الكبيرة « أديث ستويل » والشاعر الكبير « توماس اليوت » ·

والخسارة في « اليوت » أوجع لانه صاحب مدرسة ملحوظة في الشعر وذو تأثير على شعراء زمنه · وقد عد اكبر شاعر فى العصر الحاضر ،وبذلك استحق جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٤٨ ·

ومنذ أن تسنم ذروة المكانة الشعرية لم يحاول أحد أن ينازعه اياها· بل ظل في الذروة حتى مات ·

وبالرغم من أن انتاجه الشعري قليل نسبيا ، بل قليل جدا بالقياس الى شهرته وتأثيره ، فانه كان ذا حظ كبير من التلاوة والاعادة والتقليد ·

وبالرغم من أن هناك الكثيرين من الشعراء الاخرين الذين لا يقلون عنه شأواً في عالم الشعر ، فانهم لم يبلغوا سطوته الادبية على شعراء جيله ، فكانوا دائما يمشون وراءه ، ولا يخفون الحقيقة الواقعة التي تقول انه كان اعظم شعراء عصره واهمهم ·

وقد كان « اليوت » شخصية أدبية فذة من جميع النواحي · وكان يكتب النثر الجيد والدراسات الادبية الممتازة · ودراسته عن « دانتي » تعتبر من المراجع الادبية ، وقد كتبت بأسلوب رائع ، ولكنه مع ذلك لم يكن ذا حظ في النثر يقارب ولو من بعيد حظه في الشعر وتأثيره فيه ·

أما مدرسته الشعرية فقد كانت مهمة عندما كان هو موجودا · ولا نعتقد ان لها حظا من البقاء بعده لان الذين حاولوا تقليده لم يبلغوا ما بلغ هو من التعمق ، ولم تكن لهم جرأته وقدرته على التصرف وهو ما جعل مدرسته مدينة بالبقاء الى شخصيته الادبية وقدرتها الخلاقة ، ولم تمتد الى تلاميذه وهم كثيرون يمكن ان يقال فيهم أنهم يشملون جميع كبار شعراء العصر ·

وقد جعل « اليوت » قدرة الشاعر على التعبير العميق أكبر من قدرة الشعر على الاستيعاب ، وكان بذلك أقرب الى الصوفية الشعرية منه الى الانطلاق المفتوح · فى حين أن الذين قلدوه ومشوا وراءه كانوا يظنون ان الانفلات عن القيود هو غاية الحقيقة ، فانحصر تقليدهم اياه بالشكل لا بالمضمون ·

وقد عرف « اليوت » بتعاليه على قيود الشعر والوزن والقافية ، ولكن الذي لم تختصه الدراسة الواعية هو أنه كان لا يتهرب من الوزن والقافية تهربا ، وانما يجتازها اجتياز البطر • وفي كثير من اشعاره المخلدة امثال من سحق القافية وعدم التقيد بها بعد أن تكون متيسرة بصورة طبيعيـة لديـــه •

ان خسارة الشعر بوفاة « اليوت » تعد كبيرة لانها تعتبر خاتمة لنوع فذ من انواع الخلق الادبي لا يمكن ان ينتظر المرء ازدهارها بعد الان • بل يمكن القول بأنها ذهبت الى الابد •

وكان « اليوت » قد بلغ الخامسة والسبعين قبيل موته •

في عالم المطبوعات

ثورة على الفكر العربي المعاصر

لمحي الدين محمد

المكتبة العصرية ــ صيدا ــ ٣٦٥ صفحة

يعتبر هذا الكتاب من أهم ما صدر في الحقبة الاخيرة من الكتب الادبية شكلا وموضوعا ، ولعله فاتحة عهد جديد في التعبير الادبي وفي النقــد •

وهو مجموعة مقالات جمعها موءلفها في دفة كتاب كانت كلها ذات لحمة واحدة وان اختلفت أسديتها النسجية • فهي دراســات في الحيــاة الادبية في البلاد العربية ، وتقديم جديد لمفهومات قديمة في عالم الفكر •

ويمتاز الكتاب بأنه يهدف الى الحفاظ على الحرية الفكرية وينافح من هذا المضمار ولا يني يكرر التكرار المفيد ويشدد على هذه الناحية المهمة •

وفي الكتاب شرح وتوضيح لكثير من القضايا الادبية والمفاهيم الفكرية اهمها موقف الاديب من الحياة الحاضرة ، وحرية الفــكر ، وتطبيــق الاشتراكية •

انه يقول في الصفحة (٤١) •

« ان الايمان بالعقل والاشتراكية وبالحرية ، لا يعني سوى رفــع مستوى الشعب العربي ماديا وفكريا ، وذلك يعني تحولا في حياتنا باقصى درجة من الجذرية والقوة ، ولن يصبح العلم وقفاً على بعض الاذهان الفردة ، كما كان في تاريخنا الوسيط ، بل سيصبح تيارا وحركة اكبر من ان تخمدها سلطة « أو مشيئة حاكم » •

ومن دراسته الجديدة للوجودية يقف المؤلف موقف المستوعب الناقد لهذه الفلسفة التي طغت منذ الحرب الكونية الثانية ، ويحلل وجهة نظرها في الاخلاق وفي الفكر ، ويقارن بينها وبين الفلسفة المادية ويخرج من ذلك باخلاقية جديدة لهذه الفلسفة مستوحاة من اساطينها الفكريين • فهـو يقول في هذا الباب :

« لا وجود لاخلاق عامة • والفرد حر ليختار ويبتكر فلا اخلاق عامة تستطيع أن تدلك على الواجب ، لانه لا وجود في هذا العالم لاشارة قابلة للتأويل كما يقول « سارتر » في كتـابه « الوجودية فلسفة انسانية » ، ومجازية الاختيار يرد عليها بأن الانسان لا يعرف الا بالنسبة الى التزام ما الى فعل حر ، فكل عمل وتحقيق وحكمة لا يجوز أن ترد الى الفعل ، بل الى العقل المصحوب بالحرية » •

وفي الكتاب دراسات متعددة لآثار أدبية جدلية يقف المؤلف منهـا موقفه الخاص المتميز باصالة الرأي • وفي مقدمتهـا موقفه من الشعر الحر الذي يضعه في مقدمة الاساليب الجديدة للتعبير الفني في عالم الشعر • كما يتطرق الى شعر « اليوت » والى اتباعه من الشعراء الغربيين والشرقيين محللا باسهاب واتقان وجهة نظرهم ببصيرة الناقد العطوف •

وبالرغم من أننا لا نجاري هذا الاتجاه في التعبير الشعري فاننا نجد دراسة المؤلف لهذا الاسلوب من الشعر دراسة تستحق النقد والمراجعة •

ان هذا الكتاب من خيرة الكتب الادبية التي صدرت في الحقبة الاخيرة ، وقد ثبت مكانة مؤلفه في عالم الادب الذي ينتظر المزيد منه •

تاريخ العرب العسكري

حروب محمد • حروب الردة • تحرير العراق

لمحمود الدرة

دار الكاتب العربي ٤٢٢ صفحـة

كتب في العهود الاخيرة الكثير عن هذا الموضوع بقلم فئتين مـن المؤلفين احداهما الفئة التي تستخرج العبرة من الفتوحات العربية عـلى أساس أنها غزوات بشكل موجات فتوح كالموجات المغولية سببتها المجاعة والقحط في الجزيرة العربية التي ضاقت بأبنائهـا ، والاخرى تستخرج العبرة من تلك الفتوحات بشكل يضفي عليها القدمية الدينية والتاريخية ، حتى أصبح البعد بين هذه الدراسات وبين واقع تلك الحملات العسكرية

كبيراً لا يأتلف مع الوقائع ، ولا يفيد الباحث المحقق والقارىء الذي يريد الوصول الى الحقيقة ٠

وكان اخر ما ظهر فى هذا الباب دراسة الجنرال غلوب المستفيضة لهذا الموضوع ، وهي وان كانت قد كتبت بشكل يبدو فيه العطف الظاهر على الفتوحات العربية ، الا أنه لا يزال مكتوبا بقلم غربي بعيد عن ادراك العقلية العربية الاسلامية ٠

ولذلك فقد جاء هذا الكتاب في اوانه وهو دراسة جديدة بقلم عسكرى مدرك للفلسفة التي تقف وراء الفتوحات العربية والمد الاسلامي ، ومستوعب لجميع تفاصيل تلك الفتوحات من وجهة نظر عسكرية وفكرية معا ٠

وقد جاء فى مقدمة الكتاب :

« ان حروب محمد كانت في الواقع حروبا محلية ضيقة النطاق وكانت تهدف فى البداية حربا دفاعية واقتصادية ضد قريش التى خذلته في تفهم رسالته النبوية ، وكانت تهدف ايضا الى تاليف نواة جيش يعرف معنى النظام ، ويخضع لقيادة موحدة ــ حيث كان العرب احوج ما يكونون الى النظام والى العمل الموحد ٠٠ وكانت تهدف فى النهاية الى تحرير الاقطار العربية من نير الاستعباد الروماني والفارسي » ٠

« على أن هذه الحروب الصغرى تعطينا فكرة هى أن محمدا كان الى جانب رسالته النبوية قائدا عسكريا ملهما ، استطاع أن يخلق من العدم نواة جيش قام بعدئذ بفتح عسكري لم يشهد التاريخ البشري له نظيرا ، الى جانب الانجازات الرائعة التى حققتها رسالة الانسانية » .

والكتاب كله شرح تفصيلي مثبت بالاسانيد لهذه الفكرة ، وهو دراسة عسكرية ــ مدنية للغزوات الاسلامية مبسط تاريخيا ومزود بالارقام والتحليلات المبنية على النظريات العسكرية الحديثة ، وخرائط مستنبطة من تفاصيل تلك المعارك الحربية ٠ جلا فيه المؤلف كثيرا من الغموض الذى صحب بعض تلك الحركات العسكرية التي دونها مؤلفون مدنيون دفعتهم الغيرة الدينية المجردة للدفاع عن الاسلام وعن نبيه ٠

اما مؤلف الكتاب فقد نظر فى جميع الاتهامات التي وجهت الى الدين والى حركته بثوبها العسكري ، نظرة الناقد المحص ، ورد عليها رد المدرك الفاهم لوجهة النظر المناهضة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤون موضوعه الواسع دون أن يتطرق اليها ويجلوها بشكل يطمئن رغبة القاريء الخالي من الهوى ٠

وكما قال المؤلف فى مقدمة كتابه فان احداث التاريخ لا يمكن أن تموت ، وامة العرب اليوم احوج ماتكون الى دراسة ماضيها المشرف لتستعين به على بناء مستقبلها الافضل ٠

الحريـــة

لابراهيم الخال
وزارة الثقافة والارشاد
سلسلة الكتب الحديثة ١٣٠ صفحة

الـكتاب بحث فكري في تاريخ الحرية ومصيرها • وهو موضوع كبير يمكن أن يستوعب اكثر من هذا الـكتاب بحجمه الصغير • ولـكن المؤلف استطاع بهذا النطاق أن يحيط به وأن يبسطه بشكل مقبول وبلغة سهلة مع أنه رجع فيه الى مراجع كثيرة غربية وشرقية ، وتناوله بعمق وتدبر •

ومن المهم كثيرا ان يصدر مثل هذا الـكتاب في مثل هذه الاوقات والحرية تكابد أعنف الخصومات من اليمين ومن الشمال • وقد قيل ان أصعب الامور تعريف المعروف المتداول • ولذلك فقد كانت « الحرية » ولا تزال صعبة التعريف ، ولا يزال اغلب الناس يناقشون في مختلف تعاريفها ولا يكادون يتفقون على تعريف واحد •

وقد سار المؤلف في بحثه سيرا كرونولجيا وتاريخيا وفكريا في آن واحد ، ولذلك فقد بدا البحث مكثفا بالنسبة للقاريء العادي ، ولـكنه يفيد كل انواع القراء بالنظر لاهمية الموضوع •

ولذلك فقد كانت السياحة الفكرية التي طاف بها المؤلف فيموضوعه سياحة لذيذة كان من الممكن ان تستوعب اكثر مما استوعبه الـكتاب بحجمه الصغير كما قلنا •

ويكفي في هذا المجال السرد الشائق الذي تابعه المؤلف في مسيرة الحرية الطويلة منذ الاغريق الى الثورة الفرنسية الى الثورة البلشفية ثم العهد الحاضر •

وقد امتاز الـكتاب ببساطة اللغة وبساطة تناول الموضوع • ولعله سيكون من كتب المراجعة في المدارس الاختصاصية ، وهو أمر نراه جديرا بالاهتمام •

مباحث في الأدب الشعبي

لعامر رشيد السامرائي
وزارة الثقافة والارشاد
السلسلة الثقافية ١٥٧ صفحة

هذه أطروحة مهمة في موضوع أخذ طريقه الى الدراسة الجدية منذ

زمن ليس بالقصير ، ونعني به الأدب الشعبي أو أدب الطبقات العامة في مجتمعنا الكبير • وهو موضوع بكر يستحق المزيد من العناية والبحث •

وقد تناول المؤلف في كتاب تعريف الأدب الشعبي وصفاته العامة بصورة موجزة ولكنها تغني القاريء والمعقب وتفيد الدارس • وشفع ذلك كله بنصوص قام بشرحها شرحا وافيا فهو بذلك يعد مصدرا من مصادر هذا البحث المهم •

وقد أحسنت وزارة الثقافة والارشاد في الالتفات الى هذا الجانب الهام من حياتنا الفكرية ، وتشجيع أمثال هذه الدراسات النافعة التي نرجو أن تتسع وتعمق وأن تنال حظها المقدور من الكتاب والقراء معا •

آراء وتعقيبات

دور الشعر في التمهيد للاشتراكية

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ اسماعيل الصيفي مقالة في العدد ١٠٨٣ من مجلة الرسالة الزاهرة وقد تطرق فى حديثه عن شعر الاستاذ محمود حسن اسماعيل فى ديوانه (اغانى الكوخ)٠

ويقابل الاستاذ محمود حسن اسماعيل عندنا فى العراق من ناحية التمهيد للاشتراكية الاستاذ الشاعر انور خليل ، فقد ثبت فى ديوانه (من اصداء المعترك) المطبوع فى بغداد عام ١٩٥٢ ، وان لم يصل شاعرنا انور الى مستوى شعر الاستاذ اسماعيل، الا انه قد اجاد اجادة بلغتدرجة رفيعة من النضوج الشعرى فى قصيدته : (صرخة عميقة من اكواخ الجنوب) ، ولعل السبب فى اجادته يعزى الى احتكاك الشاعر خليل بالفلاحين لانه قضى اكثر من ربع قرن فى مدينة (العمارة) النائية القريبة من الاهوار وكان يرى الفلاحين وهم يعيشون فى بوءسهم القاتل وذلهم المشين ٠

يقول فى مطلع قصيدته هذه :

ليس لي دار تقيني ... قسوة البرد واهوال الشتاء
غير كوخ مستكين ... مبتنى من قصب بئس البناء

ومن ثم يصف كوخ الفلاح المعتم الذى لا اثر للنور فيه بينما قصور الاغنياء من الموسرين الذين يمتصون دماء الشعب قد غرقت فى ثريات الكهرباء المتلالئة فيقول :

ومن الزيت ضيائي ... بل وكم قد بت من دون ضياء
وقصور الاغنياء ... غرقت في فيض نور الكهرباء
هم يمصون دمائى ... وطريدا ينبذونى فى العراء
فاذا صحت بهم قالوا : أساء

ومن ثم يصف لنا الشاعر انور كيف ان البرد قد الم بالفلاح وهيج اشجانه ، ويبدع في الوصف فيصور الفلاح الذي ترتعد فرائصه ويهتز من الم كالطير الذبيح ، وهو يقطع ليل الشتاء الطويل ببرده القارس ينتظر الصباح عسى ان يجد في الشمس دفئا يريحه مما الم به من الم ، وما اعتوره من برد ، وما اصابه من شجن ، ومن ثم يلعن الدهر الذي حرمه مما يتيح للآخرين من دفء الذين يرفلون بالثياب الصوفية فتكون غرفهم عامرة بالزرابي المبثوثة ، بينما هو بأسماله البالية التي لا يمكنها ان تقيه لذع البرد الشديد فيقول :

نكأ البرد جراحي وانا اهتز كالطير الذبيح
اين يا ليل صباحي ربما في شمسه دفء يريح
آه من دهر وقاح لم يزل يحرمني مما يتيح ..
كيف اسمالي تقي البرد الكليح

وقد كان لثورة ٢٣ ـ يوليو التي اججها الرئيس جمال عبدالناصر وصحبه من الضباط الاخيار الاحرار اثرها في العراق وان ديوان (من اصداء المعترك) طبع بعد ثورة ٢٣ يوليو ـ ٩٥٢ ، ونرى الشاعر العراقي تأثر شعره باحداث هذه الثورة الكبرى فراح يتحدى الفئات الحاكمة وقتئذ قائلا :

نحن في عصر العداله أم عصور الظلمات الغاشمه
فالى كم في الضلالة نتهادى كالسوام الهائمه
فلقد أذكى نضاله كل شعب يتحدى ظالمه
فالى كم روح شعبي نائمه ؟

هذه نظرة خاطفة في ديوان الشاعر انور خليل الذي لعب دورا مهما في شعره للتمهيد للاشتراكية ، وفي ديوانه قصائد أخرى يضيق بنا المجال عن استعراضها في مثل هذه العجالة .

عبد الخالق عبد الرحمن

●

استدراك

سقط سهوا اسم الشاعر الاستاذ عبدالصاحب ياسين من قصيدته (ذكرى) المنشورة في العدد الخامس . لذا وجب التنويه والاعتذار .

الاقلام

اضواء على السياسة العالمية

السياسة الداخلية

يوم الجيش

اليوم السادس من شهر كانون الثاني من كل عام هو يوم الجيش ، اذ منذ اربعة واربعين عاما اسس الجيش العراقي ولهذا ليوم ذكرى عزيزة في نفوس المواطنين وذكرى الجيش هذه تذكر بمواقف الجيش العظيمة فقد كان ابدا جيش الحرية والكفاح والتضحية ، ونحن حينما نذكره نذكر وقفاته الرائعة منذ ان تأسس في كيان الامة واخذ على مسئوليته حفظ كيانها ٠

ان ذكرى تأسيس الجيش هذه تعيدنا الى سنة مضت حين وقف الجيش ضد عناصر التخريب والانحراف والتطرف الحزبي المقيت فاعاد لهذا البلد كرامته وحريته ٠ وقد ظهرت اعماله واضحة في الكلمة التي وجهها القائد العام للقوات المسلحة السيد المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية حين قال «وبالرغم من كل العقبات التي حاول الاستعمار واعوانه ان يضعها لتحول دون تحقيق اهداف جيشنا في الدفاع عن كرامة الامة وعن توفير الحرية الكاملة لها لاجل البناء والاستقرار فقد ظل الجيش ظافرا صامدا لم تتغير فيه الخميرة النبيلة خميرة العروبة والاسلام ٠ »

مؤتمر رؤسه الوزارات العرب

انعقد مؤتمر رؤساء الوزارات العرب في القاهرة خلال شهر كانون ثاني وهو أعلى مؤتمر تنفيذي بعد مؤتمر القمة وقد كان وفد الجمهورية العراقية الى المؤتمر برياسة رئيس الوزراء الفريق طاهر يحي وعضوية كل من وزراء الخارجية والدفاع والثقافة والارشاد ، والتربية ، والوحدة ، بالاضافة الى عدد آخر من الموظفين والمرافقين ٠

ان المتابعة العملية لمقررات مؤتمر القمة وبحث الامور المتعلقة بها بحثا عمليا ووضعها موضع التنفيذ جعل مؤتمر رؤساء الحكومات يحتل أعلى

مكانة بعد مؤتمر القمة ، ولعل هذه الاهمية تبرز بصورة أكبر حين ظهرت وحدة الهدف في تلك الاجتماعات ، إذ كانت الدوائر الاستعمارية والصهيونية تعمل على بث الاشاعات للتشكيك في أعمال مؤتمر الرؤساء ، وحيث ان اعمال المؤتمر لم تذكر تفاصيلها بالنظر لتعلقها بأمور عسكرية وسياسية خطيرة ٠

لذلك كثرت التكهنات عن تلك التفاصيل ، ومهما يقال فان طبيعة تشكيل الوفود الى المؤتمر ومساهمة عدد من الوزراء اعطى صورة لطبيعة الامور المبحوثة ، كما ان ما ورد بعد ذلك عن اجماع مجلس النواب اللبناني في دعم القرارات التي اتخذت وتخويله الحكومة اللبنانية صلاحية استدعاء الجيوش العربية اذا اقتضت الضرورة ، يدل ذلك على ان موضوعات نهر الاردن وروافده كان من الامور التي بحثها المؤتمر ووضعها موضع التنفيذ ٠ كما ان التهديدات التي اطلقها ليفي اشكول من فلسطين المحتلة والتي وجهها الى لبنان بالذات تلقي بعض الضوء على مدى اهمية تلك القرارات ٠

ان مؤتمر الرؤساء اثبت بصورة قاطعة على ان هذه الامة تسير في طريق واحدة والى هدف واحد آمالها واحدة ومصيرها واحد ٠ وقد استلهم هذا المؤتمر من مؤتمر القمة انسجامه وتآلفه فكان بحق يمثل ما ينتظره منه الشعب العربي في كل جزء من ارجاء الوطن العربي الكبير ٠

الخطة الاقتصادية الخمسية

عقد الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء مؤتمرا صحفيا خلال شهر كانون الثاني شرح خلاله الخطة الخمسية ٠

وأهم ما ذكره السيد رئيس الوزراء ان ٨٢٠ مليون دينار ستنفق بمقتضى الخطة الاقتصادية الجديدة للسنوات الخمس ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩ منها ٥٥٠ مليون عن الاستثمارات في القطاع العام و٢٧٠ مليون في القطاع الخاص وقال سيادته ان الخطة الاقتصادية التي ستنفذ في ٣١ آذار لهذه السنة هي انعكاس لتلك المبادىء السامية التي تضمنها الدستور العراقي على مستوى الاقتصاد الوطني كما انها مجموعة السياسات الاستثمارية والانتاجية المالية والنقدية التي تترجم بتناسق وتنظيم اهدافنا القومية في الحرية والاشتراكية ٠

والجدير بالذكر هنا ان هذه الخطة عرضت على الشعب لمناقشتها وابداء الرأي فيها فمما اشار اليه السيد رئيس الوزراء قوله « ولذلك رأينا ان تعرض اهداف الخطة ومتطلبات تنفيذها العامة على مجموع الشعب ومنظماته والمفكرين فيه حتى يسهموا في مناقشتها وتصميمها ايمانا منا بأن التخطيط عمل تعاوني تقع مسئوليته اعدادا وتنفيذا ومتابعة على عاتق الشعب والحكومة ، اذ انه لا ينبثق الا عن حاجات المجتمع ورغباته ، ولا تعود منافعه الا اليه وحده » ٠

وقد ذكر ان البرنامج ستموله الايرادات والقروض الداخلية والخارجية . ويجدر بالاشارة هنا الى ان نصيب الزراعة من الخطة بلغ ١٥٠ مليونا والصناعة ١٥٠ مليونا كذلك وقد افردت للطاقة الكهربائية ٣٥ مليونا و٩ ملايين للنقل والمواصلات و١٠٥ ملايين للتعليم ومباني الصحة والمؤسسات العامة والاسكان .

وقد هدفت الخطة الى مضاعفة الدخل القومي خلال تسع سنوات من تنفيذها اذ لوحظ ان المعدلات السابقة في زيادة الدخل القومي لا تتناسب والامكانيات المتوفرة في مجالات الاقتصاد الوطني مع اختلاف نواحيها .

وهذه الخطة هي الاولى من نوعها من حيث تكاملها واستيعابها الكامل لشتى النواحي ، وقد عكف على اعدادها المختصون في الوزارات كافة وتعاونت الامكانيات مع وزارة التخطيط ومجلس التخطيط الاقتصادي لتكون خطة متكاملة مدروسة .

السياسة العربية

ترشيح الرئيس جمال عبدالناصر للرياسة

اجتمع مجلس الامة في الجمهورية العربية المتحدة وقرر ترشيح السيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة بالاجماع . ولم يكن اجماع مجلس الامة بالامر غير المتوقع ، اذ ان السيد الرئيس جمال عبدالناصر كان خلال السنوات التي قاد فيها الجمهورية العربية مثلا عظيما ورمزا وطنيا بالغ الاثر والتأثير في ابناء الامة العربية جميعهم يشهد بذلك انصاره ويشهد به خصومه من خارج الوطن العربي ، وقد اصبح مألوفا في أي قطر من أقطار الدنيا حين يتحدث اليك شخص فيها وتذكر له انك عربي قد يتردد في معرفتك معرفة حقيقية فاذا اردت ان تعرف نفسك ذكرت له اسم ناصر ، عند ذلك يتضح له انك عربي ولك منزلة خاصة جديرة بالتقدير والاعجاب .

وقد ذكر الرئيس عبدالناصر في خطاب القاه في المجلس بعد الاقتراع على الترشيح قوله « ليس لي مطلب الا ان تتاح لي الفرصة للخدمة العامة في أي موقع يرى الشعب القائد ان اقف فيه . فاذا ابدى الشعب رأيه كاملا وواضحا يوم الانتخابات بأنه يريد مني ان اخدم في موقع رياسة الجمهورية للسنوات الست القادمة فأنني اطيعه مؤمنا انه وحده آمري . »

وقد حدد السيد الرئيس جمال عبدالناصر العهد الذي يلتقي فيه مع الامة في نقاط :

١ ـ تمهيد الطريق لجيل جديد يقود الثورة ضمانا لاستمرارها وتحقيق اهدافها ٠

وقال الرئيس عبدالناصر « لقد كان شرفا لي ان احمل العلم لكنني امامكم أؤكد بان الشرف الاكبر لي يكون يوم اسلم العلم الى طلائع جيلنا الجديد ٠

٢ ـ التضحيات المقبلة ـ اكد السيد الرئيس ان هناك تضحيات مازالت في انتظار الشعب العربي وبخاصة في الجمهورية العربية المتحدة فيما يتصل بالخطة الاقتصادية الثانية لمضاعفة الدخل القومي ٠٠٠

٣ ـ تمكين الفكرة الاشتراكية وتحمل المسئولية باخلاص وحماية الثورة التي تحقق مصلحة الشعب كله ٠

٤ ـ اكد الرئيس ان الجمهورية العربية المتحدة هي جزء لا يتجزأ من الامة العربية ، واكد على ان سلامة هذه الامة لا تتجزأ والعدوان على أي جزء منها هو عدوان على الكل ٠

واكد على ان الاستعمار يرحل الان من كل الارض العربية وذكر السيد الرئيس ان اسرائيل لن تنزاح عن البقعة التي احتلتها بالاقناع والتراخي ومن هنا يتوجب على الامة مسئولية كبرى تتحمل الجمهورية العربية قسطا وافرا فيها ٠

٥ ـ اكد على ان الامة العربية لا يمكن ان تنقطع عن الدنيا وانما هي في قلب الدنيا وعليها رسالة تحملها منذ فجر التاريخ في الحرية والحضارة حملت الويتها الى اقصى بقاع الدنيا ٠

وذكر السيد الرئيس ان انعدام المسافات بين أرجاء الدنيا هو الذي جعل العالم العربي متصلا صلة مباشرة بالاحداث العالمية فما يحدث في قطر من أقطار الدنيا تتأثر له الاقطار الاخرى ٠ ومن هنا ذكر السيد الرئيس موضوع الاعتداء الثلاثي وبين ان القواعد التي كانت تتمول منها الطائرات تبعد آلاف الكيلومترات ٠

ومن هنا كذلك تحدث الرئيس عن احداث الكونغو واعتبرها من الاحداث التي تلاصق الجمهورية العربية بالذات بحيث ان النفوذ الاستعماري المتمثل في اجزائها لا يمكن ان تتغاضى عنه الامة العربية التي تشعر بأنها والاستعمار على طرفي نقيض ٠

السياسة العالمية

وفاة تشرشل :

في خلال الشهر الفائت مات تشرشل ٠٠ بعد ان ظل العالم يتابع

اخبار مصارعته الموت أياما عدة • وليس من شك في ان السير ونستون تشرشل شخصية عالمية • فلقد كسب تلك الشهرة نتيجة خوضه في مواقف سياسية وعسكرية معقدة وخروجه منها منتصر الرأي • وكان آخر تلك المواقف الحرب العالمية الثانية حين تولى تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية ليشن الحرب على المانيا النازية وليستمر على تفاؤله بالنجاح رغم الانتصارات التي سجلتها النازية أول الامر •

ولقد ذكرت الصحف بعد وفاته بانه لم يبك فى حياته الا ثلاث مرات•• الاولى عند منح الهند الاستقلال والثانية عند جلاء القوات الانكليزية من مصر والثالثة عند وفاة احدى ذوى قرباه •

وقد علق احدهم على ذلك بقوله كنا نود ان تطول الحياة بالزعيم البريطاني لتذرف عيناه الدمع للمرة الرابعة ، وذلك عندما تتحرر الارض العربية من رجس الصهيونية التي عاش السير ونستون تشرشل مؤيدا لها ومناصرا ، ان الشعب العربي تتمثل عواطفه بالاحترام والحب ولقد احترم السيد تشرشل ولـكنه لم يحبه •

اغتيال رئيس وزراء ايران

في صباح ٢١ كانون الثاني/١٩٦٥ اطلقت النار على السيد حسن علي منصور رئيس وزراء ايران عندما كان يهم بدخول البرلمان في طهران ، ثم توفي متأثرا بجراحه بعد أيام •

وقد القت الشرطة الايرانية القبض على ثلاثة أشخاص اتهموا باغتيال رئيس الوزراء وقـد وصفتهم بعض المصادر الرسمية الايرانية بأنهـم من العناصر الرجعية السوداء • غير ان المتابع للظروف السياسية التي تمر بها ايران يستنتج بان اتفاقيـة النفط المشبوهة التي كان السيد حسن علي منصور يحملها الى البرلمان كانت السبب الرئيس في مقتله • ذلك لان الشعب الايراني يرفض بشدة كل محاولة يراد منها عقد اتفاقيات تثبت الاستعمار في بلده وتزيد في تكبيل الشعب بالاغلال ••

فلقد عقدت الحكومة التي كان يرأسها السيد حسن علي منصور عدة اتفاقيات مع مجموعة من شركات النفط العالمية للتنقيب عن النفط في مياه الخليج العربي ولم يكن في تلك الاتفاقيات ما يجلب للشعب الايراني الرفاه أو يحفظ له الكرامة بل كانت فوائدها للدول الاجنبية التي لا يهمها سوى استعباد الشعوب وخنق حرياتها وسلبها كرامتها •

انباء الفكر

* **صدر حديثا ديوان « خال على خدها » للدكتور محمد جواد الحلي . وقد ختمه الشاعر بكلمة أوضح فيها أن مهنة الطب صرفته عن الشعر ، بل وصيرته عاجزا عن التعبير عن أحاسيسه ومشاعره .**
* الاستاذ محمود مهدي ، معاون استاذ في جامعة طاشقند يعكف على وضع معجم للهجة العراقية وما يقابل مفرداتها في اللغة العربية الفصحى واللغة الروسية .
* **زارت الفرقة البافارية بغداد خلال هذا الشهر وقدمت ضروبا من الغناء والموسيقى البافارية الشعبية .**
* ينصرف الاستاذ عبد الحميد العلوجي الى وضع كتاب بعنوان [من تراثنا الشعبي] يضم بين دفتيه المقالات الفولكلورية التي سبق له نشرها في الصحف والمجلات المختلفة .
* **ستقوم وزارة الثقافة والارشاد في الجمهورية العراقية بارسال بعض الافلام الدعائية والسياحية الى السفارة العراقية في الكويت بغية عرضها على شاشة تلفزيون الكويت .**
* ستصدر وزارة العمل والشؤون الاجتماعية كتابا عن مؤتمر وزراء العمل العرب الذي انعقد في بغداد خلال الفترة من ٦ ـ ١٢ كانون الثاني ، وسيضم الكتاب أبحاث المؤتمر والكلمات التي ألقيت فيه والمقررات التي اتخذت .
* **انتهى الاستاذ محمود العبطة من وضع كتاب بعنوان [بدر شاكر السياب وحركة الشعر الجديدة في العراق] .**
* كتاب (التفاحة في النحو) انتهى من تحقيقه الاستاذ كوركيس عواد على نسخة وحيدة في العالم كله .
* **صدرت من مطابع النجف الاشرف طبعة جديدة لديوان الشاعر عبد الباقي العمري ، والمسمى بديوان (الترياق الفاروقي) .**
* في سلسلة نفائس المخطوطات التي يواصل الشيخ محمد حسين آل ياسين تحقيقها صدر ديوان (أبو الاسود الدؤلي) .

* **يعكف الدكتور فيصل الوائلي على جمع مقالاته حول الأدب العراقي القديم والتي سبق له ان نشرها في مجلات مختلفة ، وذلك لنشرها في كتاب مستقل .**
* يقوم الدكتور محسن جمال الدين باعداد دراسة عن الشيخ خزعل أمير المحمرة والحياة الأدبية في عصره . والدراسة هذه ترسم الخطوط العامة لحياة هذا الشيخ ومجالس أدبه والشعراء الذين عاصروه والشخصيات الأدبية التي اتصلت به .
* افتتح معرض جماعة المجددين الذين اقيم في قاعة المتحف الوطني الحديث .
* **صدر عن دار الاداب البيروتية ديوان (فلسطين في القلب) للشاعر معين بسيسو .**
* تم التوقيع على اتفاقيـــة للتعاون الاعلامي والسياحي بين الجمهورية العراقية وبين اسبانيا .
* **اقيم في قاعة المتحف الوطني للفن الحديث ، معرض للصور الفوتوغرافية لجمهورية بلغاريا الشعبية وقد قام بافتتاح المعرض السيد وزير الثقافة والارشاد .**
* **قامت وزارة الثقافة والارشاد بارسال مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي تمثـــل مختلف نواحي العراق الى نيوزلندا لعرضها على شاشـــة التلفزيون هناك بناء على طلب محطة التلفزيون النيوزلندية .**
* سيضم الوفد الذي سيمثل العراق في مهرجان الشعر الذي سيقام في بغـداد الاساتذة ـ الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي ، الاستاذة نازك الملائكة ، الاستاذة مقبولة الحلي ، الدكتور عبدالرزاق محي‌الدين ، الاستاذ حافظ جميل ، الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني ، الاستاذ مهدي مقلد ، الاستاذ اكرم احمـــد ، الاستاذ مصطفى جمال‌الدين ، الاستاذ حسين الصغير ، الاستاذ خالد الشواف ، الاستاذ احمد الوائلي . الاستاذ عبد الصاحب الملائكة ، الاستاذ عدنان الراوي ، الاستاذ شاذل طاقة .
* **سيقام في بغداد معرض للوحات الفنان الاسباني كيفارا في شهر شباط القادم .**
* افتتح في بغداد معرض الواسطي للفن العراقي المعاصر . وهو معرض دائم ضم (٦٠) لوحة فنية لمختلف الفنانين اضافة الى (١٨) تمثالا .
* **(فصول في اللغة والادب) كتاب جديد للاستاذ ظافر القاسمي يشتمل على اراء ادبية ولغوية .**
* أصدر الدكتور صلاح‌الدين المنجد كتـــابا جديدا بعنوان (المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني واثارهم المخطوطة) .
* **صدرت عن دار الاداب البيروتية الطبعة الثانية لديوان (اقول لـكم) للشاعر صلاح عبدالصبور .**

المحتويات